بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

" هجرة الشوام إلى مصر
خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين "

إعداد
ماهر محمد سعيد درويش

إشراف
أ.د بهجـــت صبـــري

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليـــا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2003

هجرة الشوام إلى مصر
خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين

إعداد
ماهر محمد سعيد درويش

إشراف
أ.د بهجــت صبــري

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ (17 / 06 / 2003م) وأجيزت بنجاح

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيــــــــــع
1- أ.د بهجت صبري	رئيسا	....
2- د.نظام عباسي	ممتحنا داخليا	....
3- د.عدنان ملحم	ممتحنا داخليا	....
4- د.عبد الرحمن المغربي	ممتحنا خارجيا	....

الإهداء...

إلى:

أبـــــي...   أمــــــي...   إخــوتي

شكر وتقدير

أدين بالشكر لأشخاص كثيرين، أما امتناني وتقديري فهو لأستاذي الفاضل الدكتور بهجت صبري لما أبداه من سعة صدر وحسن توجيه وإرشاد حتى إنجاز هذه الدراسة.

كما أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم التاريخ في جامعة النجاح الوطنية لما بذلوه من جهود ونصح وإرشاد. واني أرى من واجبي أن استحضر ذكرى أستاذي الفاضل المرحوم الدكتور محمود عطا الله الذي كانت إرشاداته وتعليماته أساسية في هذه الدراسة.

وأتقدم كذلك بجزيل الشكر لكل من قدم لي المساعدة، وأخص بالذكر الأستاذة عائشة شبانه من جامعة حلوان، والأخوة القائمين على كنيسة الروم الكاثوليك في القاهرة، والى موظفي المكتبة في كل من جامعة النجاح وجامعة اليرموك والجامعة الأردنية، وكذلك موظفي مكتبة طولكرم، وأخص بالذكر الأختين رجاء قاروط وصباح الطيبي، كما لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر للأخوين والصديقين الأستاذ جمال كليبي، والأستاذ جمال الشافعي على ما قدماه من تشجيع ومساعدة لإتمام هذه الدراسة، وللأستاذ والمربي عبد الله الأخرس على التدقيق اللغوي للدراسة.

فهرس المحتويات

الرموز والمختصرات

م	ميلادي
س	ســـنة
ص	صفحة
ج	جـــزء
ط	طبـــعة
ع	عــــــدد
مج	مجـــلد
وث	وثيقـــة
م ل	ملحـــق
دت	دون تاريخ
دط	دون طبعة
دن	دون ناشــــــر
دم	دون مكان نشر
س.ر.ا	سجلات كنيسة الروم الأرثوذكس السوريين في الإسكندرية
س.ر.ك	سجلات بطريركية الروم الكاثوليك في القاهرة
Ibid	المرجـــع نفسه

- الملخص باللغة العربية

شهدت بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حركة هجرة متزايدة إلى مصر، وذلك بعد أن أدت الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة في ذلك الوقت إلى تكريس حالة من انعدام الأمن والاستقرار وتفشي سياسة القمع والاستبداد التي مورست بشكل سافر من قبل الولاة العثمانيين، هذا فضلا عن تراجع الأحوال المعيشية للسكان الأمر الذي دفع بأعداد كبيرة من أبناء بلاد الشام إلى اتخاذ قرار الهجرة بحثا عن بيئة أكثر قدرة على تلبية شروط حياة أفضل مما هو عليه الحال في بلادهم. فنشطت حركة الهجرة إلى الخارج. وكانت مصر من أولى الجهات التي هاجر إليها الشوام بعد أن وجدوا فيها الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والحرية النسبية التي أتاحها النهج الإصلاحي للدولة الخديوية التي قطعت شوطا متقدما في خطط التحديث والإصلاح التي ابتدأت منذ عهد محمد علي باشا واستمرت بعد تولي أبناءه من بعده، وخصوصا في عهد الخديوي إسماعيل الذي عمل بدوره على استقطاب المثقفين والمتعلمين من مختلف الجنسيات إلى مصر للمساهمة في تنفيذ برامج الإصلاح والتحديث التي سعى من خلالها إلى بناء دولة عصرية تحاكي النموذج الأوروبي في مختلف جوانبها الإدارية والسياسية والاقتصادية والثقافية. فاستقبلت مصر المهاجرين الذين تفاعلوا مع البيئة الجديدة التي استقروا فيها، واندمجوا مع المجتمع المصري الذي كانت تربطهم فيه علاقات تاريخية مشتركة وعادات شرقية متقاربة، وأتاح لهم هذا فرص تحقيق نجاحات اقتصادية ملحوظة، وممارسة نشاطهم السياسي بهامش حرية أكبر مما كان متاحا لهم في بلاد الشام. هذا إلى جانب إسهاماتهم الثقافية والفكرية في مصر، والتي لامست مختلف حقول المعرفة؛ حيث أسسوا الصحف والمجلات، وأسهموا في حركة الترجمة والتعريب التي نقلت مختلف العلوم والآداب العالمية، إلى جانب دورهم في تنشيط حركة الطباعة ونشر الكتب، وكذلك إسهامهم المميز في بناء الحركة الفنية والمسرحية في مصر وغيرها من الحقول المعرفية التي شاركوا فيها بشكل فاعل ضمن حركة النهضة التي شهدتها مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

- المقدمة

تتناول هذه الدراسة موضوع الهجرة الشامية إلى مصر خلال النصف الثـاني مـن القـرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حيث شهدت هذه الفترة بروز وتكثف ظاهرة الهجرة من بلاد الشام إلى مصر ضمن نطاق حركة هجرة أوسع شملت مختلف البلدان في أوروبا وإفريقيا والأمريكيتين يمكننا تحديد بداياتها مع سنة 1860م، وهي السنة التي شـهدت أحـداث الفتنـة الطائفية في جبل لبنان ودمشق ونواحي أخرى عديدة في بلاد الشام، ممـا أدىإلـى انعـدام الأمن. وترافق ذلك مع تصاعد حدة التدهور الاقتصادي وعدم الاستقرار السياسـي النـاجمين عن السياسات الاستبدادية للحكم العثماني، مما أدى إلى تصاعد ظاهرة الهجرة الشـامية إلـى الخارج. وكانت مصر من أولى البلدان التي هاجر إليها الشوام خلال هذه الفترة، حيث استمر طوفان الهجرة إليها بشكل مضطرد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وزوال الحكم العثمـاني عن بلاد الشام في سنة 1918م.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول جانبا لم يتطرق إليه الباحثون فيما يخص مسـالة الهجرة من بلاد الشام، وهو المتعلق بالهجرة إلى مصر، فكثيرة هي الدراسات التـي تناولـت الهجرة الشامية إلى أوروبا وإفريقيا والأمريكيتين، فيما تكاد تنعدم أية دراسة تاريخيـة تلبـي شروط البحث العلمي حول الهجرة الشامية إلى مصر، فكل ما هنالك إشـارات مـوجزة فـي بعض الكتب جاءت غالبا بشكل عرضي بعيدا عن الدراسة المعمقة والمتخصصة، وحتى هـذه الإشارات لم تكن قادرة على رسم صورة ولو متواضعة عن الجوانب المتعددة فـي موضـوع الهجرة الشامية إلى مصر.

ومن هنا فان هذه الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء على مسالة الهجرة من بلاد الشـام إلـى مصر من خلال محاولتها الإجابة على العديد من التساؤلات المرتبطة ارتباطـا وثيقـا بهـذا الموضوع ومنها:

أسباب الهجرة من بلاد الشام، دوافع الهجرة إلى مصر، الأوضاعالعامة في مصـر والتـي أهلتها لتكون مركز استقطاب للمهاجرين، الفئات المهاجرة، طوائف المهـاجرين، شـرائحهم الاجتماعية، مستوياتهم الثقافية، منابتهم الجغرافية، اتجاهات هجرتهم إلى مصـر، حضـورهم الاقتصادي، حياتهم الاجتماعية، علاقتهم مع المجتمع المصري، علاقتهم مع الدولة المصـرية،

موقفهم من الاحتلال الإنجليزي في مصر، نشاطهم السياسي، دورهم وإسهاماتهم المعرفية في الحياة الفكرية والثقافية في مصر والمنطقة العربية.

وللوقوف على هذه الجوانب فقد قسمت الدراسة إلى أربعة فصول رئيسة:
تناول الفصل الأول أسباب الهجرة من بلاد الشام، انطلاقا من فرضية مفادها أن عامل الدفع الأساسي الذي أدى إلى الهجرة كان ينبع من حالة انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الأحوال المعيشية التي أفرزتها مجموعة من الأسباب الناجمة عن سياسة الاستبداد العثماني، وتأثير المنازعات الطائفية، وضغوط التراجع الاقتصادي. حيث تفاعلت هذه العوامل مجتمعة لتؤدي في المحصلة إلى هذا الواقع، مما دفع باتجاه بروز وتكثف ظاهرة الهجرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

في مقابل ذلك تناول الفصل الثاني عوامل الجذب التي جعلت من مصر قبلة للمهاجرين من خلال تركيزه على الجوانب المتعلقة بتجربة الحكم المصري لبلاد الشام (1831-1840م) ومدى تأثيره على اختيار الشوام لمصر كوجهة للهجرة، فضلا عن مناخات الحرية والأمن والازدهار الاقتصادي التي تميزت بها مصر في تلك الفترة مقارنة مع بلاد الشام.هذا إلى جانب تناوله لموقف الاحتلال الإنجليزي لمصر من الهجرة ودوره في استقطاب المهاجرين. كما تناول هذا الفصل جوانب متعددة مرتبطة بالهجرة إلى مصر بهدف التعرف على فئات المهاجرين ومنابتهم الجغرافية، والأماكن التي استقروا فيها في مصر بعد هجرتهم وأسباب اختيارهم لتلك الأماكن.

أما الفصل الثالث، فرصد الحضور الاقتصادي للمهاجرين، والنجاحات الملحوظة التي حققوها في مختلف المجالات الاقتصادية، إضافة إلى إعطاءه صورة عن طبيعة الحياة الاجتماعية التي عاشها الشوام في مصر ومدى اندماجهم في المجتمع المصري، مع تركيزه على دورهم في الحياة السياسية في مصر وموقفهم من القضايا السياسية المصرية، وكذلك نشاطهم السياسي المتعلق ببلاد الشام.

وأخيرا عالج الفصل الرابع حقيقة الدور الذي لعبه المهاجرون الشوام في حركة النهضة الفكرية والأدبية والثقافية التي شهدتها مصر والمنطقة العربية خلال تلك الفترة، من خلال استعراضه لإسهامات المهاجرين الشوام في كافة المجالات المعرفية وخصوصا في ميادين: الصحافة، الترجمة، التمثيل، الطباعة ونشر الكتب والجمعيات الأدبية والعلمية، حيث كانت

جهودهم في هذه المجالات واضحة، واعتبروا من الرواد الأوائل فيها، وأسهموا من خلالها بشكل فاعل في حركة النهوض الثقافي والأدبي والمعرفي التي شهدتها مصر والمنطقة العربية في تلك الفترة.
وأنهيت الدراسة بخاتمة دونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يتعلق بهجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

اعتمدت الدراسة على مصادر متنوعة، شملت مجموعة من الوثائق الهامة المنشورة وغير المنشورة التي استندت إليها في التعرف على العديد من الجوانب المتعلقة بالهجرة، وكانت السجلات الكنسية التي تمكنت من الوصول إلى المعلومات المدونة فيها مهمة في تقديم معطيات عديدة عن المهاجرين الشوام إلى مصر، وخصوصا فيما يتعلق بالتعرف على الفئات المهاجرة والشرائح الاجتماعية وأسماء ابرز العائلات المهاجرة وطوائفها الدينية، فضلا عن المنابت الجغرافية للمهاجرين من بلاد الشام، إضافة إلى التعرف على اتجاهات الهجرة وأماكن استقرار المهاجرين في المدن المصرية المختلفة. وفي الواقع إن الوصول إلى هذه السجلات الغنية بما تحويه من معلومات كان صعبا وشاقا، واصطدم بالعديد من العقبات والحواجز التي حدت من إمكانية الاستفادة بشكل أكبر مما حوته من معلومات بعد التحفظ الشديد من قبل القائمين على حفظ هذه السجلات في تقديم ما يلزم من معلومات. ورغم هذا فقد تمكنت من الحصول على معلومات مهمة من بعض السجلات المحفوظة في كل من بطريركية الروم الكاثوليك في حي شبرا فيالقاهرة، والتي رمزت لها بـ (س.ر.ك)، وكنيسة الروم الأرثوذكس السوريين في شارع جوهر في الإسكندرية، ورمزتلها بـ(س.ر.أ). تعلقت بالدرجة الأولى بسجلات العماد والزواج والوفيات التي أفادت في التعرف على العائلات المهاجرة وطوائفها ومنابتها الجغرافية وأماكن استقرارها في مصر ومجالات العمل المختلفة التي مارستها بعد هجرتها.

وللتعرف على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها بلاد الشام خلال فترة الدراسة ومدى تأثيرها على الهجرة، كانت وثائق لجنة بيروت الدولية التي تشكلت من مندوبين عن كل من الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا وغيرها للتحقيق في أحداث 1860م، كانت هامة في التعرف على واقع الحال بشكل أكثر دقة استنادا للأرقام والمعطيات التي قدمتها تلك الوثائق، وكذلك الحال مع وثائق ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على بلاد الشام. بالإضافة إلى وثائق المحفوظات الملكية المصرية التي حوت معلومات هامة تتعلق بالعلاقات الشامية

المصرية في عهد محمد علي، وخصوصا إبان الحكم المصري لبلاد الشام حيث تناولت هذه الوثائق جوانب إدارية وسياسية واقتصادية واجتماعية هامة أفادت الدراسة بشكل كبير.

إلى جانب هذا اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر الأولية، وخصوصا تلك التي وضعها المهاجرون أنفسهم. وشملت هذه المصادر مؤلفات تاريخية وسياسية وفكرية وأدبية غنية ومتنوعة كمؤلفات: جرجي زيدان، محمد كرد علي، محمد رشيد رضا، شبلي شميل، أديب اسحق، عبد الرحمن ألكواكبي. وكذلك اعتمدت على أعداد متنوعة من الصحف والمجلات التي أسسها الشوام أنفسهم في مصر مثل مجلات المنار والمقتطف والهلال، وجرائد الأهرام والمقطم حيث أفادت هذه المصادر في التعرف على كثير من المسائل المتعلقة بالموضوع وخاصة فيما يتعلق بالنشاط السياسي للمهاجرين في مصر ومواقفهم من القضايا المصرية المختلفة بالإضافة إلى دورهم الرائد في إرساء دعائم الحركة الصحافية و الفكرية والثقافية في مصر. كما اعتمدت على مجموعة من المراجع العربية والأجنبية والدراسات والمؤتمرات والندوات والمعاجم التي حوت في صفحاتها مادة علمية على صلة بموضوع هذه الدراسة، دونتها جميعا في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

إن أهم عقبة واجهتني خلال إعدادي لهذه الدراسة هي صعوبة الحصول على المعلومات المستندة إلى السجلات كما أشرت سابقا، هذا إلى جانب ندرة المصادر التي تتناول تاريخ الهجرة الشامية إلى مصر، فكان المجهود مضاعفا لتجميع المادة العلمية من المراجع المتنوعة.

أما الصعوبات الموضوعية فتتعلق بالواقع المعاش الذي يعيشه شعبنا الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني، وما يفرضه من ضغوط وحصار وإغلاقات وقيود على التنقل والسفر وغيرها من إجراءات تعيق القدرة على الوصول لمصادر المعلومات وتؤخر من عملية البحث.

وأخيرا فإنني أثني على ما قاله العماد الأصفهاني:" إني رأيت انه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لوغُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل.وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر ".

ماهر محمد درويش

الفصل الأول

دوافع الهجرة من بلاد الشام

قبل الخوض في الدوافع الرئيسية التي أدت إلى الهجرة من بلاد الشام، لا بد لنا من التطـــرق لبعض المنطلقات والمفاهيم العامة التي ارتكزت إليها في دراستي لهذا الموضوع. حيث تبرز مجموعة من الإشكالات التي قد يؤدي تجاهلها إلى بعض الغموض الذي من شأنه إحداث خلل منهجي، وإفقاد الدراسة وحدتها الموضوعية. خصوصا أن الفترة الزمنية التي تعالجها الدراسة

كانت مصحوبة بأحداث ومتغيرات متسارعة عكست بظلالها على الكثير من المسائل التاريخية التي توجب توضيح عدد من المفاهيم قبل الخوض في فصولها المختلفة،

وعليه، فمن المهم القول أن بلاد الشام التي كانت تابعة للدولة العثمانية خلال فترة هذه الدراسة، لم تكن تشكل وحدة إدارية ضمن ولاية عثمانية واحدة، بل تعددت تقسيماتها الإدارية من فترة لأخرى تبعا للتغيرات الإدارية التي كانت تستحدثها الدولة العثمانية من حين إلى آخر. فقبل سنة1864م تقاسمت بلاد الشام ولايات حلب و دمشق و طرابلس وصيدا. وبعد صدور قانون الولايات سنة 1864م انقسمت بلاد الشام بين ولايتين كبيرتين هما حلب ودمشق التي أطلق عليها منذ ذلك الحين اسم "ولاية سوريه ". امتدت ولاية حلب شمالا عبر الأناضول حتى عينتاب وديار بكر، بينما ضمت ولاية سورية كل من دمشق وبيروت بالإضافة إلى الولايتين السابقتين اللتين ألحقتا بها وهما صيدا وطرابلس[1]. والى جانب هتين الولايتين فقد أوجد قانون الولايات عدة سناجق اتبعت مباشرة إلى نظارة الداخلية في استانبول هي: سنجق جبل لبنان، وسنجق القدس، وسنجق دير الزور. وفي سنة 1888م تم توحيد المنطقة الساحلية الممتدة من طرابلس حتى عكا في ولاية جديدة سميت بولاية بيروت فضمت آنذاك إلى كل من ألوية طرابلس، بيروت، عكا،ونابلس[2].

أما بخصوص مصطلحي "بلاد الشام" و"سورية "، فيصعب الاتفاق على تعريف واحد لهذين التعبيرين. فثمة استخدامات شتى لهما تحمل مضامين جغرافية وإداريةتختلف باختلاف المراحل التاريخية حيث يخضع التعريف لإشكالات عديدة: "التقسيم الإداري المعتمد من قبل السلطة المركزية، التمثل القومي واتجاهاته الأيديولوجية التي تستقي مبرراتها من التاريخ والجغرافيا، وكذلك مجموعة المصالح التي تحرك قوى بشرية معينة وتدفعها إلى صياغة تحديد جغرافي يتلاءم مع اتساع هذه المصالح "[3].

---

[1] عوض، عبد العزيز :الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1969م، ص61-70؛ انظر أيضا Tibawi.A.L: Amodern History of Syria,London,1969, P.136

[2] التميمي، محمد. ومحمد بهجت: ولاية بيروت، ج1، ط3، بيروت، دار لحد خاطر، 1987م ص9.

[3] كوثراني، وجيه: بلاد الشام.السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1978م، ص17.

وحيث أن تعبير"سورية"*تحديدا استخدم للدلالة على أكثر من معنى في فترات تاريخية متفاوتة، فإنني وجدت من الأنسب استخدام مصطلح بلاد الشام الذي يبقى أكثر وضوحا للدلالة على المنطقة الجغرافية التي نتناولها في هذه الدراسة والتي عرفها محمد كرد علي في كتابه خطط الشام بقوله:"...حد الشام ينتهي بسفوح جبال طوروس...إلى ما وراء خليج الإسكندرونة لجهة ارض الروم... وما كان من جهة الشام على ضفة الفرات فهو شام وما كان على الضفة الأخرى من الشرق فهو عراق...كما أن أيلة هي آخر الحجاز وأول الشام، والعريش أو رفح هي حد الشام الجنوبي الغربي "[1].

يرتبط بما سبق لفظ "الشوام" ودلالته. فقد استخدم هذا اللفظ تاريخيا للإشارة إلى سكان بلاد الشام، ونحن نستخدمه هنا ضمن هذا السياق كتعبير إصطلاحي للإشارة إلى من هاجر من هذه المنطقة، حيث عرفوا بهذه التسمية أيضا لدى المصريين الذين كانوا يطلقون أسماء عديدة لتحديد الوافدين إلى أراضيهم. فإلى جانب الشوام كان في مصر مهاجرين من بلاد المغرب العربي أطلقوا عليهم اسم "المغاربة"، وكذلك الأوروبيون سموهم "الأجانب"، وبقايا الأتراك والشراكس وهم "المماليك"، وأوروبيو شرق أوروبا اصطلحوا على تسميتهم "يونان" [2].
ومن هنا فان المقصود بـ"المهاجرون الشوام" كل من هاجر إلى مصر من المناطق التابعة للولايات العثمانية في بلاد الشام والتي تشمل حاليا سوريا وفلسطين ولبنان والأردن. مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار ورود لفظة " سوري" أو " لبناني" أو" فلسطيني" في بعض الفقرات وخصوصا في النصوص المقتبسة، وهي أينما وردت تأتي متناغمة مع التعريف السابق ولا تخرج عن إطار الدلالة العامة للفظ "الشوام"، والذي ورد كذلك في كثير من المصادر والمراجع والدراسات التي تناولت المهاجرين إلى مصر من بلاد الشام.
ولا بد من القول إن نظرة عامة على مختلف فصول هذه الدراسة، وما احتوته من قضايا ومعلومات، فسنلحظ أنها تتعلق بالدرجة الأولى بالمهاجرين الذين غادروا من المناطق التي تتشكل منها دولتي سوريا ولبنان الحاليتين، حيث شكل هؤلاء النسبة العظمى من مجموع المهاجرين إلى مصر. هذا بالإضافة إلى أن هذه الدراسة إذ تتناول الهجرة الشامية إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فإنها تأخذ بعين الاعتبار

* إلى جانب "سورية الطبيعية"، يوجد مصطلح "سورية الكبرى"، وكذلك اختلفت حدود سورية التي كانت إحدى الولايات العثمانية، عن حدود سورية التي أخضعت للانتداب الفرنسي، وكذلك عن حدود سورية الحالية. انظر كوثراني، وجيه:المرجع نفسه، ص17.

[1] كرد علي، محمد: خطط الشام، ج1، ط2، بيروت، دار العلم للملايين، 1970م، ص10.

[2] علي يوسف: مصر. جريدة المؤيد، القاهرة، 15ابريل / 1890م، ص1

حقيقة تاريخية هامة تتعلق بانتماءات المهاجرين الدينية، حيث كانوا في غالبيتهم من أبناء الطوائف المسيحية.

ولعل هذه الحقيقة - المنبت الجغرافي والانتماء الديني، تأتي منسجمة مع طبيعة الأوضاع والتطورات السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي شهدتها بلاد الشام ومصر خلال فترة الدراسة، وما أحدثته من نتائج أدت إلى بروز أسباب الهجرة في هذه الجهات وعلى تلك الطوائف بشكل اكبر من أسباب الهجرة لدى المناطق والفئات الاجتماعية الأخرى في بلاد الشام.

أما أسباب ودوافع الهجرة ، فبعد الإطلاع على المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع الدراسة، توصلت إلى أن بروز وتكثف ظاهرة الهجرة من بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مرتبطا بحالة انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الأحوال المعيشية التي أصبحت تعاني منها بلاد الشام آنذاك. يؤكد هذا ما ساقه سليمان البستاني إذ يقول: " إن المهاجرة من البلاد العثمانية فئتان: فئة فرّت من البطش والاغتيال، وفئة جلت في طلب الرزق، ومرجع هجرة كلا الفريقين إلى الاستبداد "[1]، ويؤيده الشيخ حسن طبارة* في معرض تناوله لمسالة الهجرة من بلاد الشام في المؤتمر العربي – السوري الأول في باريس سنة 1913م بقوله : " إن المهاجرة ناشئة عن ضيق المعيشة وضيق المعيشة ناتج عن الاضطهاد وسوء الإدارات " [2].

وفي الواقع أن دوافع متعددة سياسية وطائفية واقتصادية كانت قد تضافرت لتؤدي في المحصلة إلى هذا الوضع الذي شكل عامل طرد باتجاه هجرة أعداد متزايدة من الشوام إلى الخارج. فبخصوص الدوافع السياسية يقول جرجي زيدان: " إن سوريا كانت تئن تحت الحكم الحميدي الذي تقيدت فيه الأفكار والأقلام، وانتشرت الجاسوسية وصودرت الحرية، فأخذ أرباب الأقلام الحرة في المهاجرة إلى مصر ينشئون الجرائد والمقالات أو الكتب "[3].

---

[1] البستاني، سليمان: عبره وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق خالد زياده، ط1، بيروت، دار الطليعة، 1978م، ص167.

* صحفي من مواليد بيروت سنة 1871م. أنشأ صحيفة الإتحاد العثماني سنة 1908م، وناصر الحركة الإصلاحية التي قامت في بيروت والمطالبة باللامركزية. انتخب للمشاركة في المؤتمر العربي السوري الأول في باريس. إعتقله الأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى وأعدموه مع عدد من دعاة القومية العربية سنة 1916م. أنظر ألزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط12، ج1، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م، ص113.

[2] يزبك، إبراهيم: مؤتمر الشهداء، دط، بيروت، مطبعة جريدة اليوم، 1955م، ص196

[3] زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، دط، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1983م، ص421.

أما الدافع الطائفي والمتمثل في المنازعات الملّية التي كانت تشهدها جهات متعددة من بلاد الشام من حين إلى آخر، فقد مثل بدوره سببا قويا للهجرة، وخصوصا بعد سنة 1860م التي شهدت نزاعات دموية بين الدروز والموارنة في منطقة جبل لبنان امتدت فيما بعد إلى جهات أخرى في بلاد الشام كان أبرزها في مدينة دمشق التي شهدت مذبحةدموية بين المسلمين والمسيحيين، تلك النزاعات كان لها اثر كبير على حالة انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الأحوال المعيشية للسكان، وأدت فيما أدت إليه إلى "هجرة الآلاف من الناس إلى الخارج بحثا عن أماكن يضمنون فيها الأمان والتمتع بحق الحياة "[1].

ويبقى الدافع الاقتصادي من أهم أسباب الهجرة الشامية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بما أدى إليه من تدهور للأحوال المعيشية للسكان، بعد أن عكست ألازمات الاقتصادية التي شهدتها الدولة العثمانية بتأثيرها المباشر على النشاط الاقتصادي في بلاد الشام الأمر الذي دفع بآلاف من أهل البلاد للبحث عن أماكن أخرى لتامين مصدر الرزق.

إلى جانب هذه الدوافع الرئيسة الثلاثة كانت هناك عدة عوامل ثانوية أخرى شجعت على الهجرة، منها مثلا ما يتعلق بالرسائل التي كانت تصل من المهاجرين وهي تفيض في وصف بلاد المهجر وما فيها من حرية وحضارة، هذا إلى جانب ما كان يؤدي إليه عودة المهاجرين سواء في زيارات قصيرة أم لعودة دائمة واستقرار نهائي من تشجيع على الهجرة[2]، حيث كان مظهرهم وتصرفهم يدل على تحسن أحوالهم المادية بما ادخروه في غربتهم الأمر الذي يكفي بحد ذاته ليكون دعاية وحافزا لغيرهم على اتخاذ قرار الهجرة ، فكان هؤلاء يقعون بين دفع وجذب؛ دفع إلى الهجرة للتخلص من أوضاعهم وسوء حالتهم، وجذب إلى البلاد التي يسمعون عنها ويقابلون نماذج غنية من العائدين منها[3].

وتأثير هذا تماما كتأثير السياح الذين كانوا يحجون إلى ألاماكن المقدسة و ينفقون بسخاء في إثناء زياراتهم بما يدل على رغد العيش في أوطانهم. بالإضافة إلى أثر المبشرين الذين كانوا يحيون في بحبوحة من العيش في بلاد الشام مما يعكس مدى الازدهار الاقتصادي في البلاد التي جائوا منها. وأخيرا لا نغفل جانب تجارة نقل المهاجرين إذ كان عملاء الهجرة

---

[1] ضو، أنطوان: حوادث 1860 في لبنان ودمشق لجنة بيروت الدولية، المحاضر الكاملة 1860-1862م، ج2، ط1، بيروت، مؤسسة مختارات، 1996م، وث50، ص 546.

[2] سليمان سعد. المهاجرة، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج8، ج1، كانون ثاني-شباط /1931، ص753.

[3] Orfalea.G:.Before The Flames. Aqust for the History Of Arab Americans ,Texas,1989, p.112

والمقرضون يتولون إغراء الشباب بالهجرة وتسهيلها لهم بتحمل نفقات العيش والإقامة في المهجر على أن يقوموا برد هذه المبالغ مع الفائدة[1].

وسوف نستعرض في هذا الفصل الدوافع الرئيسية التي أدت إلى حالة انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الحالة المعيشية وما مثلته من عوامل طرد باتجاه بروز وتكثف ظاهرة الهجرة الشامية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين والتي لم تكن مقصورة على التوجه إلى مصر وحدها، بل شملت مختلف البلدان في أوروبا وإفريقيا والأمريكيتين.

أولا - الدافع السياسي:

كان للوضع السياسي المضطرب الذي شهدته الفترة موضع الدراسة أثر بارز في زيادة التدهور الأمني وحالة عدم الاستقرار التي ميزت بلاد الشام آنذاك. ويمكن القول إن انعكاس الوضع السياسي على حالة عدم الاستقرار وما أدى إليه هذا الأمر من تزايد حالات الهجرة إلى الخارج ارتبط بالدرجة الرئيسية بعاملين أساسيين يتمثلان ببدء النشاط السياسي وظهور جيل من المثقفين الذين اخذوا على عاتقهم حمل راية الدعوات الإصلاحية والتحررية والمطالبة بحقوق السكان في الولايات الشامية من ناحية، وبالسياسة التي كانت تمارسها الدولة

---

[1] أكمير، عبد الواحد:العرب في الأرجنتين، النشوء والتطور، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2000م، ص21.

العثمانية تجاه ولايات بلاد الشام وممارسات السلطان عبد الحميد الثاني تحديدا من ناحية أخرى[1].

فقد شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر انبعاث نهضة فكرية وإصلاحية وظهور اتجاهات سياسية متعددة، وخصوصا في صفوف المثقفين الذين احتكوا بالحضارة الغربية من خلال الإرساليات التبشيرية الأوروبية التي فتحت لهم المدارس ومنحتهم فرصة التعليم وأسست المطابع ونشرت الكتب[2]، الأمر الذي أدى إلى تعمق وعيهم السياسي والفكري وتأثرهم بالأفكار الغربية كأفكار الثورة الفرنسية وما كانت تدعو إليه من حرية ومساواة[3]، فبدأوا يوجهون انتقادهم للدولة العثمانية والدعوة إلى الإصلاحونيل الحرية والمساواة والمطالبة بالدستور والحد من صلاحيات السلطان العثماني.

إن ما دعا إليه هؤلاء المثقفون على مدى سنوات النصف الثاني من القرن التاسع عشر خلال عهد السلطان عبد الحميد كان يندرج بمجمله تحت عنوان عريض يدعو إلى الإصلاح بعد أن تبينوا أن " الأوضاع فاسدة وأن الإصلاح أصبح ضرورة ملحة "[4]متأثرين بمواقفهم ودعوا تهم هذه بالأفكار التحررية الأوروبية.

يجمل نقولا زيادة القضايا والدعوات التي طرحت في تلك الفترة في عدد من النقاط:

1 – الدعوة إلى توضيح معنى الوطن والمواطنة واعتبارها أساسا لعلاقات الناس بعضهم ببعض.

2- الدعوة إلى الحرية والمساواة والعدل والتحرر في السياسة والمجتمع واللغة والأسلوب الأدبي.

3- الدعوة إلى الحد من الحكم المطلق والمناداة بالدستور كسبيل إلى الإصلاح[5].

---

[1] سليمان سعد: مرجع سابق، ص753.

[2] شرابي، هشام: المثقفون العرب والغرب، عصر النهضة 1875-1914م، ط4، بيروت، دار النهار، 1991م، ص64.

[3] خوري، رئيف:الفكر العربي في عصر النهضة، اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي، ط1، بيروت، دار المكشوف، 1943م، ص91.

[4] زيادة، نقولا: شاميات، دراسات في الحضارة والتاريخ، دط، لندن، دار رياض الريس، دت، ص251.

[5] زيادة، نقولا: مرجع سابق، ص 249.

ومن الملاحظ أن الشعور القومي أيضا أخذ يتنامى في صفوف عدد من المثقفين والمفكرين الشوام في تلك الفترة، إلا أن نموه في عهد السلطان عبد الحميد كان بطيئا لا يكاد يلحظ [1]، فيما نجده يظهر بشكل أكثر وضوحا مع بدايات القرن العشرين ، حيث شهدت بلاد الشام ظهور الدعوات القومية الداعية إلى نوع من الاستقلال الذاتي عن العثمانيين في البداية ، ومن ثم تطورت هذه الدعوات لتنادي بالاستقلال التام والانفصال عن العثمانيين وإقامة كيان مستقل يعتمد على الرابطة القومية . وكان من ابرز تلك الدعوات التيار القومي العربي الذي تنامي بشكل واضح مع بدايات القرن العشرين واشتد عوده بعد الانقلاب العثماني واستعادة العمل بالدستور سنة 1908م، وخصوصا بعد تنكر جماعة الاتحاد والترقي للحقوق العربية وإتباعهم لسياسة التتريك، وأصبح أكثر قوة وتنظيما وفعالية مع الحرب العالمية الأولى[2].

كان من الطبيعي أن تصطدم تلك الدعوات مع التوجهات العثمانية، وبالتالي فقد سعى العثمانيون إلى مواجهة أصحابها واتخاذ تدابير تعسفية تجاههم لدرء خطر الأفكار التي يدعون إليها، حيث كان السلطان عبد الحميد يرى في تلك الأفكار خطرا يتهدد السلطنة العثمانية ككل، ويصف أصحابها بأنهم " عصابة منافقة.. تنكرت لدينها ووطنها "[3]، وانجرت وراء الأفكار الأوروبية المستوردة والمسمومة التي تشكل خطرا وكارثة أليمة [4]. فعبد الحميد ربط بين عدائه لأوروبا وبين مناصبته العداء لدعاة الإصلاح، وبالتالي فقد واجههم بسياسة متشددة وتعسفية في محاولته كبح جماحهم [5].

من خلال تتبعي لتواريخ هجرة المثقفين الشوام، وجدت أن اغلبهم هاجروا بعد تعليق العمل بالدستور سنة 1876م، حيث كان عبد الحميد يرى أن البلاد " لم تتطور التطور الكافي لتقبل الحكم الدستوري "[6]، وبالتالي فان " تطبيق الدستور وتشكيل حكومة نيابية يعني حدوث الفوضى وانقسام الناس شيعا وأحزابا يقاتل بعضها بعضا ويؤدي بالدولة العثمانية إلى الخراب"[7]. لهذا نجده يعلق الدستور ويحل مجلس النواب ويستتبع ذلك بسلسلة من الإجراءات

---

[1] أنطونيوس، جورج: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة ناصر الدين الأسد، ط8، بيروت، دار العلم للملايين، 1987م، ص173.

[2] المرجع نفسه، ص 185.

[3] عبد الحميد الثاني، السلطان: مذكراتي السياسية 1891-1908م، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1979، ص46

[4] المرجع نفسه، ص196.

[5] البستاني ، سليمان : مرجع سابق، ص42.

[6] عبد الحميد الثاني، السلطان: مرجع سابق، ص104.

[7] المرجع نفسه، ص105.

القمعية الضاغطة التي ميزت سنوات حكمه على مدى ثلاث وثلاثين سنة (1876-1909م). وتجلى هذا الضغط بمظاهر متعددة من الاستبداد؛ شملت التضييق على المثقفين والنشطاء السياسيين من دعاة الإصلاح والزج بهم في السجون، ووضع رقابة على الصحافة والتعليم والنشاط السياسي[1]، وفرض الغرامات المالية عليهم ، فضلا عن إغلاق الصحف أو توقيفها إلى اجل محدود أو غير محدود لأسباب واهية، وإصدار القوانين المقيدة لحرية الرأي والتأليف والحرية الصحافية[2]، وغيرها من الإجراءات التعسفية التي أدت إلى انعدام الاستقرار والشعور بالأمان. وفي ذلك يقول نقولا زيادة: "كانت ضربة عبد الحميد شديدة، وكان وقعها أليما. ولكن أمعن في الأذى والإيلام من الضربة نفسها كانت سيرة الإدارة العثمانية في أيام عبد الحميد، فقد ضيق على الناس الخناق وأحكمت عليهم المنافذ، فحيل بينهم وبين العدل والأمن وأصبحوا يعيشون تحت رحمة حكام يندر بينهم من لا يريد رضى السلطان وحاشيته بأي ثمن، وطوقتهم شبكة من الجواسيس وأطلق السلطان لنفسه العنان حكما وتعسفا "[3].

لقد كرس عبد الحميد من خلال سياسته المناوئة للنشطاء السياسيين ديكتاتورية فظة، يدعمه في ذلك عدد كبير من الإقطاعيين الذين استلموا الجهاز الحكومي، فاستشرى البوليس السري في جميع الولايات، وتوسع جيش المخبرين والمأجورين[4]، وغدا القمع الوحشي هو الأسلوب الوحيد للقضاء على أصحاب الآراء التنويرية وكل مناد بالإصلاح، مما اضطر الكثيرون منهم إلى مغادرة وطنهم " بعد أن باتت معيشتهم في بلاد السلطنة من المستحيلات ، فلا أولوا الأمر يطيقون إقامتهم بينهم ، ولا هم بقيت لهم طاقة على تحمل الضيم ، وخصوصا أنهم باتوا على شفا المهالك والمخاطر المحدقة بهم من كل صوب "[5].

وبالفعل، فان طلائع المهاجرين الشوام كانوا من أولئك الذين عانوا من الاستبداد والظلم الذي لحق بهم بسبب آرائهم السياسية ودعواتهم التحررية ومناداتهم بالإصلاح[6]، فأديب اسحق[*] مثلا مثلا والذي كان من المبشرين بأفكار الثورة الفرنسية آنذاك ، لم يجد بدا من الهجرة بعد أن

---

[1] صليبا، نجيب: الهجرة من سوريا، ط1، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، 1985م، ص 74

[2] طرازي، فيليب: تاريخ الصحافة العربية، مج1، ج2، دط، بيروت، المطبعة الأدبية، 1913م، ص7.

[3] زيادة، نقولا: مرجع سابق، ص265.

[4] الحكيم، يوسف: سورية والعهد العثماني، دط، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1966م، ص34.

[5] البستاني، سليمان: مرجع سابق، ص 180.

[6] كوثراني، وجيه: السلطة والمجتمع والعمل السياسي، من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، دط، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988م، ص152.

[*] كاتب وصحفي من دعاة الإصلاح. ولد في دمشق سنة 1856م. أنظر المقدسي،أنيس :الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة،ط2 ، بيروت دار العلم للملايين ،1978م،ص411.

لمس التدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في ظل الاستبداد والتخلف العثماني فأخذ يدعو إلى التغيير والإصلاح و" التقيد بقوانين يشترك الشعب في وضعها، وتحقيق المساواة وسريان قانون واحد على جميع المواطنين ، لا فرق بين غني وضعيف وقوي وبين أبناء مذهب ومذهب آخر "[1]. وقد سببت له دعواته هذه ملاحقة السلطات العثمانية ومضايقته مما دفعه إلى ترك دمشق والهجرة إلى مصر سنة 1881م[2]. وكذلك الحال مع محمد رشيد رضا** الذي هاجر إلى مصر سنة 1898م كرد فعل على التدابير البوليسية والاستبدادية التي لجأ إليها السلطان عبد الحميد، وبسبب استحالة التعبير عن الآراء والأفكار التي كان يدعو إليها.

يروي محمد رشيد رضا قصة هروبه إلى مصر مع فرح أنطون*** فيقول:" لما أردت السفر كتمت الخبر حتى لا يبلغ رجال الحكومة في طرابلس، فأعطيت كل ما أريد حمله من متاع لفرح أنطون الأديب المشهور للاتفاق على أن نسافر معا في باخرة واحده.. ورافقني -إلى الميناء-الأستاذ صالح الرافعي ناظر النفوس وليس معنا أي شيء يدل على إرادتي السفر، ولما تساءل رجال البوليس عني قيل لهم: هذا ضيف طرابلسي عند ناظر النفوس. ولما استقر قدمي في الباخرة تنفست الصعداء وحمدت الله تعالى أن منّ علي الخروج من تلك البلاد وأنجاني من ذلك الوباء "[3].

ولحق برضا كذلك عبد الرحمن الكواكبي* الذي تقلد في حلب بعض الوظائف الرسمية وحاول أن يبعث أجزاء من الحرية عبر جريدتيه " الشهباء " و"الاعتدال "[4]، لكنه لم يستطع أمام ملاحقة جواسيس السلطان له أن يستمر في نشاطه الفكري في حلب حيث كان على صدام مستمر مع ولاة حلب الأتراك بما كان يعبر عنه من أفكار جريئة، الأمر الذي دفعه للهجرة

---

[1] إسحق، أديب: الكتابات السياسية والاجتماعية، جمع وتقديم ناجي علوش، ط2، بيروت، دن، 1982م، ص87

[2] المرجع نفسه، ص9.

** مفكر ومصلح من دعاة النهضة والتجديد. ولد في القلمون قرب طرابلس سنة1865م.أنظر ألزركلي، خير الدين:مرجع سابق، ج6، ص126.

*** كاتب وباحث وصحفي وروائي. ولد في طرابلس سنة1874م، وهاجر إلى مصر سنة 1898م، أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج5، ص141.

[3] رضا، محمد رشيد: رحلتان إلى سورية 1908-1920م، تحرير زهير ظاظا، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001م، ص11.

* مفكر وأديب ومصلح من دعاة التجديد. ولد في حلب سنة 1849م. أنظر زيدان، جرجي:تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ،ج1،ط3، بيروت، مكتبة الحياة ،دت،ص437.

[4] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج1، ج2، ص 200، 201.

إلى مصر سنة 1899م بعد خروجه من السجن[1]. وممن هاجروا أيضا هربا من القمع العثماني من المثقفين والنشطاء السياسيين، شبلي شميل** الذي يعتبر من أبرز مثقفي بلاد الشام في تلك الفترة، وقد هاجر إلى مصر تحت ضغط الملاحقة والإرهاب العثماني. وكذلك الشيخ طاهر الجزائري***حيث هاجر بدوره سنة 1907 م، بعد استحالة استمراره في خطه الإصلاحي في دمشق بعد أن ضيق عليه رجالات السلطان مما اضطره للهجرة إلى مصر[2] سائرا على خطى غيره من المثقفين الذين سبقوه . مثل خليل مطران****،قسطاكي الحمصي***** ، أنطون مارون ، سليم نقاش* ، رفيق جبور** ، عبد الحميد الزهراوي***وإسكندرعمون****[3] وغيرهم كثيرون سنتطرق إليهم في سياق هذا البحث.

---

[1] Husary.KH: Three Reformers, Astudy in Modern Arab Political Thought, Beirut : Khayat's, 1966, p.56

** طبيب وباحث وأديب. من مواليد كفر شيما في جبل لبنان سنة1853م. هاجر إلى مصر سنة 1877م، واشتغل في الصحافة والترجمة والتأليف، وكان من رواد الدعوة إلى الإشتراكية في مصر أنظر ألزركلي،خير الدين : مرجع سابق،ج3، ص155.

*** مصلح من علماء اللغة والأدب وعضو المجمع العلمي العربي، أصله من الجزائر ومولده في دمشق سنة1852م. أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج3، ص221.

[2] كوثراني، وجيه: السلطة والمجتمع، مرجع سابق، ص152.

**** شاعر وكاتب ومترجم من مواليد بعلبك سنة1871م، هاجر إلى مصر سنة1896م، وتولى تحرير صحيفة الأهرام عدة سنوات، وله عدة دواوين شعرية.أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج2، ص320.

***** كاتب وناقد وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق، من مواليد حلب سنة 1858م، هاجر إلى مصر سنة 1905م.أنظر ألزركلي، خير الدين:ج5، ص197.

* أديب ومترجم وكاتب مسرحي من مواليد بيروت، هاجر إلى مصر وساهم في حركة الترجمة، وألف كتاب مصر للمصريين في تسعة أجزاء.أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج3، ص117.

** مفكر من مواليد زحلة سنة 1892م، هاجر إلى مصر واشتغل في الصحافة وكان من دعاة الاشتراكية في مصر.أنظر السعيد، رفعت: ثلاثة لبنانيين في القاهرة، ط1، بيروت،دار الطليعة، 1973م، ص163.

*** من زعماء النهضة السياسية في بلاد الشام، ولد في حمص سنة 1855م، وهاجر إلى مصر ليمارس النشاط السياسي المناويء للعثمانيين، كان من دعاة اللامركزية وانتخب رئيسا للمؤتمر العربي السوري الأول في باريس سنة1913م. عاد إلى دمشق سنة 1916م وأعدمه جمال باشا في نفس العام. أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج3، ص288.

**** محامي وأديب ومترجم. من مواليد دير القمر في جيب لبنان سنة1857م، هاجر إلى مصر واشتغل في المحاكم وسلك القضاء، وألّف عدة كتب في القانون والأدب. أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج1، ص3.

[3] المقدسي، أنيس: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، ج1، ط1، بيروت، جامعة بيروت الأمريكية، 1949م، ص22.

لم تقتصر السياسة الاستبدادية العثمانية على المثقفين والنشطاء السياسيين فحسب، بل امتد القمع الحميدي ليشمل كافة النواحي التي من شانها تفتيح أذهان الناس إلى حقيقة الواقع السيئ الذي كانوا يعيشونه، فشدد الرقابة على المطبوعات ومنع نشر الكتب التي تتناول القضايا السياسية والفكرية، كما راقب التعليم في المدارس وحظر علوم السياسة والاجتماع [1].

وبعد أن اتخذ المثقفين والنشطاء السياسيين من الصحافة وسيلة فعالة لإشراك أوسع قطاعات الشعب في مهمة النهوض وفك أيدي الشعب من الأغلال وتحريره من الاستبداد والعبودية، استشعر عبد الحميد الخطر الناتج عنها بعد أن أصبحت ميدانا خصبا لنشر الآراء السياسية والدعوات الإصلاحية، وبالتالي فقد سعى إلى تضييق الخناق عليها والحد من الحرية النسبية التي كانت تتمتع بها معتبرا أنها تقوم بدور مناويء للسياسة العثمانية بما تحتويه من دعوات وأفكار تفسح المجال لإثارة الرأي العام وبالتالي فانه لا بد من وضع حد للدور الذي تقوم به[2]. يقول محمد كرد علي: " كان السلطان عبد الحميد يراقب الصحف التي لم تكن تتبع قانونا معينا، بل تعمل لإرضاء الوالي والتقرب له، وكان ذلك يعني عدم ذكر أي شيء يمس السلطان من قريب أو بعيد أو يمس رجاله وعماله وجيشه وإدارته وسياسته، وان لا يشير إلى مسألة تاريخية فيها ذكر للخلافة والحرية والشورى والدستور وقتل الملوك وخلعهم "[3] . كما انه " منع تداول الكثير من الألفاظكالعدل والمساواة والاغتيال والجمهورية ومجلس النواب ... وأصبحت الصحف في أيامه أبواقا تقدسه "[4].

وفي الواقع إن ظاهرة هجرة الصحافيين إلى الخارج، مصر وأوروبا، كانت واضحة في تلك الفترة بشكل جلي. ويمكن اعتبار تلك الظاهرة من أهم مظاهر الهجرة المرتبطة بانعدام الأمن والمدفوعة بأسباب سياسية، بعد أن تعرض الصحافيون لمضايقات عدة تجلت بشكل رئيسي بالقوانين التعسفية التي حدت من الحرية الصحافية بشكل أصبحوا معه غير قادرين على القيام بمهماتهم الصحافية. وخصوصا أن سلوك عمال الحكومة القائمين على تطبيق القوانين تجاه الصحافيين الذين يتجاسرون على نقد أعمال الحكومة كان يتجاوز ما هو منصوص عليه في الأنظمة والقوانين من عقوبات، لنجد أنهم كانوا يتسلحون بنصوص النظام للاقتصاص من الصحافيين بالكيفية التي تروق لهم، بل أنهم لم يكونوا يترددون في معاقبة الصحافي المخالف أو صاحب الصحيفة بالضرب المبرح، وفي أي مكان بما في ذلك منزل الصحفي وأمام ذويه.

---

[1] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص121.

[2] الرفاعي، شمس الدين: تاريخ الصحافة السورية في العهد العثماني 1800-1908م، ج1، دط، القاهرة، دار المعارف، 1969م، ص114.

[3] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص126.

[4] المرجع نفسه، ص 122.

فحرية الصحافة كانت مقيدة في عهد عبد الحميد بقيود المراقبة والاضطهاد والسجن والنفي والتعذيب.[1]

لهذا نجد أن عددا كبيرا من المهاجرين المثقفين الشوام كانوا من الصحافيين الذين انتقلوا إلى مصر، ومن هناك مارسوا نشاطهم الصحافي وأسسوا الصحف والمجلات المتنوعة، نذكر منهم فارس نمر[*] ويعقوب صروف[**] اللذان أسسا مجلة المقتطف في بيروت سنة1876م ومن ثم هاجرا إلى مصر ليعيدا إصدارها سنة1885م، وشاهين مكاريوس الذي شارك أصحاب المقتطف في إنشاء جريدة المقطم سنة1889م[2] ، ونجيب الحداد[***] الذي هاجر إلى مصر ونقل معه جريدته لسان العرب[3].

وممن هاجروا أيضا من أرباب الصحافة سليم تقلا[*] الذي أسس صحيفة الأهرام سنة1876م، وجرجي زيدان[**] صاحب مجلة الهلال التي تأسست سنة 1892م، وجورج طنّوس[***] أسس مجلة الكوثر1899م.

وإذا كانت الهجرة السياسية المدفوعة بانعدام الأمن والاستقرار نتيجة السياسة التعسفية قد امتدت طوال عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فان الحال استمر حتى بعد استعادة العمل بالدستور سنة 1908م وعزل السلطان عبد الحميد سنة 1909م. حيث بلغ الحكم التركي أشده في التعسف والاستبداد بعد أن اتجهت الإدارة في الدولة العثمانية التي أصبحت السلطة فيها بيد جمعية الاتحاد والترقي نحو المركزية المطلقة. كما التجأت جمعية الاتحاد والترقي لترجيح

---

[1] غريب، ميشال: الصحافة تاريخا وحاضرا، دط، بيروت، مطابع الكفاح العربي، 1978م، ص6.

[*] كاتب وصحفي من مواليد حاصبيا في لبنان سنة1856م.أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج5، ص127.

[**] أديب وصحفي ومترجم وعالم رياضيات، من مواليد الحدث قرب بيروت سنة1852م. أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج8، ص202.

[2] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج2، ج3، ص34.

[***] صحفي وأديب وشاعر من مواليد بيروت 1867م.أنظر ألزركلي،خير الدين : مرجع سابق،ج8،ص12.

[3] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج2، ج4، ص218.

[*] صحفي من مواليد كفر شيما في جيب لبنان سنة 1849م. هاجر إلى مصر سنة 1874م، وأسس صحيفة الأهرام سنة 1875م.أنظر زيدان،جرجي:تراجم مشاهير الشرق،مرجع سابق،ج2،ص121..

[**] أديب وصحفي وكاتب ومؤرخ من مواليد بيروت سنة 1861م. أنظر ألزركلي، خير الدين:مرجع سابق، ج 2، ص117.

[***] صحفي وكاتب مسرحي من مواليد بيروت سنة 1880م.أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج2، ص146.

المصلحة التركية وحكم الدولة على أساس سيادة العنصر التركي دون السماح لسكان الولايات من العناصر القومية الأخرى بأي نصيب من المشاركة في الحكم [1]، مع فرض اللغة التركية كلغة رسمية وحيدة في الدواوين والإدارات والمحاكم والمدارس. الأمر الذي زاد من حالة التذمر وألهب المشاعر القومية ضد الأتراك، الذين مارسوا أساليب القمع والاستبداد والملاحقة والإعدامات ضد النشطاء الذين وقفوا في وجه هذه السياسة. وأدى هذا بعدد منهم إلى الهجرة بحثا عن بيئة أكثر أمنا يتمكنون فيها من العمل على تحقيق أهدافهم. فهاجر الكثيرون منهم إلى مصر بعد أن أصبحت إلى جانب فرنسا مركزا للنشاط السياسي المتعلق بالقضية العربية في بلاد الشام طوال سنوات النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين[2].

ثانيا - الدافع الطائفي:

تضم بلاد الشام تنوعا طائفيا واضحا، فإلى جانب المسلمين السنة، يوجد المسلمون الشيعة والدروز والعلوية والإسماعيلية واليزيدية والبهائية. كما توجد الطوائف المسيحية بمختلف مذاهبها مثل الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت والموارنة واليعاقبة[3].

لقد كانت العلاقات الطائفية متوترة في كثير من الأحيان خلال القرن التاسع عشر، وعانت مناطق متعددة من بلاد الشام نزاعات وحروب وثورات طائفية اتخذت عدة أشكال ومستويات، حيث نجد أن بعضا من تلك النزاعات كانت تحدث من حين لأخر بين طائفة وأخرى، أو بين

---

[1] أنطونيوس، جورج: مرجع سابق، ص 181.

[2] المرجع نفسه، ص174.

[3] أبكاريوس، اسكندر: نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان، تحقيق عبد الكريم السمك، ط1، بيروت، دار رياض الريس، 1987م، ص 52.

إحدى الطوائف وبين السلطة المركزية، بالإضافة لخلافات ومنازعات داخلية بين أبناء الطائفة الواحدة [1].

إلا أن تلك النزاعات ازدادت حدة في الفترة الممتدة ما بين سنتي 1840م و1860م، حيث كانت بدايتها مع خروج الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا من بلاد الشام بموجب مؤتمر لندن الدولي الذي عقد في 15 تموز 1840م، واستمرت على مدى عشرين سنة، حتى التدخل العسكري الفرنسي المباشر الذي تم بموجب مؤتمر باريس في 3 آب 1860م للإسهام في إعادة الهدوء إلى بلاد الشام[2].

وعلى الرغم من تركز الأحداث الطائفية في منطقة جبل لبنان بالدرجة الرئيسية، والتي عانت من نزاعات متعددة في تلك الفترة بين الدروز والموارنة على وجه الخصوص، إلا أن إحداثا طائفية كانت قد وقعت في جهات أخرى و كان لها تأثيرها السلبي على حالة الاستقرار والأوضاع المعيشية للسكان. ففي سنة 1844م ثار أبناء الطائفة العلوية في اللاذقية احتجاجا على قيام الدولة العثمانية باعتقال زعمائهم، كما شهدت مدينة حلب في سنة 1845م حوادث طائفية بين المسلمين والمسيحيين تم خلالها إحراق ثلاث كنائس[3]. وفي حوران ثار الدروز سنة 1851م وامتنعوا عن دفع الضرائب للدولة، كما وقعت في السنة نفسها – 1851م- خلافات بين طائفتي الروم واللاتين في كل من القدس وبيت لحم بسبب التنافس على أحقية رعاية كنيستي القيامة والمهد. وشهدت نابلس كذلك شهدت سنة 1857م فتنة بين المسلمين والمسيحيين بعد أن قام بعض المسيحيين برفع علم فرنسا بمناسبة عيد ميلاد نابليون الثالث[4]. وثار على الدولة العثمانية في سنة 1858م الكلبية والنصيرية من الطائفة العلوية في اللاذقية أيضا، هذا بالإضافة إلى القلاقل التي شهدتها مدينة دمشق ومناطق أخرى من بلاد الشام في سنة 1860م[5].

---

[1] الخازن، فيليب وفريد: مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان 1840-1910م، ج1، دط، جونية، مطبعة الصبر، 1910م، وث52، ص88؛ انظر أيضا، المرجع نفسه، ج2، وث17، ص12، 13؛ ج3، وث66، ص133.

[2] المرجع نفسه، ج2، وث138، ص238.

[3] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص 76.

[4] شولش، ألكزاندر: تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م، ترجمة كامل العسلي، ط2، عمان، دار الهدى، 1990م، ص312.

[5] أبكاريوس، اسكندر: مرجع سابق، ص254.

أما في جبل لبنان، فإن الخلافات الطائفية كانت أكثر حدة وضراوة، وخصوصا بين طائفتي الدروز والموارنة[1]، وشهدت تلك المنطقة نزاعات دموية متعددة على مدى السنوات 1840م و1845م . ووصل الصراع الطائفي ذروته في سنة 1860م مع اندلاع الفتنة بين الدروز والموارنة[2].

وتعتبر هذه الفتنة والأحداث التي شهدتها بلاد الشام على خلفيتها، البداية الحقيقية لبروز وتكثف ظاهرة الهجرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[3]،نظرا لما أدت إليه من تأثيرات عميقة على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولما أحدثته من نتائج سلبية وتفشي مشاعر الحقد الديني،انعكست على حالة الاستقرار والأحوال المعيشية للسكان، حيث اشتد تيار الهجرة بسبب تلك الأحداث وتبعاتها.

يقول جرجي زيدان عن الأحداث الطائفية سنة 1860م وعلاقتها بالهجرة: " توالت القلاقل عليها واضطربت الأحوال فآل ذلك إلى مذابح عدة كان آخرها مذبحة سنة1860م، وتوسطت الدول ووضعت نظام لبنان ولم يكن ذلك كافيا لاستتباب الأمن فعمد أهله إلى المهاجرة واخذوا بالنزوح إلى أوروبا ومصر وغيرها، وازدادت الهجرة بتوالي المحن وأصبحت وجهتها في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر العالم الجديد في أمريكلم مصر لاسيما بعد الاحتلال الإنجليزي وتمكن الفساد في الحكومة العثمانية وكان أكثر المهاجرين من المسيحيين" [4].

تعود أسباب تلك الفتنة إلى تفاقم العداء بين الدروز والموارنة، والذي سبّبه الحكم المصري الذي أخل بالتوازن بين العناصر الرئيسية الثلاثة، مسلمين ومسيحيين ودروز أثناء سيطرته على المنطقة: ففي الوقت الذي ظل فيه الدروز أوفياء للسلطان العثماني وامتنعوا عن التجنيد في جيش إبراهيم باشا[5] ، دخل الموارنة في خدمته وأسهموا بشكل فاعل في حروبه ضد السلطنة وضد الدروز معا. وقد عمل إبراهيم باشا على تجريد الدروز من اسلحتهم[6] ، وبنفس

---

[1] Salibi.K:The Emergence of the Lebanese Republic,Berut ,Lebanon Bookshop,1969,p.73

[2] بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس، ط8، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م، ص573.

[3] ميخائيل سليمان، المهاجرون العرب إلى الولايات المتحدة الامريكية1880-1940م، المستقبل العربي، بيروت، س20، ع230، نيسان - ابريل /1998، ص20.

[4] زيدان، جرجي: ناريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص 373.

[5] رستم، أسد: المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام، ج3، بيروت، المطبعة الامركانية، 1940-1943م، وث وث 4066، ص14.

[6] المرجع نفسه،ج3، وث 4107، ص 19.

الوقت تسليح الموارنة ودفعهم لقتال الدروز في وادي التيم وحوران[1] وغيرها من المناطق التي شهدت مواجهات بين الجيش المصري والدروز[2] . كما قام بمصادرة أملاك الدروز وتوزيعها على المسيحيين وخصوصا أبناء الطائفة المارونية، مما أثار حنق الدروز وبث النقمة في نفوسهم[3].

إلى جانب هذا، فقد أصبحت الظروف ملائمة للدول الأوروبية بعد خروج إبراهيم باشا من بلاد الشام لاستغلال الوضع الداخلي وبث الأحقاد بين الطوائف المتعددة، لاتخاذ الخلافات فيما بين تلك الطوائف مدخلا لمد نفوذها وضمان وجود لها في المنطقة. فقد عملت فرنسا على رعاية الموارنة[4] ، فيما دخل الدروز تحت رعاية بريطانيا[5]،واستخدمت الدولتان كلا الطائفتين الطائفتين أدوات لها في التنافس على النفوذ في بلاد الشام، الأمر الذي فاقم من حدة الخلافات والمنازعات بينهما.

الدولة العثمانية بدورها كانت تهدف إلى إعادة تثبيت سلطتها المركزية في جبل لبنان، فعمدت هي الأخرى على إثارة الفتن والخلافات بين الطوائف لتتخذ منها ذريعة قوية لإعادة فرض سيطرتها[6].

إن تضافر مجمل تلك الأسباب، بالإضافة إلى رواسب الأحداث السابقة بين الدروز والموارنة في السنوات 1840 و 1845م، أدى إلى الفتنة الكبرى، حيث هاجم الدروز قرية بيت مري في 30 آب 1859م، وانتشرت الفوضى والقلاقل في عموم الجبل مرورا بالمتن وعين داره ودير القمر وجزين، لتمتد فيما بعد باتجاه صيدا وزحلة وغيرها من مناطق الجبل[7]،ومن ثم تتسع أيضا نحو مدينة دمشق التي شهدت هجوما شنه المسلمون على" حي النصارى " في المدينة ، حيث قاموا بإحراقه وتدمير ممتلكاته ، فضلا عن قتل عدة آلاف منهم[8] .

---

[1] رستم، أسد:الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي، ج4، ط2، بيروت، المكتبة البوليسية، 1987م، ص231

[2] رستم، أسد:المحفوظات الملكية المصرية، مرجع سابق، ج3، وث 4066، 5312، 5321، ص11، 339، 344.

[3] أبو شقرة، يوسف: الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، تحقيق عارف أبو شقرة، دط، دم: دن، دت.ص33؛ انظر أيضا ألخصوصي، بدر الدين :القضية اللبنانية في تاريخها الحديث والمعاصر،ط1،القاهرة ، مطابع سجل العرب،1978م، ص20

[4] الخازن، فيليب وفريد: مرجع سابق، ج1، وث 127، 128، 129، 132، 139، ص239-284.

[5] أبو صالح، عباس: تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، دط، بيروت، المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، دت، ص 244.

[6] أنطونيوس، جورج: مرجع سابق، ص 124.

[7] أبكاريوس، إسكندر: مرجع سابق، ص 88، 253.

[8] سويد، ياسين: تقارير ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا 1860-1861م، ط1، بيروت، شركة المطبوعات للنشر، 1992م، وث 5، ص 117

لم تقتصر الأحداث على منطقتي جبل لبنان ودمشق بل عمت الفوضى والإضطرابات أرجاء أخرى من بلاد الشام وان كانت حدتها اقل دموية وخرابا، فقد تعرضت حاصبيا الملحقة بولاية دمشق وتقطنها نسبة كبيرة من الروم الكاثوليك لهجوم من قبل الدروز، وكذلك الحال في راشيا التي تعرضت لهجوم أدى إلى إحراق أغلب بيوتها ونهب حوانيتها[1]، وشهدت نـواحي عكـار شمال شرقي طرابلس مناوشات متعددة ، كما تعرض المسيحيين لتعديات في المناطق الواقعـة في جهات حلب وحمص وحماة [2]، هذا بالإضافة إلى التهديدات المستمرة التـي تعـرض لهـا المسيحيون من قبل الدروز في منطقة حوران[3]. كما" كان القلق باديا على السكان المسـيحيين في عكا والناصرة والجليل إلا انه لم تقع حوادث " [4]، وكان الحال مشابها في القـدس وبيـت لحم. " ويبدو أن التواصل المستمر بين سكان تلك المنطقة مع الأوروبيين، قـد أدى إلـى أن تكون العلاقة أكثر تسامحا وكذلك الحال في الرملة ويافا " [5].

إن أحداث تلك الفتنة كانت شديدة في بشاعتها،وعانت الـبلاد حالـة مـن فقـدان الأمـن والاطمئنان، وتعرض السكان لعمليات قتل وتعديات وهدم بيوت وتدمير ممتلكات ومزروعات. وتروى القصص المتعددة عن حجم أعمال التخريب والقتل والدمار الذي حـل فـي منـاطق الأحداث، وتعطينا المصادر صورة واضحة عما آلت إليه الأمور أثناء تلك الأحداث.

يصف اسكندر أبكاريوس الأحداث في راشيا فيقول : " اتجه الدروز نحو راشيا التي صـمد أهلها من النصارى حتى نفذت ذخيرتهم فاحتموا داخل قلعة المدينة ، غير أن الدروز سـرعان ما حاصروها ، وما كاد النصارى يتأهبون للرحيل من القلعة حتـى هجـم الـدروز وبـدأت المذبحة ، فأطلق الدروز رصاص بنادقهم وانقضوا على النصارى بالفؤوس والمناجل وذبحوا أغلب المجتمعين حتى بلغ من قتل في راشيا حوالي (500) شخص "[6].

ويصف الإنجليزي تشارلز تشرشل الأحداث في البقاع: " كانت كميات من الدخان الأسـود تتصاعد من كل جانب من القرى المحروقة والمغزوة. ومن حين إلى آخر كان يمر مجموعات من المسيحيين المذعورين مسرعين إلى اقرب كهف في الجبل أو مخبأ في الأدغال أو مغـارة

[1] المرجع نفسه، وث5، ص 116.
[2] المرجع نفسه، وث 28، ص 214.
[3] المرجع نفسه، وث 28، ص218.
[4] المرجع نفسه، وث28، ص 217.
[5] المرجع نفسه، وث28، ص 218.
[6] أبكاريوس، اسكندر: مرجع سابق، ص170.

بين الصخور. فقد كان الرجال يقتلون في أماكنهم وكانت النساء تنهب ويخلى سبيلها، وعم البلاء حتى سهول بعلبك التي أرسلت إلى السماء لهيب الخوف والرعب "[1] .

أما في دمشق التي امتدت إليها هذه الفتنة هي الأخرى فقد تعرض المسيحيين بدورهم لتعديات من قبل فئات من المسلمين الذين هاجموا حي النصارى واحرقوه بالكامل ، "ودام الحريق والنهب والقتل عدة أيام"[2].

لقد خرج الأهالي بعد تلك الفتنة " وقد خسروا مادياتهم ومعنوياتهم، وافتقد العديد منهم موارد العيش وأصبحوا غير آمنين في حاضرهم على الإطلاق كما أن مستقبلهم غير مستقر "[3] . وتعطي لنا الوثائق والمصادر من خلال سردها لأعداد القتلى وحجم الدمار والأضرار الذي حل في مناطق الأحداث صورة عن حقيقة الوضع المتدهور لحالة الاستقرار والأمن والحالة الإقتصادية المعيشية التي وصلت إليها المناطق المنكوبة، فحجم الخسائر كان كبيرا في الأرواح والممتلكات، وقدر عدد القتلى بحوالي عشرة آلاف اغلبهم من المسيحيين، قضى منهم في جبل لبنان ستة آلاف، فيما الأربعة آلاف الآخرين قضوا في دمشق[4] .

أما الخسائر في الممتلكات فقد كانت بالغة هي الأخرى، وتشير وثائق محاضر لجنة بيروت الدولية إلى أن عدد القرى المحروقة في مناطق الخروب والتفاح وجزين وحاصبيا ومرجعيون بلغ (82) قرية فيما دمر (3183) منزلا فيها[5]، أما في الشوف فتذكر تلك الوثائق أن عدد القرى المتضررة بلغ (32) دمر فيها (1317) منزل[6]. وتعرضت (24) قرية في بعلبك و(30) و(30) قرية في البقاع لدمار شبه كامل[7]، أما زحلة فقد احرق وهدم أكثر من (1360) منزل من اصل (1800)منزل[8]، كما وصل عدد المنازل المهدمة في دير القمر إلى(711) منزلا[9].

---

[1] تشرشل، تشارلز: بين الدروز والموازنة في ظل الحكم التركي 184-1860، ترجمة فندي الشعار، دط، دم، دار المروج، 1984م، ص 95، 96.
[2] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص 87.
[3] المرجع نفسه، ص 94.
[4] أنطونيوس، جورج: مرجع سابق، ص125.
[5] ضو، أنطوان: مرجع سابق، وث 45، ص497.
[6] المرجع نفسه، وث 45، ص498.
[7] المرجع نفسه، وث 45، ص501.
[8] المرجع نفسه، وث 47، م ل 1، ص507.
[9] المرجع نفسه، وث 48، م ل 2، ص501.

وبخصوص الأضرار في دمشق، فقد بلغ عدد المنازل المهدمة والمحروقة حوالي (1125) منزل تشكل أغلبية منازل المسيحيين[1]، فيما يذكر كرد علي أن عدد المنازل والممتلكات والأديرة المهدمة في دمشق بلغ (3800)[2].

إلى جانب هذه الأضرار تراجع النشاط الاقتصادي بشكل حاد بعد تعرضه لضربة قوية خلال الأحداث، فالمزروعات تعرضت للإتلاف ونهبت المتاجر، كما هدمت الحوانيت وأماكن مزاولة الحرف والصناعات وتوقف التبادل التجاري[3]، ولم يعد بالإمكان مزاولة النشاط الزراعي بالشكل الذي يغطي الحاجات الماسة ومتطلبات العيش نتيجة للخسائر الفادحة التي تعرض لها الأهالي. ففي تقريره عن أحوال السكان في مناطق الأحداث كتب الجنرال بوفور قائد الحملة الفرنسية التي وصلت إلى المنطقة لاستعادة الأمن: " إن كل هؤلاء الناس ليس باستطاعتهم أن يحرثوا أرضا فهم محتاجون إلى الحيوانات للفلاحة، وبذار الزرع، وصناعتهم الرئيسية التي تمكنهم من العيش هي صناعة الحرير إلا أنهم لا يملكون البذار المنتج لدودة القز ولا الملاجيء التي يربونها بها "[4].
وفي دمشق " توقفت التجارة توقفا كاملا تقريبا واستمرت الأسواق مقفلة، فالنشاط التجاري مرتبط ارتباطا حميما باستتباب الأمن، والأمن الحقيقي منعدم، والقلق والبؤس وضيق الأهالي منتشر في النفوس كلها "[5]

وعلى الرغم من تدخل الدول الغربية وإقرارها في مؤتمر باريس الذي عقد في 3اب 1860م إرسال حملة عسكرية فرنسية للعمل على إعادة الهدوء[6] ، ورغم قيام الدولة العثمانية باتخاذ إجراءات لتهدئة الأوضاع ومحاسبة المسئولين عن الفتنة ومعاقبتهم ، وكذلك إقرار المساعدات والتعويضات للمتضررين من الأحداث ،إلا أن القلق والخوف كان يتصاعد بين السكان الذين كانوا يشعرون حتى أثناء وجود القوات الفرنسية بالخوف وعدم الأمان ، فهم يتعرضون من

---

[1] المرجع نفسه، وث 32، م ل 3، ص396.
[2] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص 87.
[3] ألخازن، فيليب وفريد: مرجع سابق، ج2، وث5، ص8.
[4] سويد، ياسين: مرجع سابق، وث 28، ص213.
[5] المرجع نفسه، وث 45، ص355.
[6] الخازن، فيليب وفريد: مرجع سابق، ج2، وث138، ص238

حين إلى آخر لتعديات جديدة من قبل الدروز ،" ومهددون دوما في أي مكان لا توجد فيه قوات فرنسية لحمايتهم "[1].

بالإضافة إلى أن تقاعس الدولة العثمانية في محاسبة منفذي المجازر وتهاونها، ساهم بدوره في زيادة الخوف والقلق في صفوف الأهالي، ومما زاد من سوء الأحوال أن التعويضات والمساعدات المصروفة لهم لم تكن تكفي الحاجات الأساسية، " فالأموال غير متوفرة في كل القرى والأتراك يعدون ولا يقدمون شيئا، والمساعدات الأوروبية تستخدم في جزء كبير منها لتزويد العائلات اللاجئة إلى الساحل باللباس والغذاء والتخفيف من المعاناة في المراكز الرئيسية في الداخل كدمشق وزحلة ودير القمر، أما باقي الأهالي المنتشرة في قرى عديدة في الجبل وسهل البقاع وفي ضواحي بعلبك ونواحي حاصبيا وراشيا، فهم لا يستفيدون من هذه المساعدات إلا بصعوبة وبنسب لا تكاد تذكر "[2] كما أن التخوف من مواصلة التعديات وتجدد الأحداث بعد انسحاب قوات الحملة الفرنسية زاد من حالة الإرباك ودفع بأعداد متزايدة من السكان في قرى جبل لبنان ودمشق إلى هجرها، وشهدت مدن الساحل - بيروت وصيدا وطرابلس - نزوح أعداد كبيرة إليها. ففي بيروت وحدها تجمع حوالي(30) ألفا من السكان بانتظار رسم مصير لهم، وهاجر قسم كبير منهم إلى الخارج بحثا عن أماكن يضمنون فيها الأمان والتمتع بالحياة [3]، وشهدت حركة الهجرة نحو مصر نموا مضطردا وتتابعت مواكب المهاجرين تباعا، ففي كل يوم كانت تغادر البلاد عشرات الأسر متجهة إلى مصر واليونان وجزر البحر الأبيض المتوسط والأمريكيتين[4] .

ثالثا - الدافع الاقتصادي:

لا شك في أن العامل الرئيسي الأكثر تأثيرا على الهجرة هو التراجع الاقتصادي وانخفاض المستوى المعيشي. فالعوامل الاقتصادية تؤثر بشكل جلي على الهجرة بل وتظهر سيادتها على

---

[1] سويد، ياسين:مرجع سابق، وث 28، ص213.

[2] المرجع نفسه، وث 18، ص172.

[3] ضو، أنطوان: مرجع سابق، وث 50، ص546.

[4] سويد، ياسين:مرجع سابق، وث 39، ص314؛ انظر أيضا تشرشل تشارلز: مرجع سابق، ص105.

سواها من العوامل الأخرى[1]. فمتى شعر الفرد بتوفر مصدر الرزق والاستقرار الاقتصادي في البيئة التي يعيش فيها فسوف يبقى في هذه البيئة في حين إذا ما اختل التوازن الاقتصادي وعجزت هذه البيئة عن توفير المتطلبات الأساسية للحياة فانه يسعى حينئذ للبحث عن البيئة التي توفر له متطلبات حياته وتؤمن معيشته.

من هذا المنطلق يمكننا أن ننظر للدوافع الاقتصادية التي أدت إلى الهجرة من بلاد الشام، حيث عانت بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر من ضائقة اقتصادية خانقة وشهد النشاط الاقتصادي تراجعا ملحوظا تفاقم مع مرور الوقت ليحدث تفسخا على نطاق واسع أصاب مختلف الشرائح الاجتماعية في كافة مناطق بلاد الشام بعد الضربات المتتالية التي تعرض لها النشاط الاقتصادي المحلي بكافة أوجهه الثلاث الحرفية والزراعية والتجارية[2]

وفي الواقع لا يمكن التطرق للحالة الاقتصادية المتدهورة في بلاد الشام كعامل طرد باتجاه الهجرة بمعزل عن الوضع الاقتصادي للدولة العثمانية في تلك الفترة حيث كان التراجع الذي شهدته كافة ولايات بلاد الشام مرتبط ارتباطا وثيقا بالأزمة الاقتصادية التي كانت تتفاقم في الدولة العثمانية آنذاك.

يذكر كرد علي بهذا الخصوص: " مما ساعد على دوام الهجرة اختلال المجاري الاقتصادية في السلطنة العثمانية ثم استرسال الحكومات العثمانية في إهمال الحركة الاقتصادية وإلقاء الحبل على الغارب "[3]

وبالفعل فان تكثف الهجرة كان مرتبطا بالوضع الاقتصادي المتدهور الذي شهدته الدولة العثمانية بعد أن اشتدت حدة الأزمة الاقتصادية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعانت الدولة اخطر أزماتها المالية التي كانت تتصاعد سنة بعد أخرى بعد أن أهملت إحداث برامج إصلاحية لإنقاذ الاقتصاد المتداعي ووجهت اغلب محاولات الإصلاح نحو تحديث الجيش والنظام الإداري، مما تسبب في زيادة الإنفاق دون العمل على تطوير خطط للنهوض الاقتصادي وتحديث المجتمع وتجديد العلاقات الإنتاجية وحماية الإنتاج المحلي وتنمية الصناعات الوطنية[4].

---

[1] الجوهري، يسري: جغرافية السكان، ط3، الإسكندرية، منشأة المعارف، دت، ص180.

[2] الجميل، سيّار: العرب والأتراك، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م، ص95.

[3] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص251.

[4] غرايبة، عبد الكريم: سوريا في القرن التاسع عشر 1840-1876م، دط، القاهرة، معهد الدراسات العربية، 1962م، ص 159

إلى جانب هذا فقد كان نظام الإمتيازات الأجنبية قد"اهلك الاقتصاد العثماني"[1] بعد أن أتاح للدول الأوروبية إمكانيات اقتصادية فائقة مكنت تلك الدول من إحداث تغلغل اقتصادي في كافة أرجاء الدولة دون رقابة أو حواجز. مما أدى إلى تداعي النظام الضريبي والجمركي القائم على حماية الإنتاج المحلي من المنافسة الأجنبية، وحال دون القيام بتنفيذ مشروعات إصلاحية واستنباط موارد مالية جديدة[2]سهل ذلك الغزو الاقتصادي للأسواق العثمانية وتقهقرت الصناعة التقليدية المحلية التي عجزت عن مقاومة هذا الواقع الجديد، وكبلت تلك الإمتيازات حركة الإنتاج المحلي ونزعت عنصر المبادرة والمنفعة من يد التاجر المحلي ومنحتها للتاجر الاوروبي[3].

لقد تحولت ولايات الدولة العثمانية بفعل الإمتيازات الأجنبية إلى سوق للتصريف ثم إلى شبه مستعمرة للدول الأوروبية الرأسمالية. ومهدت مرحلة التنظيمات الثانية التي بدأت بـ" خط شريف همايون " سنة 1856م، الطريق إلى زيادة التغلغل الرأسمالي الأجنبي. كما اكتسبت الإمتيازات الأجنبية شكل الالتزامات الدولية وفتحت الباب على مصراعيه للرأسمال الأجنبي بعد أن تعهدت الدولة العثمانية بمنح إمتيازات السكك الحديدية والبنوك وصناعة التعدين وغيرها من الإمتيازات كإلغاء الضرائب على السلع الأجنبية الواردة ومنح الأجانب حق شراء الأراضي[4].

بالإضافة إلى هذا، فان تفاقم ألازمة المالية في الدولة العثمانية أدى إلى توجهها نحو فرض ضرائب عالية في البداية كجزء من حل مؤقت لمواجهة تلك الأوضاع الصعبة، ثم لجأت فيما بعد إلى الاقتراض من الدول الأوروبية[5]،الأمر الذي جرها إلى الوقوع في شراك النهب المنظم من قبل الرساميل الأجنبية ومن ثم اختراق الاقتصاد العثماني بشكل كامل من خلال تأسيس " مؤسسة إدارة الدين العام العثماني " ، والتي تم بموجبها تسليم اقتصاديات الدولة العثمانية للدول الأوروبية وخصوصا بريطانيا وفرنسا[6]. لقد تمكنت هاتان الدولتان من الاستيلاء على عائدات بعض الاحتكارات مثل الملح والطوابع والدمغات والكحوليات والحرائر مقابل رؤوس

---

[1] العزاوي، قيس: الدولة العثمانية، قراءة جديدة في عوامل الانحطاط، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم، 1994م، ص69

[2] المرجع نفسه، ص 27.

[3] غرايبة، عبد الكريم: مرجع سابق، ص159.

[4] لوتسكي، ف: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيف البستاني، ط7، بيروت، دار الفارابي، 1980م، ص 374

[5] الجميل، سيار: مرجع سابق، ص81.

[6] المرجع نفسه، ص87.

الأموال المودعه[1]. مما زاد من حدة الأزمة وتعقيدها وعجز الدولة عن إحداث أية إصـــلاحات اقتصادية لإنقاذ هذا الوضع.

لقد عكست الأزمة الاقتصادية والمالية للدولة العثمانية بظلالها على الحالة الاقتصـــادية فـــي بلاد الشام، وشهد الاقتصاد الشامي تدهورا ملحوظا أصاب مختلف أوجه النشاط الاقتصـــادي وعانت مختلف قطاعات الإنتاج الاقتصادي عصر مأزقها التاريخي[2] بعد أن أدى إهمال الدولة للحركة الاقتصادية واتساع العلاقات التجارية مــع الغــرب وانفتــاح الــبلاد أمــام الســلع والمصنوعات الأوروبية بفعل الإمتيازات، إلى خلق مشكلات اقتصـــادية معقــدة لــم تألفهــا أعراف وتقاليد الفلاحين والحرفيين والتجار المحليين[3] .

فالاجتياح السلعي الأوروبي كان قاتلا للإنتاج الحرفي المحلي الذي ما كان بإمكانه أن يصمد في معركته ضد هذا الغزو، وكان هذا بالذات وضع الصناعات النسيجية – الحرير والصـــوف والقطن - التي كانت تشكل ثروة عدد من المدن الشامية مثل حلب ودمشق وحماة ومدن جبــل لبنان[4]، حيث أدت الضرائب العالية ونقص التعاريف الجمركية التي تحمي الصـــناعة المحليـــة ومنافسة المنتجات الرخيصة المستوردة من الخارج إلى الإضـــرار بشـــكل كبيـــر فـــي هـــذه الصناعات التي عجزت عن المنافسة والبقاء.

يشير عبد الكريم غرايبة إلى أن مدينة دمشق وحدها شهدت تناقصا حادا في عدد الصناعات الحرفية فيها، حيث انخفض عدد تلك الصناعات من(966) صناعة في سنة 1852م إلى(395) صناعة سنة 1889م وانخفض عدد العاملين في الصناعات المتبقية من (30) ألــف إلـــى (8) آلاف عامل[5] .

وإذا كان هذا واقع الحال في دمشق فان التراجع الحاصل قد شمل مدن أخرى كان ســكانها يعتمدون على الحرف في مصدر المعيشة مثل حلب وطرابلس وحماة وحمص، حيث شـــهدت هذه المدن تراجعا شديدا في إنتاج المنسوجات، والتي كانت مصدرا أساسيا لإعالة عدد كبيـــر من العائلات. لقد نافستها المنسوجات الأوروبية التي تميـــزت بجـــودة تصـــنيعها ورخـــص

---

[1] العزاوي، قيس: مرجع سابق، ص72.

[2] كوثراني، وجيه:السلطة والمجتمع، مرجع سابق، ص83.

[3] المرجع نفسه، ص91.

[4] كوثراني، وجيه: بلاد الشام، مرجع سابق، ص 149.

[5] غرايبة، عبد الكريم: مرجع سابق، ص 146.

أسعارها، بل ومحاكاتها لنمط المنسوجات الشامية [1] ، ففي طرابلس تراجعت صناعة الحرير بعد أن كانت من أهم منابع الثروة فيها[2] وانخفض الإنتاج في سنة 1889م بنسبة (25%)عن الأعوام السابقة و في بيروت أيضا انخفضت صادرات الحرير الخام من (4800) بالة في سنة 1910م إلى(2400) بالة سنة 1912 م[3] .

كما تدهورت زراعة القطن وصناعته بشكل متسارع، فقد انخفضت صادرات حلب من القطن من(1,5) مليون فرنك إلى عشر هذه القيمة سنة 1890م بسبب رداءة أنواع القطن وقصر أليافه ومزاحمة القطن المصري والأمريكي له ، واختفت زراعة القطن كذلك في أطراف دمشق ويافا وصفد وحلب، كما أدى إدخال احتكارات التبغ إلى حصر زراعته وتحديد المساحات والأنواع فتناقص الإنتاج إلى النصف سنة 1911م، وشهدت صناعات مدينة غزة تراجعا أدى إلى اضمحلال العديد منها كما وكيفا بسبب المزاحمة الأوروبية[4].

أما في جبل لبنان فقد تعرض النشاط الاقتصادي الأكثر أهمية وهو تربية دودة القز لإنتاج الحرير لهزة عنيفة أثرت بشكل مباشر على أحوال الناس المعيشية خصوصا أن نصف دخل السكان يأتي من خلاله، واخذ هذا المردود الحيوي بالتراجع بعد سنة 1869م. وتجلى انكفاء صناعة الحرير بتقلص عدد الأنوال المعدة لتصنيع الحرير: ففي دير القمر مثلا كان عدد الأنوال يصل (4000) نول سنة 1860م، بينما لم يعد يتجاوز(2500) نول في سنة 1910م[5].
1910م[5]. وكانت اغلبها ملكا للتجار الفرنسيين الذين تمكنوا من السيطرة على هذه الصناعة بمختلف مراحل إنتاجها، زراعة، حلالات، تسويق، تامين بذور[6].

عكس التدهور الحاصل في هذه الحرف بتأثيره على حالة الناس المعيشية، وخصوصا أن شريحة واسعة من أهالي بلاد الشام كانت تعتمد اعتمادا كليا على المردود العائد من تلك الحرف والصناعات، وشكل هذا التراجع دافعا لهؤلاء للبحث عن مصدر دخل يؤمنون من خلاله حياتهم ومعيشتهم، وكان التطلع نحو الهجرة من ضمن الحلول التي اختاروها. عن

---

[1] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860-1920، ط2. بيروت، معهد الإنماء العربي، 1978م، ص 101.

[2] التميمي، محمد.ومحمد بهجت: مرجع سابق، ج2، ص219.

[3] كوثراني، وجيه: بلاد الشام، مرجع سابق، ص397.

[4] غرايبة، عبد الكريم: مرجع سابق، ص152- 153.

[5] الشهال، أحمد: الحركات السكانية في لبنان، دط، بيروت، دار الشمال، 1987م، ص18.

[6] كوثراني، وجيه: بلاد الشام، مرجع سابق، ص105.

علاقة التدهور الحاصل في الحرف التقليدية بالهجرة يقول أحد المهاجرين من حلب: " كان كل شيء يدفعني لمغادرة حلب، حيث الحياة من دون أي مستقبل. لم يكن في تلك المدينة ولو متجر واحد يفوق عدد المشتغلين فيه عشرين شخصا، ماذا يمكن أن يجد الإنسان هناك غير الفقر والحرمان "[1] .

لم يكن تراجع الحرف هذا متأثرا بالمنافسة الأجنبية فحسب، بل إن أسبابا أخرى أدت إلى زيادة حدة التدهور الحاصل حيث نجد أن افتتاح قناة السويس سنة 1869م كان له دوره في تراجع إنتاج الحرير المحلي حيث دخل في منافسة غير متكافئة مع حرير الشرق الأقصى بعد غزو الحرير الصناعي للأسواق الأوروبية[2]. وقد سهل افتتاح القناة نقل الحرير الصيني المصنع إلى الأسواق الأوروبية وبأثمان رخيصة عجز الحرير الطبيعي المحلي أن يصمد أمامها[3].

أسهم افتتاح قناة السويس في تراجع الاقتصاد الشامي بشكل عام بعد أن عانت بلاد الشام من تحول طرق تجارة الترانزيت التي كانت تمر من موانيء الخليج العربي إلى العراق ثم تخترق بلاد الشام إلى الموانيء المطلة على البحر الأبيض المتوسط. وقد شكل هذا التحول هزة عنيفة تعرض لها الاقتصاد، قادت إلى تراجع التجارة التقليدية وفقدان مصدر الدخل الذي يتأتى من خلال تجارة الترانزيت[4]، حيث" قل عدد الذين يمرون بدمشق من الروم وغرب آسيا للذهاب إلى الحجاز ، وأصبح معظمهم يركب البحر تخفيفا من عناء السفر عبر الطريق البري، وانحصرت التجارة الداخلية في حدود ضيقة واثر هذا الأمر على التجارة في موسم الحج وأصبحت لا تتعدى حد المستهلكات "[5]. لقد أدى هذا إلى انتقال وهجرة الكثير من التجار التجار الشوام إلى الإسكندرية والقاهرة ومدن قناة السويس لمتابعة نشاطهم التجاري، والى هجرة عدد منهم إلى مرسيليا وميلانو وغيرها من المدن الأوروبية والإفريقية والآسيوية[6].

وإذا كان هذا واقع الإنتاج الحرفي فان الإنتاج الزراعي بدوره تعرض لتراجع حاد خصوصا إذا ما علمنا أن الصناعات الحرفية الشامية في اغلبها كانت تعتمد على الزراعة كمادة خام

---

[1] أكمير، عبد الواحد: مرجع سابق، ص 20.
[2] حدة، حسن: هجرة العرب إلى العالم، من تاريخ المغتربين العرب في العالم، دط، دمشق، دن، 1966م، ص 26.
[3] صليبا، نجيب: مرجع سابق، ص68.
[4] غرايبة، عبد الكريم: مرجع سابق، ص 159.
[5] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص 250.
[6] المرجع نفسه، ج4، ص 250.

أساسية بشقيها النباتي والحيواني، وبالتالي فان الارتباط كان وثيقا بينهما بحيث يتأثر كل منهما بنشاط الآخر.

وغني عن القول هنا أن انهيار الصناعات الحرفية وخصوصا تلك المعتمدة على الزراعة أدى إلى خلق أزمات اقتصادية خانقة للفلاحين بعد أن تراجع الطلب على الإنتاج الزراعي المستخدم في الصناعات الحرفية، واسهم هذا في زيادة معاناة الفلاحين الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من السكان.

إلى جانب هذا فقد عانى الفلاحون في مختلف أرجاء بلاد الشام من الفقر ومحدودية المردود العائد مما تنتجه الأرض، وفاقمت عدة عوامل من حدة الضيق الاقتصادي والمعيشي وزيادة حالة الفقر التي يعانون منها، فافتقار الزراعة إلى تشجيع الدولة وغياب الدعم الحكومي كان من أسباب التراجع الذي شهده الإنتاج الزراعي[1]. كما كانت الوسائل البدائية المتبعة في الزراعة وفقر التربة وتقلب المناخ قد أدت إلى ضعف الإنتاج، هذا إلى جانب عدد من الأسباب التي أسهمت في تدهور الإنتاج الزراعي وزيادة الضيق المعيشي للفلاحين كالإهمال وجهل الفلاحين وانتشار الأوبئة والأمراض، كالآفة الزراعية التي أصابت دودة القز بين سنتي 1865م و1871م مما أدى إلى انخفاض إنتاجه بنسبة(58%)[2]، وكذلك هجوم الجراد كما حصل في سنتي 1865 و1866م حيث أدى غزو الجراد إلى تدمير محاصيل القطن والسمسم وأشجار الزيتون والفواكة في مساحات واسعة من الأراضي المزروعة في بلاد الشام[3] . وكذلك الحال مع الجفاف وقلة الأمطار مثلما حدث في السنوات 1889م و1892م، بالإضافة إلى ندرة المحاصيل الزراعية بسبب الفيضانات[4].

وأدت المجاعة بدورها إلى زيادة الثقل على كاهل الفلاحين، حيث تروى القصص المتعددة عن أناس كانوا يموتون من الجوع في الشوارع فيما كان آخرون يبحثون في صناديق القمامة علهم يجدون شيئا يأكلونه، فيما لجأ الكثير إلى رهن أو بيع ما يملكونه مقابل الحصول على كميات صغيرة من الطعام[5].

ومما ساهم أيضا في التراجع الزراعي ومعاناة الفلاحين، التجنيد الإجباري حيث كان على الذكور ما بين(18-45) سنه أن يؤدوا الخدمة العسكرية الإجبارية[6] التي كان لها تأثير سيء

---

[1] علي عطارة. مؤتمر المهاجرة، المقتطف، القاهرة، س48، ج2 / 1924، ص155.

[2] Orfalea.G, op.cit. p110

[3] شولش، الكزاندر:مرجع سابق، ص108.

[4] Orfalea.G, op.cit. p.123

[5] صليبا، نجيب: مرجع سابق، ص65.

[6] المرجع نفسه، ص68.

على الناحيتين الأمنية والاقتصادية بشكل ملحوظ بعد أن أدت إلى هجرة أعـداد كبيـرة مـن الشباب هربا من أداء الخدمة الأمر الذي أدى إلى انتزاع العناصر المنتجة مـن الأرض مما شكل عاملا آخر من عوامل إضعاف الزراعة والتأثير على حياة الفلاحين المعيشية[1].

إلى جانب كل هذا فان سيادة نمط العلاقات الاقتصادية المتمثلة بسيطرة أصحاب الأرض على وسيلة الإنتاج الأساسية " الأرض " كان لها الدور الأكثر تأثيرا علـى حالـة الفلاحين المعيشية ومن أهم عوامل معاناتهم وإفقارهم وهجرتهم.

ففي اقتصاد يعتمد سكانه في الأساس على الزراعة تعتبر ملكية الأرض المفتاح الرئيسي فـي عملية الإنتاج[2]. وقد طرأ ت تغيرات جذرية على مسالة ملكية الأرض في النصف الثاني مـن القرن التاسع عشر كان لها أثرها السلبي والسيئ على مجرى النشاط الاقتصادي بشكل عـام والنشاط الزراعي بشكل خاص، فحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت الأرض تعـود فـي ملكيتها إلى الدولة وكان نظام الملكية السائد يقوم على أساس تأجير أراضي الدولة للفلاحين[3] ، وفي سنة 1858م أصدرت الدولة قانون الأراضي واستصدرت نظاماته وقامت أجهزته لاحقا وفق نظام الطابو سنة 1872م، وكانت المسالة المركزية التي يدور عليهـا نظـام الأراضـي المستحدث تكمن في "حصر مسئولية الأرض في يد المتصرف بهـا كـأفراد لا كعـائلات أو جماعات قبلية أو قروية" ، وبالتالي حصر وتحديد مسئولية الجباية الضرائبية بصورة فردية ، وهذا ما يتضح من المادة الثانية من قانون الأراضي سنة 1858م. حيـث نصـت علـى " إن كامل أرض القرية أو القصبة لا يمكن أن تحال وتفوض إلى هيئة مجموع أهاليها قلما واحـدا ولا إلى شخص واحد أو اثنين أو ثلاثة ينتخبون منهم، بل تحال الأراضي لكل شـخص مـن الأهالي على حدته وتعطى سندات الطابو لأيديهم ببيان كيفية تصرفهم "[4].
لقد سعت الدولة من خلال قوانين الأراضي إلى إرساء القواعد القانونية لملكية الأرض كملكية خاصة بشكل كامل وقابلة للتصرف، وكان الهدف من هذه القوانين هو إحكام السـيطرة علـى الأقاليم وكذلك استغلال القوانين الجديدة كوسيلة ناجعة لجباية الضرائب[5].

---

[1] بازيلي، قسطنطين: سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة طارق معصـراني، دط، موسـكو، دارالتقـدم، 1989م، ص161.
[2] سعد، أحمد: التطور الاقتصادي في فلسطين، دط، دم، دن، 1985م، ص33
[3] المرجع نفسه، ص34.
[4] كوثراني، وجيه: السلطة والمجتمع، مرجع سابق، ص94.
[5] سعد، أحمد: مرجع سابق، ص35.

إن الأثر الذي أحدثته هذه القوانين كان سلبيا حيث أدت فيما أدت إليه إلى زيادة فقر وبؤس الفلاحين، فالفلاحون متخوفون من أن تكون عملية التسجيل مدعاة لمزيد من فرض الضرائب ويخشون من وقوعهم في الديون المستمرة المتراكمة عليهم، كما أنهم محتاجون للحماية من هجمات البدو التي كانت تؤمنها لهم العائلات القوية، بالإضافة لتخوفهم من أن يستغل تسجيل الأراضي والنفوس في طلبهم للخدمة العسكرية[1]. فدفعتهم هذه المخاوف إلى السعي لتسجيل أراضيهم بأسماء أصحاب النفوذ والوجاهة من العائلات القوية والشيوخ، حيث تنازل الفلاحون في كثير من القرى عن أراضيهم لأرباب النفوذ ليحموهم من ظلم الحكام والمرابين كما قام عدد كبير منهم بتسجيل أراضيهم باسم أصحاب المكانة والشيوخ تخوفا من دفع الرسوم والضرائب وتخلى جزء منهم عن أراضيهم للأعيان تخلصا من تسجيل النفوس[2].

لقد نتج عن هذه العملية أن سيطر الملاكين الكبار وأصحاب النفوذ على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية[3]، وتكدست سندات ملكية الأراضي بأيديهم بعد أن تمكنوا من نهب المزيد من أراضي الفلاحين والتحكم بمسالة تسجيلها كملكيات خاصة واستثمارها بصورة فردية [4].

إن تقديرات توزيع الملكية في أواخر القرن التاسع عشر تشير إلى حصول تمركز واضح في عملية تسجيل الأراضي في بلاد الشام حيث نجد أن ملكية الأراضي تتوزع كالتالي: ملكية كبيرة (60%)، ملكية متوسطة(15%)، ملكية صغيرة (25%)[5]. ويشير كرد علي إلى واقع هذا التوسع فيقول: " يتصرف الشاميون اليوم في الأرض على نسبة غير عادلة ومعنى هذا أن أرباب الوجاهة والثروة على قلتهم يتصرفون بمساحات واسعة جدا في كثير من المناطق، بينما الفلاح يعمل في الأرض دون أن يكون له في تملكها نصيب ففي أطراف حماة مثلا (124) قرية منها (80%) لأرباب الوجاهة من عيال لا تتجاوز عدد الأصابع والباقي وهو (20%) يتصرف به الفلاحون ورجال الطبقة المتوسطة من الشعب وفي أرجاء حمص(176) قرية منها(80%) للوجهاء دون غيرهم و(20%) مشاع بين هؤلاء الوجهاء والفلاحين.. وما

---

[1] دروزة، محمد عزت: مذكرات محمد عزت دروزة1887-1984م، مج1، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993م، ص198.

[2] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص135.

[3] Kayyali.A.W. Palestine Amodern History.London,Third World Centre.p12

[4] شولش، الكزاندر: مرجع سابق، ص 138.

[5] كوثراني، وجيه: السلطة والمجتمع، مرجع سابق، ص 96.

من بيت من بيوت دمشق الكبيرة إلا ويملك مساحات واسعة من الغوطة بل نصف الأرض فيها بيد متوسطي الزراع والربع بيد صغارهم والربع الأخير يخص أرباب الوجاهة بدمشق[1].

وإذا كان هذا وضع الأراضي في دمشق فان الحال في منطقة جبل لبنان كان مشابها، فإلى جانب ما أدى إليه تأسيس نظام المتصرفية سنة 1861م من سلخ مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الخصبة، وأصبحت معظم المقاطعات التي تتألف منها متصرفية جبل لبنان يغلب عليها الطابع الجبلي الوعر وقليل من أراضيها ما يصلح للزراعة، فان تجمع ملكية الأراضي الزراعية في أيدي عدد قليل من العائلات الإقطاعية في الجبل أدى إلى توقف النشاط الزراعي بشكل كبير، وعدم مقدرة الأراضي الزراعية على الوفاء باحتياجات السكان في ظل الكثافة السكانية العالية والتي بلغت(150) شخص في الكيلومتر الواحد[2]، مما أحدث خللا في العلاقات المتوازنة بين ما ينتجه الجبل وبين عدد السكان ، فكان من نتائج ذلك أن أصبحت الهجرة الملاذ الوحيد[3].

أما في فلسطين فلم يتبق في أيدي الفلاحين مع نهاية القرن التاسع عشر في منطقة الجليل سوى (20 %) من الأراضي، وفي منطقة القدس(50%)[4]، وكان(144) مالكا من الملاكين الكبار في فلسطين يمتلكون(313) ألف دونم من الأراضي أي(22) ألف دونم في المعدل[5] .

.

لقد فاقم هذا الواقع من معاناة الفلاحين في مختلف أرجاء بلاد الشام، و الذين فقدوا أراضيهم وتحولوا إلى مزارعين مستأجرين أو عمال لدى أصحاب الأراضي من الملاكين الكبار، وزاد من معاناتهم الديون الباهظة التي كانت تزداد سنة بعد أخرى بسبب الفوائد العالية ووقوع كثير من تلك الأراضي في أيدي المرابين بعد عجز الفلاحين عن سداد الديون.

وكان للنظام الضريبي المتعسف دور مؤثر وبالغ في زيادة الضغط على كاهل الفلاحين بشكل مضطرد، حيث تعرضوا للابتزاز في عمليات جمع الضرائب الأمر الذي أساء إلى الزراعة

---

[1] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص194-195.
[2] معطي، علي: تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي، دط، بيروت، مؤسسة عز الدين، 1992م، ص169.
[3] أكمير، عبد الواحد: مرجع سابق، ص20.
[4] شولش، الكزاندر: مرجع سابق، ص 138.
[5] مفيد صلاح: الهجرة الفلسطينية إلى خارج فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني 1917-1948م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1998م، ص30.

بوجه عام بعد أن أصبحت الضرائب مرهقة للفلاحين[1]، حيث كانت الدولة تجبي ضرائب عديدة ، فإلى جانب الضريبتين الأساسيتين وهما ضريبة الميري التي كانت تفرض (3-5%) من إنتاج الأرض سواء أنتجت أم لم تنتج ، وضريبة العشر التي تفرض على المحصول ، كانت الدولة تفرض ضرائب متعددة تحت ذرائع وحجج مختلفة،كضريبة الإعانة أو ضريبة إنشاء سكة حديد أو بناء أسطول، وضرائب أخرى على الرؤوس والماعز والأغنام[2] وغيرها من الضرائب المرهقة للفلاحين والتي كانت تقترب في أحيان عدة من مستوى حجم قيمة الإيجار الذي يتقاضاه مالك الأرض من الفلاح، بحيث يتحول العمل في الزراعة إلى عبء يفوق طاقة الفلاحين وتتحول حيازة الأرض إلى التزام مرهق[3] يدفعهم إلى الوقوع في مصيدة الديون، حيث كانوا يتوجهون لاقتراض المال لتسديد ما يترتب عليهم من ضرائب لعجز الإنتاج عن سد تلك الالتزامات.

إن هذه الديون وفوائدها الباهظة كانت عاملا مهما في سلخ الفلاحين تدريجيا عن أراضيهم بعد وقوع أراضيهم بيد المرابين لعدم قدرتهم على سداد الديون وتحول الفلاح في النهاية بعد أن خسر أرضه إلى عامل أجير أو مزارع مستأجر لدى صاحب الأرض الجديدة، الأمر الذي زاد من حجم الضائقة الاقتصادية ودفع بهم للبحث عن الرزق في أماكن أخرى قادرة على الإيفاء بمتطلبات الحياة. فكانت الهجرة كمخرج من الواقع الاقتصادي السيئ الذي عانوا منه.

الفصل الثاني:

---

[1] سميليا نسكايا، ايرينا:البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث، ترجمة يوسف عطا الله، ط1، بيروت، دار الفارابي، 1989م، ص124.

[2] قاسم، جمال: العرب في أمريكا، دراسة لتاريخ الهجرة العربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، دط، دم، 1988م، معهد البحوث والدراسات العربية ص 101.

[3] سميليا نسكايا، ايرينا: مرجع سابق، ص124.

الهجـــــرة إلى مصـــــر

تعددت اتجاهات الهجرة من بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فشـــملت مختلف البلدان. و" كان وادي النيل البلد الذي استهوى المهـــاجرين أولا "[1] قبـــل أن تتوســـع اتجاهات الهجرة لتمتد إلى أوروبا وإفريقيا والأمريكيتين ومن ثم أستراليا فيما بعد.

---

[1] حتي، فيليب: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخيةالي عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس فريحة، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1972م، ص 576.

يقول نجيب صليبا: " قبل عام 1878م كان معظم المهاجرين يتجه إلى مصـــر ثـــم ازدادت الهجرة في الثمانينات وتسعينات القرن التاسع عشر ثم ارتفعت معدلاتها بشدة في الأربعة عشر عاما الأولى من القرن العشرين"[1].

شكلت الهجرة الشامية إلى مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حلقة في سلســلة حلقات متواصلة من الهجرة، لم تكن بداية مقصورة على النصف الثاني مــن القــرن التاســع عشر، بل شهدت الفترة السابقة حركة هجرة من الولايات الشامية إلى مصر - وان كانت أقــل حدة وكثافة - بفعل العلاقات الوثيقة والتقارب الجغرافي والتاريخ المشـــترك بينهمـــا، والـــذي ازداد قوة في ظل السلطنة العثمانية التي كانت كل من بلاد الشام ومصر تتبعان إليهـــا[2]،رغـــم تمكن مصر خلال القرن التاسع عشر من خلق حالة من التـــوازن الحقيقـــي بـــين المركزيـــة العثمانية والاستقلال الذاتي، بحيث أصبحت مستقلة فعليا عن الدولة العثمانيـــة فـــي سياســـتها وتطلعاتها وبرامجها التحديثية [3].

وغني عن القول إن وجود الجامع الأزهر في مصر كان له دور في استقطاب الشوام بشـــكل دائم منذ فترات طويلة، وخصوصا الطلاب الذين كان لهم رواقهم الخاص فيه، وهو من اكبـــر أروقة الأزهر وعرف باسم " رواق السادة الشوام "[4] وقد كان عدد مـــن هـــؤلا ء الطـــلاب يستقرون في مصر بعد تخرجهم، ومنهم من تصدى للإفتاء والتدريس في الأزهر نفسه. كمـــا شغل بعضهم وظائف قضائية ووصلوا لأعلى المناصب الشرعية في مصـــر، واشـــتهر مـــن هؤلاء أبناء عائلة الرافعي الطرابلسية التي هاجر عدد من أبنائها إلى مصر في عهـــد محمـــد علي باشا، وأصبح لهم مكانة كبيرة في أروقة الجامع الأزهر ومختلف المناصب الشرعية في مصر، مثل الشيخ عبد القادر الرافعي الذي كان شيخا لرواق السادة الشوام في الأزهـــر، ثـــم مفتيا لديوان الأوقاف ثم عضوا في مجلس الأحكام، كما عين بعد وفاة الشيخ محمد عبده مفتيـــا

---

[1] صليبا، نجيب: مرجع سابق، ص69.

[2] عبد الرحيم، عبد الرحيم:(تشرين ثاني - 1978). علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939م، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، ج2، ص279.

[3] الرافعي، عبد الرحمن: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج2، ط3، القاهرة، مكتبـــة النهضـــة المصرية، 1958م، ص 337.

[4] رمضان، مصطفى:(تشرين ثاني - 1978). رواق الشام بالأزهر إبان العصر العثماني، المؤتمر الـــدولي الثـــاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939م، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، ج2، ص17.

للديار المصرية سنة 1905م[1]. وكذلك الشيخ حسين الطرابلسي الذي عيّن شيخا لرواق الشوام خلفا لعبد القادر الرافعي، والشيخ عيسى منون من قرية عين كارم قضاء القدس الذي انتخب شيخا لرواق الشوام في سنة 1918م، ووصل إلى عضوية جماعة كبار العلماء ولجنة الفتوى بالأزهر وعميدا لكليتي الشريعة وأصول الدين[2] ، وغيرهم من عشرات الشوام الذين استقروا في مصر بعد دراستهم في الأزهر .

أما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فان تيار الهجرة إلى مصر ازداد بشكل مضطرد، وتزايدت أفواج المهاجرين الشوام القادمين إلى مصر للإقامة والاستقرار فيها حيث وصل عددهم وفق التعداد المصري العام سنة 1907م إلى(34) ألف مهاجر، وتجاوز العدد الكلي للمهاجرين في سنة 1920م الـ(50)ألف أغلبهم من المسيحيين القادمين من مناطق الولايات الشامية التي تقع الآن ضمن دولتي سوريا ولبنان الحاليتين[3].

سوف نحاول في هذا الفصل، تتبع حركة الهجرة إلى مصر من خلال رصد الدوافع التي جعلت من مصر قبلة للمهاجرين خلال هذه الفترة، والتعرف على الفئات المهاجرة إلى مصر من حيث منابتها الاجتماعية والطائفية والجغرافية، إضافة إلى تتبع اتجاهات الهجرة إلى مصر والتعرف على الأماكن التي استقروا فيها وأسباب توجههم إليها.

أولا- دوافع الهجرة إلى مصر

---

[1] الرافعي، عبد الرحمن:عصر إسماعيل، ج1، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1982م، ص208؛ انظر أيضا زيادة، نقولا: مرجع سابق، ص258.

[2] رمضان، مصطفى:مرجع سابق، ص37.

[3] صليبا، نجيب:مرجع سابق، ص69.

لعملية الهجرة نوعان متلازمان من العوامل: الداخلي- عامل الطرد الذي يشجع السكان على الهجرة أو يدفعهم قسرا إليها. والخارجي -عامل الجذب الذي يستقطبهم لشروط حياة أفضل مما هو عليه الحال في بلدانهم.

إنطلاقا من هذه الرؤية، وعلى ضوء استعراضنا في الفصل الأول لعوامل الطرد التي دفعت بالشوام إلى الهجرة من بلادهم، فانه يمكننا رصد عوامل الجذب التي جعلت مصر إحدى مناطق الاستقطاب للمهاجرين الشوام. وبما أن أسباب الهجرة الأساسية من بلاد الشام كانت تتعلق بسياسة القمع التركي، وانعدام الأمن الناجم عن المنازعات الطائفية فضلا عن تدهور الأحوال المعيشية الناجم عن ألازمة الاقتصادية مما أدى إلى تنامي ظاهرة الهجرة، فانه لا بد من أن تكون الجهات التي هاجروا إليها قد سدت هذه النواحي أو جزءا منها على الأقل. من هنا فإننا سنحاول إبراز هذه النواحي في معرض تناولنا للجوانب المتعلقة بمصر فيما يخص الهجرة الشامية.

يمكن القول إن هجرة الشوام إلى مصر خلال القرن التاسع عشر و قبل النصف الثاني منه كانت تعود في الأساس إلى العلاقات الوثيقة التي نسجها محمد علي مع بلاد الشام، والتي تمثلت بالتحالف مع الأمير بشير الثاني* سنة 1831م من ناحية، وبامتداد النفوذ المصري إلى بلاد الشام خلال بسط السيطرة عليها إثناء توسعات محمد علي في المنطقة طوال الفترة الممتدة ما بين 1832-1840م من ناحية أخرى.

فالعلاقات الوثيقة التي نتجت عن التحالف بين محمد علي والأمير بشير الثاني ساعدت على تدفق أعداد من المهاجرين الشوام إلى مصر. يشير كتاب الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل إلى واقع هذا التحالف ونتائجه بقوله: " كثر عدد الشوام في مصر، وربما يعود ذلك إلى تلك المحالفة التي عقدها محمد علي باشا الكبير مع الأمير بشير شهاب سنة 1831م، تلك المحالفة التي شجعت الشوام على الهجرة إلى مصر، وفتحت أمامهم باب التوسع والعمل في الميادين التجارية والصناعية والأدبية "[1].

وتؤكد الأرقام الإحصائية على هذا، حيث بلغ عدد المهاجرين في سنة1833م حوالي (5000) مهاجر موزعين على النحو التالي: (3000) في القاهرة وما بين(500-600)في دمياط وما

---

* بشير بن قاسم بن عمر الشهابي (1760-1850م)، من الأمراء الشهابيين، إتصل بأحمد باشا الجزار فولاه إمارة لبنان سنة1788م. كان ذو طموح كبير فتحالف مع محمد علي باشا وأيد الحكم المصري في بلاد الشام، وبعد رحيل المصريين نفاه الإنجليز الى مالطا، ثم انتقل الى الاستانة وتوفي فيها. أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج2، ص57.

[1] الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل: كتاب اليوبيل القرني الثاني 1745-1945م، القاهرة، 1947م، ص 12.

بين(200-300) في الإسكندرية، وتوزع الباقون على مختلف الجهات[1]، كما أصبح لهم نشاط اقتصادي ملحوظ في تلك الفترة وخصوصا في الميدان التجاري ، بحيث نجد أن عددا من التجار الشوام قد نشطوا في مجال التجارة سواء داخل مصر نفسها أو بين المدن الشامية والمصرية بعد أن عملوا كموردين للسلع والمنتوجات وخصوصا الأقمشة الحريرية والقطنية التي كانوا يجلبونها من أسواق دمشق وحلب[2] ، وامتد نشاط البعض منهم ليشمل استيراد السلع من بلاد اليمن والهند إلى مصر ، هذا إلى جانب استثمارهم لرؤوس الأموال في نواحي اقتصادية متعددة كشراء العقارات والتزام الأراضي الزراعية في مختلف أنحاء مصر [3] .

كما استقدم محمد علي أعدادا من الشوام إلى مصر، وذلك حين احتاجهم للإشراف على زراعة بعض الأصناف الجديدة التي جلبها من بلاد الشام كشجر الزيتون [4]، والفستق الشامي [5] . وكذلك للاشتغال في زراعة التوت لتربية دودة القز واستخراج الحرير [6]. هذا إلى جانب استعانته بهم في مهام إدارية وعلمية وأدبية متعددة، وخاصة في مجال الترجمة التي اعتمد فيها على المترجمين الشوام بدرجة كبيرة، كأوغست سكاكيني الذي كان من ابرز مترجمي الديوان العالي[7]، وبوغوص بيك الذي أصبح محمد علي يستشيره في أهم مسائل الدولة ويطلق له الحرية التامة في تصريف كثير من شؤون الدولة وخصوصا على صعيد العلاقات الخارجية حيث كلفه بمهام التفاوض مع الدول الأوروبية حتى أصبح بمثابة وزير خارجيته[8]. وكان من ضمن كتابه عدد من الشاميين أمثال المعلم يوسف كنعان الشامي[9] ، وحنا الطويل ،

---

[1] إسماعيل، حلمي: دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دط، القاهرة، دن، دت، ص5.

[2] عبد الرحيم، عبد الرحيم: مرجع سابق، ص280.

[3] المرجع نفسه، ص281.

[4] رستم، أسد:المحفوظات الملكية المصرية، مرجع سابق، ج2، وث 3274، ص369.

[5] المرجع نفسه، ج3، وث 5385، ص379.

[6] المرجع نفسه، ج3، وث5388، ص381.

[7] تاجر، جاك:حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1945م، ص24؛ انظر أيضا زيدان، جرجي: تاريخ آداب،مرجع سابق، ج4، ص535.

[8] رستم، أسد:المحفوظات الملكية المصرية، مرجع سابق، ج4، وث 6605، 6607، 6608، ص475-480.

[9] الجبرتي، عبد الرحمن:عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق حسن جوهر، ج7، ط1، القاهرة، مطبعة البيان العربي، 1967م، ص417

والمعلم منصور، ورزق الله الصباغ[1]. كما اشتغل احمد فارس الشدياق في تحرير صحيفة الوقائع المصرية منذ تأسيسها سنة1828م، واستمر حتى سنة 1834م[2].

على أن تيار الهجرة إلى مصر ازداد بشكل متسارع خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتفاعلت آنذاك مجموعة من الأسباب التي دفعت بأعداد متزايدة من الشوام للهجرة إلى مصر هي:

1 – الحكم المصري لبلاد الشام ودوره في الهجرة:

ساهم الحكم المصري للمنطقة في تطور العلاقات الشامية المصرية، حيث نشطت حركة الانتقال بين بلاد الشام ومصر كما نشطت الحركة الاقتصادية والتبادل التجاري بينهما وصدّرت العديد من المنتوجات الشامية إلى مصر كالصابون والزيوت والفحم والحرير والجلود[3] . كما نشطت حركة استيراد بعض السلع المصرية كالزجاج والأرز[4]. ورافق هذا هجرة أعداد متزايدة من الشوام للاستقرار والإقامة في مصر. كما هاجر قسم منهم حين انسحب جيش إبراهيم باشا من بلاد الشام سنة 1840م، حيث كان يضم عددا من العساكر والإداريين الشوام الذين كان قد جندهم كي يرفد بهم الجيش المصري أثناء وجوده في المنطقة [5] ، فأقام هؤلاء في مصر واستمروا في خدمة الدولة المصرية ، وأنيطت بهم مهام متعددة، حيث اشتغل بعضهم كمعلمين في المدارس ، في حين استخدم البعض الآخر كموظفين في الحكومة في مجالات متنوعة ، كتبة، مترجمون ، محاسبون ، وغيرها من وظائف [6].

وهكذا كان لحكم إبراهيم باشا لبلاد الشام أثر بارز في توجه المهاجرين إلى مصر، سواء قبل اوخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة للصورة الايجابية التي انطبعت في أذهان الشوام عامة والمسيحيين منهم على وجه الخصوص تجاه مصر[7]. فالحكم المصري

---

[1] شيخو، لويس: تاريخ آداب اللغة العربية 1800-1925م، ج1، ط3، بيروت، دار المشرق، 1991م، ص8.

[2] المطوي، محمد: أحمد فارس الشدياق، حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة، ج1، دط، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989م، ص79.

[3] رستم، أسد: المحفوظات الملكية المصرية، مرجع سابق، ج3، وث4719، 4971 ،5612، 5460، 5553، ص 447، 457، 409، 231، 154.

[4] المرجع نفسه، ج2، وث3096، ص339؛ ج3، وث5010، ص241.

[5] الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل: مرجع سابق، ص 167.

[6] المرجع نفسه، ص 191.

[7] ضاهر، مسعود: الهجرة اللبنانية إلى مصر، دط، بيروت، المكتبة الشرقية، 1986م، ص128.

لبلاد الشام وعلى الرغم مما اعتراه من سيئات إلا انه حقق عددا من الإصـــلاحات الايجابيــة التي بقيت محل تقدير من قبل الكثير من الشاميين وخصوصا فيمـــايتعلــق بتحقيــق الأمــن والاستقرار، وبسياسة التسامح الديني التي انتهجها إبراهيم باشا تجاه مختلف الطوائف الدينيــة أثناء حكمه، وسعيه لتحقيق نوع من العدالة والمساواة بين فئات المجتمع[1] ،هــذا إلــى جانــب التغييرات الواسعة في البنية الاقتصادية والاجتماعية والتي تعلقت بتحديد مقــدار الضــرائب التي تجبى من الفلاحين، وإيقاف الابتزازات الإقطاعية التعسفية وإنهاء عمليات السلب المــنظم وابتزاز الأموال[2]، والقيام بأعمال عمرانية كبنـــاء المــدارس ورصــف الطــرق ، وإحيــاء الأراضي[3]. فضلا عن الاهتمام بالتعليم ونشر الكتب[4]، وضبط الأسعار، وإعفاء الرهبان مــن دفع الجزية و ترميم الكنائس والأديرة[5]، وغيرها من الإجراءات التي أعطت انطباعا ايجابيــا عن مصر لدى المسيحيين الشوام على وجه الخصوص، وجعلــتهم يتجهــون إليهــا للإقامــة والاستقرار فيها.

ويؤكد على هذه الحقيقة محمد كرد علي قائلا: "كانت حسنات حكومة محمد علي فــي الشــام أكثر من سيئاتها. وضعت أصول الإدارة والجباية ورفعت أيدي أرباب الاقطاعات وأعطــتهم من الخزانة رواتب تكفيهم"[6] ، ويبين أن مآثر الحكومة المصرية كثيرة حيــث ســعت لتحقيــق العدل بين الرعايا على اختلاف أديانهم وطبقاتهم فكانت أفضل ما رأت الشام من الحكومــات منذ ثلاثة أو أربعة قرون [7] " فبحسب الإدارة تضاعف نجاح الاهلين وحسنت المالية في جميع جميع النواحي ، وقد عدت الحكومة ظالمة لكنها في الحقيقة لم تكن تستطيع غير ذلك إذ كــان عليها أن تصلح عدة أمور مختلفة وأن تبدل الفوضى والتعصب والقلاقل التي كانت ســائدة ... فأصحاب المقامات العالية والافندية والاغوات امتعضوا كثيرا من ذلك لأنهم كانوا يثرون مــن ابتزاز أصحاب التجارة والحرف وسائر الطبقات العاملة، وقد سر هؤلاء لخلاصهم من الظلــم الذي أنوا تحت عبئه طويلا واغتبط المسيحيون خاصة لنجاتهم من التعصب الذي أوصلهم إلى درجة من الذل لا تطاق... ولم يكن الفلاحون اقل سرورا منهم لأنــه وان كانــت الضــرائب

---

[1] تشرشل، تشارلز: مرجع سابق، ص22؛ انظر أيضا بازيلي، قسطنطين: مرجع سابق، ص164.

[2] عدنان جراد:الحكم المصري في سوريه 1831-1840م، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيــة، عمــان، الأردن، 1979م، ص65.

[3] رستم، أسد:المحفوظات الملكية المصرية، مرجع سابق، ج3، وث4420، 4557، ص85، 116.

[4] المرجع نفسه، ج4، وث4949، ص176.

[5] المرجع نفسه، ج2، وث3196، ص357؛ ج3، وث4420، 4932، ص85، 216.

[6] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص67.

[7] المرجع نفسه، ص68.

المقررة تستوفى بكل شدة فلم يكن يستوفى منهم بارة زيادة ولا تضبط حاصلاتهم وغلالهم ولا يؤخذ منهم شيء دون دفع ثمنه، ولم يجبروا على تقديم خدمة دون بدل " [1].

ويصف المستر برانت القنصل الإنجليزي في دمشق الحالة التي أصبحت عليها بلاد الشام بعد خروج المصريين وعودة الحكم العثماني، فيذكر في رسالة بعث بها إلى سفير دولته في الأستانة سنة 1858م بأنه:" لم يكد المصريون يطردون من القطر ويتقلص ظل سطوتهم حتى عاد القوم إلى نبذ الطاعة وخلفت الرشوة والتبذير في إدارة المالية النزاهة والاقتصاد، ومنيت المداخيل بالنقص، واستأنف عرب البادية غاراتهم على السكان فخلت القرى والمزارع المأهولة بالتدريج حتى أمكن القول أنه لا يوجد ظل للأمن على الحياة والأملاك، وكل شيء يدل على عودة حالة الفوضى إلى هذه الديار التي تركها المصريون "[2].

من هنا نستطيع أن ندرك الأسباب العميقة التي دفعت باتجاه أن تكون مصر أحد أهم الجهات التي هاجر إليها الشوام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فالحكم المصري خلال السنوات الممتدة ما بين 1832-1840م قوّى من عناصر الارتباط بين الإقليمين، ونال رضى العامة بما استحدثه من إصلاحات ايجابية ظهرت قيمتها الحقيقية بشكل خاص بعد رحيل المصريين ورجوع بلاد الشام إلى سالف بؤسها بعودة الحكم العثماني وما رافقه من سياسة استبدادية وأحداث طائفية وتراجع اقتصادي. وبالتالي فان اللجوء إلى مصر كان ينبع من الصورة الناصعة التي ترسخت في أذهان الشوام عن مصر والحكم المصري بفعل تجربة سابقة مروا فيها وخبروا من خلالها العديد من ايجابيات الحكم والإدارة المصرية على أكثر من صعيد.

يقول احمد طربين عن تأثير الحكم المصري على الهجرة الشامية إلى مصر:" إن الارتباط بمصر في هذه المدة القصيرة، وعلى الرغم من ظروف الحرب الباردة التي مرت عليه لم يخل من أي تأثير في المستقبل...وخصوصا لما تجرّد هذا الحكم من سمات الطائفية الدينية الموروثة، فانفتحت أمام السوريين واللبنانيين أبواب الهجرة إلى مصر بعد زوال الارتباط نفسه. وأبواب العمل في كل نواحي الحياة في مصر:التجارة والإدارة والتعليم والحركة الأدبية والصحف والمطابع والتمثيل وما إليه"[3].

[1] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج3، ص69.
[2] المرجع نفسه، ص70.
[3] طربين، أحمد: تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1995م، ص166.

2-السياسة الإصلاحية للدولة المصرية ودورها في الهجرة:

كان تيار الهجرة المتجه نحو مصر قد تبلور مع انسحاب المصريين وعودة الأتراك أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن ثم بدا ينتظم خلال النصف الثاني منه في مرحلة كانت مصر تشهد فيها تطورات على نطاق واسع ضمن سياق السياسة الإصلاحية التي أصبحت تنتهجها، وخصوصا منذ عهد الخديوي إسماعيل(1863-1879م) ونهجه التحديثي الذي اعتمده في سعيه لبناء دولة عصرية تستلهم النموذج الأوروبي في مختلف جوانبها[1].

لقد كان الخديوي إسماعيل ذا طموح كبير وتميز بعقليته المتفتحة، ونال تعليمه في فرنسا وأتقن اللغة الفرنسية قراءة وكتابة، واطلع على طبيعة الحياة الأوروبية وأعجب بمدينة باريس وما فيها من تقدم، الأمر الذي دفعه لمحاولة تطبيق ذلك النموذج في مصر وبناء دولة حديثة تحاكي النموذج الأوروبي في التحديث والبناء والإصلاح تمشيا مع نزعته الأوروبية وسياسته العامة بان يجعل من مصر قطعة من أوروبا[2]. لذا نراه يعمل منذ توليه الحكم على تحقيق هذا الهدف باتخاذ العديد من الإجراءات التي كان من ضمن نتائجها أن جعلت مصر طوال سنوات النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قبلة للمهاجرين من مختلف الجنسيات[3]، ومن ضمنهم الشوام الذين وجدوا فيها ما كانوا يحتاجون إليه من أمن واستقرار وأجواء من الحرية والتسامح الديني والازدهار الاقتصادي وغيرها مما افتقدوه في بلادهم[4].

لسنا هنا بصدد استعراض تفاصيل الإصلاحات المتعددة للخديوي إسماعيل في مصر والتي شملت كافة المجالات السياسية والإدارية والعلمية والاقتصادية بمقدار ما سنتناولها من خلال النتائج التي تمخضت عنها وارتبطت بشكل مباشر في استقطاب أعداد كبيرة من الشوام للهجرة إلى مصر.وهذه النتائج تتعلق في الدرجة الأولى بالاستقرار السياسي ومناخ الحرية والأمن والتسامح الديني الذي أصبحت تتمتع به مصر آنذاك، وبالتشجيع الذي أولاه الخديوي إسماعيل للنخبة المثقفة للقدوم إلى مصر ومتابعة نشاطها من هناك، وكذلك في الازدهار

---

[1] هدى زريق. عملية صنع القرار في الهجرة المؤقتة والدائمة من لبنان، المستقبل العربي، س9، ع 87، أيار-مايو/ 1986 ص 77.

[2] الرافعي، عبد الرحمن: عصر إسماعيل، مرجع سابق، ج1، ص74.

[3] مبارك، علي:الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ج1، ط2، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ص194.

[4] ضيف، شوقي: الأدب العربي المعاصر في مصر، ط5، القاهرة، دار المعارف، 1974م، ص25.

الاقتصادي والحاجة الماسة للموظفين والمتعلمين الذين تطلبتهم خطط الإصلاح والتحديث، والذي ارتأيت تناوله في عنوان مستقل رغم ارتباطه الوثيق بسياسة الإصلاحات التي انتهجها الخديوي إسماعيل كما سيمر معنا:

- الاستقرار السياسي وتوفر مناخ الحرية والأمن:

أسهمت الإصلاحات الخديوية في تحقيق الاستقرار السياسي وتوفر أجواء من الحرية النسبية في مصر. فضمن سياسته الرامية إلى تحديث مصر وتكريس مظاهر الاستقلال عن الدولة العثمانية انشأ الخديوي إسماعيل سنة1866م "مجلس شورى النواب " الذي أتاح هامشا من حرية التعبير عن الرأي وعكس نوعا من المشاركة الشعبية في شؤون الحكم[1] . كما نظم عمل القضاء ووطد الأمن، وسعى لبعث النهضة العلمية والفكرية من مرقدها بإنشاء المدارس والمعاهد وتأسيس الجمعيات العلمية وتشجيع العلم وعمل على تنشيط الصحافة ورعاية العلوم والآداب والفنون[2]. وكانت هذه الإجراءات بحد ذاتها مغرية لفئات عديدة من الشوام للتوجه إلى مصر والإقامة فيها وخصوصا تلك الفئة من المثقفين الذين تعرضوا للقمع والاضطهاد، حيث وجدوا في حالة الاستقرار التي تمتعت بها مصر دافعا لهجرتهم إليها، فتقاطروا إلى مصر "ينشئون الجرائد والمقالات أو الكتب " [3] "ويقيمون المسارح والنشاطات الفنية والثقافية المتعددة "[4]، ويتابعون نشاطهم السياسي ودعواتهم الإصلاحية في أجواء من الحرية والشعور بالأمان الذي افتقدوه في بلادهم.

من جانب آخر، كان للتسامح الديني الذي تمتعت به مصر دور في توفر عامل الاستقرار والشعور بالأمان. فالمجتمع المصري تميز بالاستقرار والثبات ولم يعان من الطائفية والانقسامات المذهبية التي ابتليت بها بلاد الشام، وكانت الدولة المصرية تعامل جميع الأديان على قدم المساواة ولم تضع أية حواجز في وجه أي من أبناء الطوائف الدينية في مصر[5]. وقد تعزز هذا التوجه في عهد الخديوي إسماعيل بشكل واضح وخصوصا انه قدم تسهيلات كبيرة للإرساليات التبشيرية الأوروبية وفتح لها المجال للتوسع في نشاطها[6]، وبالتالي فلم تكن هناك

---

[1] رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون 1516-1916م، ط1، دمشق، مطابع ألف باء، 1974م، ص482.

[2] الرافعي، عبد الرحمن: عصر إسماعيل، مرجع سابق، ج1، ص11.

[3] زيدان، جرجي: تاريخ آداب،مرجع سابق، ج4، ص 421.

[4] المرجع نفسه، ص418.

[5] الأيوبي، الياس: تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا 1863 - 1879م، ج1، دط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1990م، ص232.

[6] الأيوبي، الياس: مرجع سابق، ج1، ص212.

هناك أية عقبات دينية أو طائفية أو عرقية في مصر ، وكانت هذه الميزة عاملا هاما في استقطاب المهاجرين الشوام ، وخصوصا المسيحيين الذين عانوا من التعصب الديني والمنازعات الطائفية التي شهدتها بلاد الشام آنذاك حيث توافدوا إلى مصر بأعداد كبيرة ولم تشكل ديانتهم حاجزا أمام استقرارهم وممارسة حياتهم بشكل اعتيادي دون أية مخاوف[1].

- تشجيع الخديوي للمثقفين والصحافيين على الهجرة:

سعى الخديوي إسماعيل لاستقطاب المزيد من المثقفين والمتعلمين والأدباء والصحفيين الشوام وتشجيعهم على الهجرة إلى مصر، وقدّم لهم التسهيلات التي مكنتهم من تحقيق إنجازات هامة على الصعيد الثقافي والفكري والصحفي، حيث" كانت الحكومة تساعدهم من كل وجه "[2].

يقول فيليب طرازي:"كانت عطاياه لا تتناول كتاب الصحف العربية فقط، بل الشعراء والأدباء وأرباب التمثيل... ولولا تنشيطه الأدبي والمادي لبقيت الصحافة منحطة، وما شاهدنا لها تلك النهضة الكبيرة التي تزايدت مع الأيام شيئا فشيئا"[3]. فإسماعيل " شجع العلم ونشّط الصحافة والأدب وسهل على أدباء السوريين المتقاطرين في أيامه مهمة الاشتغال بالصحافة"[4]. بالصحافة"[4]. وساعده وزراء مصر في تعزيز هذا التوجه كعلي مبارك وعبد الله فكري، ولعب ولعب رياض باشا رئيس النظار دورا مؤثرا في هذه الناحية حيث سعى لاستقطاب العديد من المثقفين والأدباء وروّاد الصحافة الشامية إلى مصر سواء في أثناء خدمته للخديوي إسماعيل، أم في فترات لاحقه بعد عزل إسماعيل سنة1879م، حيث كان يكتب للمثقفين والأدباء الشوام مشجعا إياهم على القدوم إلى مصر وممارسة نشاطهم من هناك كما هو الحال مع فارس نمر مؤسس جريدة المقتطف. فحين علم رياض باشا بنية فارس نمر نقل جريدته إلى مصر سنة 1885م أرسل إليه رسالة جاء فيها : " أخبرت أنكم عزمتم على نقل جريدتكم الغراء إلى الديار المصرية ، فسرني ذلك لما تحويه من الفوائد الجليلة والنفع الدائم لكل بلاد رفعت راية علومكم فيها ... فلذلك تترحب مصر بالمقتطف الأغر وتحله محل الكرام الذين اشتهر فضلهم وعمت فوائدهم"[5].

---

[1] البستاني، سليمان: مرجع سابق، ص 164.

[2] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص418؛ انظر أيضا الرافعي، عبد الرحمن:عصر إسماعيل ، مرجع سابق، ج1، ص248.

[3] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج 2، ج3، ص4.

[4] الأيوبي، الياس: مرجع سابق، ج1، ص 244.

[5] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج1، ج2، ص140.

إن مسالة استقطاب المثقفين الشوام إلى جانب كونها نابعة من تشجيع الخديوي لهم ضمن سياسته التحديثية وسعيه للنهوض بالمجتمع المصري، فأنها في إحدىجوانبها أيضا كانت جزءا من سياسته العامة في مناوأة الباب العالي والتعبير عن استقلال الإرادة المصرية عن الدولة العثمانية، وبنفس الوقت لمواجهة الضغط الأوروبي المتزايد عليه[1]وخصوصا بعد الديون الباهظة التي أصبحت ترزح تحتها مصر والتي أدت إلى ازدياد التدخلات الأوروبية وتغلغل سلطتها في المصالح الحكومية المصرية. لهذا فقد استغل مواقف هؤلاء المثقفين من الدولة العثمانية واتاح لهم حرية التعبير عن آرائهم المعارضة للأتراك وفساد النظام العثماني وغيرها من آرائهم الفكرية بكل حرية، وشجعهم كذلك على نقد التدخلات الأوروبية من خلال صحفهم التي أسسوها في مصر، ولكنه لم يكن يسمح لهم بانتقاده. فهم وأن سمح لهم بتناول الكثير من القضايا السياسية والفكرية والأدبية والنقاش الحر حول مشاكل الدين والعقيدة والعلوم الطبيعية وأصل الكون واصل الإنسان، وانتقاد الاستبداد العثماني وجوانب الخلل في السلطنة العثمانية، وغيرها مما كانوا محرومين منه في بلادهم[2]، إلا انه لم يكن يسمح لهم بالتطرق لسياسته وخاصة في أوساط الصحافة ، فحريتهم في تناول القضايا المتنوعة كانت مقيدة ضمنيا بعدم الخوض فيما يتعلق بالسياسة المصرية أو انتقاد الحكم المصري فهو" لا يريد صحافة تعبر عن مصر أكثر مما كان يعبر عنها مجلس شورى الشعب"[3]. ومن هنا فقد تعرض بعض الصحافيين الشوام للعقاب حين تجاسروا على انتقاده، مثلما حدث لصاحب جريدة الأهرام حين أشار إلى مال صرف من الخزينة ولم يعرف مصيره مما دفع بالخديوي إلى زجه في السجن سنة1879م[4]، وكذلك الحال مع جريدتي أديب اسحق "مصر"و"التجارة" حيث أمر بتعطيل صدورهما بعد تجرؤه على انتقاد الخديوي[5]، الأمر الذي جعل اغلب أصحاب الصحف لا

---

[1] عوض، لويس: تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة1919م، مبحث أول، ج2، دط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983م، ص224.

[2] السعيد، رفعت: ثلاثة لبنانيين في القاهرة، ط1، بيروت، دار الطليعة، 1973م، ص48.

[3] عبده، ابراهيم: تطور الصحافة المصرية، دط، القاهرة، مكتبة الآداب، دت، ص78، وقد كانت اللائحة الأساسية للمجلس تنص على أن جميع قرارات المجلس استشارية وهي توصيات غير ملزمة للخديوي.انظر الرافعي،عبد الرحمن: عصر إسماعيل ، مرجع سابق،ج2، ص83.

[4] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج 2، ج3، ص51؛ انظر أيضا زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص58.

[5] عبده، إبراهيم: مرجع سابق، ص26.

يتعرضون لنقد الحكومة إلا نادرا، وتفادي الإجراءات العقابية التي كان يترتب عليها مثل هـذا الأمر[1] .

وعلى الرغم من هذا فالحال كان أفضل بكثير إذا ما قورن بظروف الاستبداد التـي عـانى منها المثقفين والمفكرين والصحافة في بلاد الشام، بل ويمكننا النظر للأمر من بـاب المنفعـة المتبادلة لكل من الشوام و الحكومة المصرية على السواء، فهم بحاجة لأجـواء مناسـبة مـن الحرية التي تمكنهم من التعبير عن ذاتهم ومواصلة مشاريعهم السياسـية والفكريـة والأدبيـة والصحافية دون عقبات وضغوط كتلك التي تعرضوا لها على أيدي الأتراك، وبـنفس الوقـت الحكومة كانت بحاجة إليهم لتكريس استقلالية مصر عن الدولة العثمانيـة، وكـذلك لمواجهـة الضغط الأوروبي المتزايد عليها، هذا فضلا عن الحاجة إليهم ليساهموا في مشاريع النهضـة والتحديث التي كانت تسير عليها مصر.

---

[1] طرازي، فيليب:مرجع سابق، مج 2، ج3، ص 5.

3 –الازدهار الاقتصادي و توفر فرص العمل والتوظيف:

شهدت مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر طفرة اقتصادية ملحوظة كان لها اثر مباشر في استقطاب المهاجرين الشوام الباحثين عن فرص حياة أفضل، بل إن مصر أصبحت تستقطب مهاجرين من مختلف الجنسيات، وليس من الشوام فقط، فكثرت فيها الجاليات الأجنبية من سويسرية وفرنسية وإيطالية وإنكليزية ويونانية واسبانية"[1] ، هذا فضلا عن الأعداد الكبيرة من المغاربة والأتراك والشركس والأرمن والكلدان والسريان [2]، حيث ساعدت الإصلاحات على حدوث تطورات اقتصادية متعددة في البلاد دفعتهم للتوجه إلى مصر لتوفر فرص العمل والتوظيف والاستثمار فيها .

تطلبت برامج الإصلاح الاعتماد على موظفين أكفّاء تتوفر فيهم مزايا ومؤهلات تتوافق مع تلك البرامج التي اعتمدت الخطط الأوروبية. ومن أهم المزايا التي كان يجب توفرها في الموظفين تخرجهم من المدارس التي تعتمد المناهج العلمية الحديثة وإتقانهم اللغات الأجنبية. فالحكومة المصرية استعانت بالخبراء الأجانب لتنفيذ خطتها الإصلاحية، وشكل عامل اللغة حينها عائقا أمام تنفيذ تلك الخطط بشكل سليم، وأدى إلى عدم الوصول إلى النتائج المرتقبة، فكانت الحاجة ماسة إلى من يتقن اللغة العربية إلى جانب لغات أوروبية[3]، حيث تطلبت عملية التنمية ترجمة للتقارير السياسية والمالية والاقتصادية والترجمات المعدة للصحافة والتراجم للطب والحقوق والمحاكم المختلطة وغيرها. من هنا وجد الشوام الفرصة سانحة للهجرة إلى مصر والالتحاق بالوظائف المتعددة هناك نظرا لما امتازوا به من كفاءة شخصية وانفتاح على الغرب وعلومه وإتقان للغات الأجنبية، حيث أنهم ممن تلقوا علومهم في مدارس تعتمد المناهج الحديثة وتدرس اللغات الأجنبية كمدارس الإرساليات‌التبشيرية المنتشرة في بلاد الشام [4]. يقول فيليب حتي: " لما بدأ الخديوي إسماعيل الذي تم افتتاح قناة السويس في عهده في إعادة تنظيم الحكم والإدارة في مصر تنظيما يتفق مع رغباته في جعل مصر بلدا عصريا وجد في خريجي الجامعات الأوروبية في بيروت موظفين أكفاء"[5]. من هنا كان دورهم بمثابة سد لثغرة

---

[1] الجميل، سيار: تكوين العرب الحديث، ط1، عمان، دار الشروق، 1997م، ص444.

[2] مبارك، علي:مرجع سابق، ج1، ص244.

[3] سيد أحمد، نبيل: النشاط الاقتصادي للأجانب وأثره في المجتمع المصري1922-1952م، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص53.

[4] Gromer,L: Modern Egypt, Vol 2, London,1908 ,p.218

[5] حتي، فيليب: مرجع سابق، ص576.

كبيرة في برامج التنمية، فالتحقوا للعمل في مختلف مرافق الدولة الحكومية والإدارية كالوزارات والمصانع والمستشفيات والمحاكم والمتاحف ودور الكتب وغيرها[1].

إلى جانب الوظائف المتنوعة في الدوائر الحكومية توفرت فرصة مواتية للعمل كمدرسين في المدارس المصرية[2] حيث شهدت مصر نهضة علمية ملحوظة في تلك الفترة وعمل المصريون ضمن خططهم الإصلاحية على التوسع في التعليم وبناء المدارس في مختلف أنحاء مصر ونشر التعليم الذي يعتمد الأساليب و المناهج العلمية الحديثة بين جميع فئات المجتمع المصري [3]، فكانت الاستعانة بهم لسد الفراغ الذي نجم عن محدودية خبرة المعلمين المصريين الذين كانت تنقصهم معرفة اللغات وطرق التعليم الحديثة ، هذا بالإضافة إلى قلة عدد المدرسين قياسا مع تزايد أعداد الطلاب وضخامة المشروع القاضي بنشر التعليم الحديث بين المصريين ومن ضمنه اللغات الأجنبية[4].

يضاف إلى هذا أن الإرساليات الدينية الأوروبية وجدت تسهيلات كبيرة في فتح المدارس للبنين والبنات، بحيث بلغت نسبة كبيرة لم تعرفها في العهود السابقة، وبات هاجس إتقان لغة أجنبية أو أكثر يشغل بال عدد واسع من قطاعات الشعب المصري، وعملت مدارس الإرساليات والبعثات الأجنبية على تلبية الإقبال المتزايد على تعلم اللغات الأجنبية، فكانت حاجتها ماسة لمن يتقنون اللغة العربية إلى جانب لغات أجنبية أخرى وبالتالي فقد استفاد الشوام من هذا الأمر بحيث استقطبتهم تلك المدارس للعمل فيها كمدرسين للغات، وكذلك للمناهج الدراسية الحديثة التي كانت تعتمدها تلك المدارس، وكانت نسبة المدرسين الشوام في هذه المدارس عالية جدا ولا تعادلها نسبة أخرى في باقي الجاليات المهاجرة في مصر[5].

إلى جانب هذا توفرت فرص عديدة للشوام في مصر دفعتهم للهجرة إليها وفتح المشاريع الاقتصادية المتنوعة من زراعية وتجارية وصناعية وغيرها بعد أن وجدت في مصر الأرضية الملائمة للاستثمار وتحقيق الغنى، فقد اتسعت مساحة الأراضي الزراعية بعد تطوير نظام الري وإدخال الآلات الزراعية الحديثة، واتجهت مصر نحو الإنتاج الواسع للمحصولات

---

[1] زخورا، الياس: السوريون في مصر، ج1، ط1، القاهرة، المطبعة العربية، 1927م، ص 61، 68، 108.
[2] طربين، أحمد:مرجع سابق، 194.
[3] الأيوبي، الياس:مرجع سابق، ج1، ص190.
[4] ضاهر، مسعود:مرجع سابق، ص136.
[5] المرجع نفسه، ص137.

السلعية التي زاد الطلب العالمي عليها كالقطن الذي توسع المصريون في إنتاجه وخصوصا بعد ارتفاع أسعاره بسبب الحرب الأهلية الأمريكية 1861-1864م وزيادة الطلب العالمي عليه[1]. فازداد حجم التجارة الخارجية بمقدار خمسة أضعاف سنة1872م، كما نشطت الصناعة هي الأخرى وخاصة صناعة النسيج وحلج الأقطان والجلود والسكر والألبان والحديد والأسلحة وبناء السفن، وتطورت الملاحة بازدياد عدد السفن والبواخر، وازدادت أهمية المدن الساحلية –التجارية التي تمتلك الموانيء الاستراتيجية كالإسكندرية وبورسعيد، وغدت مصر تتمتع بشبكة مهمة من السكك الحديدية تطورت بشكل كبير خلال الفترة الممتدة ما بين 1861-1875م[2].

وكان افتتاح قناة السويس سنة 1868م نقطة تحول مهمة في الاقتصاد المصري، حيث أدت إلى تنشيط حركة التجارة الدولية عبر مصر، وربطها بحركة الرساميل الأجنبية الدولية وإدخالها في مرحلة تبدل نوعي في قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في داخلها بعد استقطاب رؤوس الأموال والشركات الدولية التي زاولت كافة أوجه النشاطات الاقتصادية الزراعية والصناعية والتجارية وأدت إلى اندماج مصر في السوق العالمية[3].

وعلى الرغم من الآثار السلبية التي انعكست على وضع مصر جراء هذه التحولات وخصوصا فيما يتعلق بالمديونية العالية التي أصبحت تعاني منها الخزينة المصرية، ووقوعها فريسة للتدخلات الأجنبية وسيطرة الرساميل الأجنبية على الاقتصاد المصري[4]ومن ثم وقوعها تحت الاحتلال الإنجليزي سنة 1882م، إلا ان الهجرة المرتبطة بالازدهار الاقتصادي كانت مستمرة من بلاد الشام إلى مصر، ذلك أن حركة الرساميل الأجنبية وسيطرة الرأسمالية العالمية على الاقتصاد المصري حولت مصر إلى ارض خصبة لتنمية راس المال الأجنبي وسوق سهلة لتصريف المنتجات الأجنبية[5]، فازدادت الاستثمارات الأجنبية وفتحت الشركات والبنوك والمؤسسات المالية الأجنبية فروع لها في مصر وخصوصا أنها تمتعت بإعفاءات من الضرائب والرسوم الجمركية وغيرها من الإمتيازات التي وفرت لها إمكانيات اقتصادية

---

[1] رشدي، محمد: التطور الاقتصادي في مصر، ج1، دط، القاهرة، دار المعارف، دت، ص42.
[2] الجميل، سيار :تكوين العرب الحديث مرجع سابق، ص 443.
[3] اريك، دافيز:مأزق البرجوازية الوطنية الصناعية في العالم الثالث، تجربة بنك مصر 1920-1941م، ترجمة سامي الرزاز، ط1، دم، مؤسسة الأبحاث العربية، 1985م، ص60.
[4] هيكل، محمد حسين: دين مصر العام، ترجمة أحمد هيكل، دط، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ص143.
[5] رشدي، محمد:مرجع سابق، ص20.

ضخمة[1] . فكان الترابط وثيقا بين هذه التطورات المتمثلة بانفتاح مصر على حركة الرساميل الأجنبية وزيادة هيمنة الأجانب على الاقتصاد المصري وبين استقطاب المهاجرين الشوام إلى مصر ودورهم المتزايد في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والادارية والثقافية. فباب العمل والتوظيف فتح أمامهم على مصراعيه في الشركات الأجنبية التي فتحت لها فروعا في مصر[2]، وذلك أن هذه الشركات كانت بحاجة لموظفين ذوي كفاءة ومعرفة باللغة العربية إلى جانب لغات أجنبية أخرى ، وبنفس الوقت أن يكونوا قريبين بطبيعتهم وعاداتهم وتقاليدهم من الشعب المصري ولديهم المقدرة على التعامل معه، فكان الشوام خير من يتكفل لهذه المهمة لتوفر تلك المواصفات ، فاتيحت لهم فرص ذهبية للعمل في مختلف الشركات الرأسمالية آنذاك والتي تنوعت ما بين شركات المصارف والتأمينات والتجارة والخدمات[3].

إلى جانب الوظائف في الشركات الأجنبية هاجر العديد من الشوام إلى مصر للاستثمار والانخراط في الحركة الاقتصادية النشيطة، وفتح المشاريع المتنوعة في مختلف المدن المصرية، سواء كانت زراعية أم تجارية أم صناعية[4]. وفي الواقع أنهم تمكنوا من تحقيق نجاحات ملحوظة على هذا الصعيد وهو ما سنتطرق إليه في تناولنا الحضور الاقتصادي للشوام في الفصل الثالث.

---

[1] المنجوري، محمد: اتجاهات العصر الجديد في مصر، ط1، القاهرة، مكتبة النهضة، 1937م، ص93.

[2] رشدي، محمد:مرجع سابق، ص70.

[3] الأيوبي، نزيه:الدولة المركزية في مصر، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989م، ص54.

[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص52، 98.

4 – دور الإمتيازات الأجنبية والإنجليز في استقطاب المهاجرين:

كانت الدول الأوروبية تتمتع بإمتيازات عديدة في مصر، منهـا عـدم خضـوع رعاياهـا للتشريعات والقوانين المصرية إلا بموافقتها، وعدم خضوعهم لولاية القضاء المصـري إنمـا للمحاكم القنصلية التي كان المتخاصمون يلجأون إليها إذا كان احد طرفي الخصـومة أجنبـي والآخر مصري، كما كانت الإمتيازات تعفي الأجنبي من دفع الضرائب أو الرسـوم فـي أي شكل لها[1]. من هنا كان للامتيازات الأجنبية اثر في استقطاب المهاجرين الأجانب ومن ضمنهم عدد من المهاجرين الشوام ممن سعوا للاستفادة من هذه الإمتيازاتلتحقيـق الغنـى و الثـراء السريع من خلال حصولهم على حماية إحدى الدول الأجنبية والتمتع بما لهـا مـن إمتيـازات تسهل الكثير أمام إقامتهم وأعمالهم الاقتصادية وغيرها[2]. وقد أسهم هذا الأمر في ارتباط تلـك الفئة من المهاجرين بالمصالح الأوروبية وولائها للغرب.

الوجود الإنجليزي لعب هو الآخر دور هام في استقطاب المهاجرين الشوام، فقد هاجر آلاف منهم بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م[3]، حيث سعى الإنجليز للاستفادة منهم علـى أكثر من صعيد :

1- عملوا على التوسع في استخدام الموظفين الأجانب في الوظائف العليا والاعتماد عليهم في المناصب الحساسة لإدارة البلاد بدلا من الاعتماد على المصريين [4]، ولهذا عملوا علـى بنـاء كادر من الموظفين الشوام والأرمن بصفة خاصة، ويبين اللورد كرومر الحاكم الإنجليزي في مصر سبب اختيار الشوام فيقول : "لم تكن هناك فائدة كبرى ترجى من وراء استخدام مسلمي مصر وأقباطها ، وهكذا لم يكن هناك سوى السوريين الذين كانوا في نظر الإنجليز أرقى مـن المصريين سواء منهم من أخذ بالتمدن أو لم يأخذ" [5].ولهذا ورغم أنه لم يكن هناك مـا يمنـع الشوام من الالتحاق بالوظائف المتعددة في مصر. فقد سعى كرومـر لتنظـيم وجـودهم فـي الوظائف بشكل قانوني فأصدر في سنة 1890م قانونا منح بموجبه المهاجر منهم الذي عـاش

---

[1] روثستين ،ثيودور: تاريخ المسالة المصرية 1875-1910م، ترجمة عبد الحميد ألعبادي ومحمد بدران، ط2 ، بيروت ، دار الوحدة،1981م ، ص61 .

[2] الأيوبي، الياس: مرجع سابق، ج1، ص260.

[3] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص137.

[4] Gromer, L: op.cit.Vol2.p215

[5] Ibid.vol2.p234

في مصـــر(15) سنه حق التوظف في الحكومة المصرية[1]، "فكان هؤلاء المهـــاجرون إلـــى مصر يقومون بخدمات جلى في حقول الطب والصـــيدلة والإدارة الحكوميـــة المدنيـــة منهـــا والعسكرية"[2].

2- إن إتقان الشوام للغة العربية والإنجليزية والفرنسية ولغات أخرى دفع الإنجليز للاعتمـــاد عليهم في كافة الوظائف وإعطائهم الأفضلية على المصريين، وأتاح لهم هذا الأمـــر الالتحـــاق في مختلف الوظائف العليا وبنسبة كبيرة. ففي تقرير للورد ميلنر* عن نســـبة المـــوظفين فـــي الوظائف العليا سنة 1905 م يتبين أن (28%) منها كانت للمصـــريين و(42%) للإنجليـــز و(30%) للشوام[3].

3-إلى جانب الوظائف الإدارية توسع الإنجليز في إلحاقهم في صفوف الجيش الإنجليزي فـــي مصر واتاح لهم الوصول لمراتب متقدمة[4] ، كما انضموا للجيش الإنجليـــزي فـــي الســـودان وعملوا في الإدارة الإنجليزية هناك في مختلف الوظائف العسكرية والمدنيـــة ، وكـــان مـــنهم أطباء ومترجمون وضباط وقادة [5]

4-ضمن سياستهم العدائية تجاه الدولة العثمانية عمل الإنجليز في مصر علىتأييـــد وتشـــجيع العناصر ذات الميول المعادية والمعارضة للعثمانيين على الهجرة إلى مصر، ووفـــروا لهـــم التسهيلات والحرية الكاملة لمتابعة نشاطاتهم السياسية من هناك، الأمر الـــذي أتـــاح لهـــؤلاء فرصة نقد الاستبداد التركي وممارسة نشاطهم ودعواتهم بحرية لم يعهدوها في بلادهم[6]. كمـــا

---

[1] Gromer, L: op.cit.Vol 2.p. 236

[2] حتي، فيليب:مرجع سابق، ص 576.

* هومبعوث الحكومة البريطانية الذي ارسلته للتحقق من اسباب ثورة 1919م.انظر الشافعي،شهدى: تطور الحركـــة الوطنية المصرية 1882-1956م،دط ،القدس، منشورات صلاح الدين،1956م، ص31.

[3] عوض، لويس: مرجع سابق، ص173.

[4] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص199

[5] المرجع نفسه، ج1، ص63، 127.

[6] ليفين، ز.ا:الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر،ترجمة بشير السباعي،ط1،بيروت ، دار ابن خلدون،1978م،ص 81.

أن المثقفين الشوام ممن انخرطوا في النشاط السياسي كانوا يتطلعون بدورهم إلى مساعدة الإنجليز لهم ودعمهم لتحقيق أهدافهم ومطالبهم[1].

5-وبنفس الوقت وجد الاحتلال الإنجليزي في بعض الصحف الشامية أدوات نافعة لتسويغه أمام الرأي العام، فشجع رعيلا جديدا من الصحفيين الوافدين على إنشاء جرائد ومجلات تدافع عن انجلترا وعن احتلالها لمصر وبيان ما جلبه الحكم الإنجليزي من خيرات[2]. كما شجعوا ظهور المجلات والجرائد المتخصصة لينصرف المثقفون عن السياسة وعملوا على دعمها بأموال ضخمة [3]

6- التنافس الإنجليزي الفرنسي على المنطقة دفع الإنجليز لمحاولة إيجاد عناصر مؤيده لهم من الشوام. وبالتالي وجدوا انه من الفائدة لهم استقطاب هؤلاء إلى مصر ورعايتهم وتوفير كامل الإمكانيات لهم لضمان بقائهم ضمن دائرة نفوذهم [4]، وخصوصا انه كان من ضمن خيارات السياسة الإنجليزية محاولة ضم مصر وسوريا في دولة واحدة وبالتالي فان استقطاب المهاجرين الشوام كان ضمن سياق العمل على هذا المشروع، فتحركت في صفوف المثقفين والسياسيين الشوام في مصر ضمن سياستها الرامية إلى ترتيب الأوضاع في المنطقة[5].

---

[1] منسي، محمود: حركة اليقظة العربية في الشرق الاسيوي، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1978م ص105؛ انظر ايضا كوثراني، وجيه: بلاد الشام، مرجع سابق، ص302.

[2] حسين، محمد: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ج1، ط3، بيروت، دار النهضة العربية، 1972م، ص90.

[3] عوض، لويس: مرجع سابق، ص 268.

[4] كوثراني، وجيه: بلاد الشام، مرجع سابق، ص 262.

[5] سلطان، علي:تاريخ سورية 1908-1918م، ط1، دمشق، دار طلاس، 1987م، ص251.

ثانيا-الفئات المهاجرة والمنابت الجغرافية للمهاجرين

شملت الهجرة كافة الشرائح في بلاد الشام ولم تكن مقصورة على شريحة دون أخرى. فإلى جانب المثقفين والأدباء ودعاة الإصلاح العاملين في النشاط السياسي الذين لجأوا إلى مصر، كان المهاجرون " مزيجا من الصناع والزراع وأرباب التجارة والعقارات والصرافة وسائر الحرف " [1] ، ويظهر هذا جليا من خلال تتبع نشاط المهاجرين من حيث تشعبه وتنوعه ليشمل كافة أوجه النشاط الاقتصادي والسياسي والأدبي والصحافي[2]، حيث كان منهم موظفون ومعلمون وتجار وصحفيون وأصحاب مصانع ومصارف وملاك أراضي وعمارات وغيرهم[3]. يقول البستاني بهذا الخصوص:" كانت مصر وهي شقيقة سوريا في العادات والأخلاق وجارتها القربى راتعة في بحبوحة من الأمن وصفاء العيش. فتوجهت أنظار أرباب المال إليها كما توجهت إليها أنظار الطبقة الوسطى وأرباب الأقلام، فكانت لهم جميعا ملجأ أمينا يقصده طالب الرزق للإقامة ويرتاده التاجر الغني للنزهة شتاء، ويغتنم فرصة من تلك النزهة لإنماء ثروته بالمضاربات بالمال والعقار. فلما كادت تزهق أرواح السوريين في بلادهم تهافت رهط من أعلى طبقات هؤلاء التجار إلى تصفية أشغالهم وبيع عقارهم بأبخس الأثمان وطلقوا سوريا بتاتا وأتوا فأقاموا في القطر المصري"[4].

وتشير سجلات الكنائس إلى واقع هذا التنوع في شرائح المهاجرين الشوام إلىمصر من خلال ما حوته هذه السجلات من معلومات حول المهن المختلفة التي شغلوها، حيث نجد منهم تجار، صحافيون، أطباء، مهندسون، موظفون، مستخدمو شركات ومحلات تجارية، مزارعون وعمال وغيرهم[5].

كما كان المهاجرون من مختلف الطوائف الدينية مسلمين ومسيحيين على السواء، على أن الغالبية كانت من أبناء الطوائف المسيحية، في حين أن المسلمين المهاجرين إلى مصر كانوا قليلي العدد نسبيا إذا ما قورنوا مع المسيحيين[6]. يقول شاكر النابلسي: " علينا أن ندرك أن الشوام المسيحيين دون الشوام المسلمين هم الذين طرقوا آفاق الهجرة والبحث عن الرزق

---

[1] البستاني، سليمان: مرجع سابق، ص 178.

[2] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج2، ص279-288.

[3] طربين، أحمد:مرجع سابق، ص174.

[4] البستاني، سليمان: مرجع سابق، ص174.

[5] س.ر.ك : سجل الزواج رقم 34-القاهرة (1874-1914م) ،ص92-123؛ انظر أيضا ، س.ر.ا.: رزنامة الخطوبات الخطوبات الشرعية الأولى (1905-1915م)، ص12-50

[6] حتي، فيليب:مرجع سابق، ص578.

خارج حدود بلاد الشام... ووجدناهم فيما بعد يقودون الصحافة وبعض أوجه الثقافة في مصر "[1]. فالهجرة الشامية إلى مصر اتخذت طابعا مسيحيا بشكل عام، ويمكننا تفسير هـذا الأمـر بعدد من النقاط:

- المنازعات الطائفية كان لها تأثير مباشر على وضع المسيحيين في بلاد الشام مـن حيـث انعدام الأمن والاستقرار وسوء الأحوال الاقتصادية، وخصوصا بعد مذبحة 1860م في جبـل لبنان ودمشق، وبالتالي فان أسباب الهجرة كانت أقوى بالنسبة إليهم مما هو عليه الحـال عنـد المسلمين[2].

- الدولة العثمانية نفسها كانت لها مصلحة في هجـرة المسـيحيين وخصوصـا بعـد تزايـد التدخلات الأوروبية بحجة حماية المسيحيين بعـد فتنـة 1860م. وفـي ذلـك يقـول كـرد علي:"...كان عمال العثمانيين يودون لو هاجر جميع المسيحيين من الشام، لينجوا من دعـوى أوروبا في حماية الأقلية..."[3].

- التسامح الديني والحرية الدينية التي تمتعت بها الطوائف المسيحية في مصر كانـت مثـار إعجاب من قبل المسيحيين في بلاد الشام الذين "كانوا يغبطون المسيحيين المصريين على مـا كانوا يلقونه في ظل الدولة الخديوية من معاملة عادلة"[4]،هذا إلى جانب ما ترسخ في ذاكـرتهم من ايجابيات حول السياسة العادلة التي انتهجتها الدولة المصرية تجاه المسيحيين أثناء حكمهـا للمنطقة كما مر معنا، فشجعهم هذا الأمر على التوجه إلى مصر بأعداد كبيرة.

- النهضة الثقافية والحركة السياسية المناوئة للأتراك كان أغلب أفرادها من المسيحيين الـذين تلقوا علومهم في المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية، ولهذا فقد تعرضـوا أكثـر من غيرهم للاضطهاد كونهم كانوا الأكثر نشاطا وانخراطا في الميدان السياسـي والصـحفي والفكري[5].

---

[1] النابلسي، شاكر:عصر التكايا والرعايا، وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثمـاني 1516-1918م، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999م، ص 232.
[2] ميخائيل سليمان، مرجع سابق، ص20.
[3] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص251.
[4] النقاش، رجاء: الانعزاليون في مصر، ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981م، ص15.
[5] ضيف، شوقي:مرجع سابق، ص25.

- النسبة الكبيرة من المتعلمين بين المسيحيين في بلاد الشام كـان لهـا دور فـي هجـرتهم المتزايدة على ضوء حاجة مصر لموظفين أكفاء ومتعلمين، سـواء فـي وظـائف الحكومـة المصرية أو في الدوائر الإنجليزية المختلفة[1].

- بعد إعلان الدستور سنة 1876م فرض على المسيحيين أداء الخدمة العسكرية لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية ومن هنا كانوا يهاجرون بكثافة للهروب من التجنيد الإجباري[2].

- كان التجار المسيحيون يسيطرون على حركة التجارة الدولية المارة عبر طرق الترانزيـت في بلاد الشام[3] قبل أن يتحول مركز الثقل التجاري إلى مصر بعد افتتـاح قنـاة السـويس ، وبالتالي فقد انتقلوا إليها لمواصلة نشاطهم التجاري واستثمار أموالهم فيها[4].

- ولعل وقوع مصر تحت الإحتلال الإنجليزي كان سببا في دفع المسلمين من الشوام للهجـرة إلى أماكن أخرى، وذلك لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى لكون الإنجليز في مصـر يعتبـرون بنظرهم كفار ينتهكون ارض المسلمين، في حين انتفى هذا الوازع لدى المسيحيين الشوام.

أما بخصوص المنابت الجغرافية للمهاجرين، ففي الواقع انه لم يكن هناك ما يميز المهاجرين إلى مصر تبعا للمنطقة أو المدينة التي هاجروا منها في بلاد الشام، فهم جميعا كـان يطلـق عليهم لقب "الشوام". وتعامل معهم المصريون على هذا الأساس ككتلة بشرية واحدة، ونظـروا إليهم كـ" شوام"، سواء أتوا من مدن ولاية دمشق أو حلب أو بيروت أو متصـرفيات القـدس وجبل لبنان ودير الزور وغيرها[5].

على أنه من خلال الإطلاع على السير الذاتية لعدد كبير من المهاجرين، يتبـين بوضـوح أن الغالبية العظمى من المهاجرين إلى مصر كانوا من مناطق جبل لبنان، ومدن بيروت وحلـب ودمشق وحمص والنواحي التابعة لها، مع أعداد قليلة من مدن نابلس والقدس ويافا وغزة. وقد أشار البستاني إلى هذا في تناوله للمناطق الشامية التي شملتها الهجرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بقوله:" كان أول من نفخ في ذلك البوق أهل شمالي لبنـان... ثـم تـابعهم أهالي أواسط الجبل فسكان الجنوب، وما لبثت أن امتدت العدوى إلى مـدن سـوريا، دمشـق وحلب وبيروت وسائر الثغور والأرياف "[6].

---

[1] Gromer,L: op.cit.Vol2.p228

[2] سلطان، علي: مرجع سابق، ص 93.

[3] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية، مرجع سابق ص104.

[4] كرد علي، محمد: مرجع سابق، ج4، ص250.

[5] ضاهر، مسعود: مرجع سابق، ص 17.

[6] البستاني، سليمان: مرجع سابق، ص170.

ويظهر هذا بشكل جلي من خلال الرجوع لأسماء الأزواج والمناطق الجغرافية التي هاجروا منها، والمدونة في سجلات الكنائس الشامية في مصر، فعلى سبيل المثـال تسـجل رزنامـة الخطوبات الشرعية لكنيسة الروم الأرثوذكس السوريين في القاهرة إشارة للبلدة الأصلية التـي هاجر منها الأزواج، فترد فيها بكثرة أسماء مدن دمشق وحماة وحمص، بالإضـافة لمنـاطق طرابلس و بيروت، وفي حالات نادرة أسماء مدن عكا ويافا[1]. كما تتكرر بشكل واضـح فـي سجلات العماد لبطريركية الروم الكاثوليك أسماء مدن وقرى جبل لبنان مثل بكفيـا، جونيـة، جزين، دير القمر وبشري[2].

---

[1] س.ر.ا: رزنامة الخطوبات الشرعية الأولى (1905-1915م)، ص112-210

[2] س.ر.ك: سجل العماد رقم 21- الإسكندرية(1856-1884م)، ص211-275.

ثالثا- اتجاهات الهجرة الشامية إلى مصر

لم تكن اتجاهات الهجرة إلى مصر ثابتة من حيث المبدأ إلى مدينة أو منطقة معينه.ولعل أهم الأسباب التي يعتمد عليها اتخاذ قرار التوجه لمدينة أو جهة ما، هو قدرتها على توفير متطلبات النجاح والعمل والإمكانيات الملائمة لنشاط المهاجر واستمراريته سواء كان نشاطا اقتصاديا أو سياسيا أو علميا وثقافيا أو غيره[1] .

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت مصر كما مر معنا تشهد تحولات وتغيرات متعددة ومستمرة، وكان هذا ينعكس على أوضاع المدن المصرية من حيث توفر الإمكانيات والفرص المتاحة للمهاجرين، حيث أن بعضا منها كانت تشهد هجرة كثيفة إليها ومن ثم لا تلبث أن تخف تلك الهجرة لأسباب تتعلق بأوضاع المدينة وضيق الفرص المتاحة فيها[2] . فمدينة دمياط على سبيل المثال بقيت حتى سنة 1868م تشهد إقبالا متزايدا من المهاجرين بسبب النشاط الاقتصادي المزدهر الذي تمتعت به نظرا لكونها المرفأ الأهم لمصر على البحر الأبيض المتوسط، ومن ثم بدأت حدة الهجرة إليها تخف بسبب تراجع أهميتها بعد افتتاح قناة السويس[3]، وبنفس الوقت شهدت بعض المدن ازديادا في توجه المهاجرين إليها بعد أن ازدادت أهميتها وتمتعت بتوفر إمكانيات النجاح وتحقيق طموحات المهاجرين ، كالمدن الواقعة على جانبي قناة السويس بورسعيد والإسماعيلية والسويس ، حيث ازداد توجه الشوام إليها بسبب افتتاح القناة وازدهار أوضاعها الاقتصادية .

إلى جانب هذا فقد لعبت الناحية الاجتماعية والطائفية دورا في تحديد المكان الذي يختاره المهاجر، فتواجد الأقارب أو أبناء الطائفة والمنطقة التي يغادرها المهاجر في إحدى المدن، تدفعه للتوجه صوبها حيث يعمل المهاجرون الأوائل على احتضان أقاربهم وأبناء طوائفهم وتقديم كل مساعدة لتمكينهم من تحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية[4].وهذا ما نلاحظه من خلال وجود تجمعات لأبناء العائلات أو المناطق التي هاجر منها في مدينة معينة مثل مدينة طنطا التي كان أغلب المهاجرين من مدينة حمص يتجهون إليها وتواجدوا فيها بكثافة[5].

---

[1] الجوهري، يسري: مرجع سابق، ص186

[2] سيد أحمد، نبيل:مرجع سابق، ص140.

[3] يوسف، نقولا: تاريخ دمياط عبر العصور، ط1، القاهرة، مطبعة الاتحاد القومي، 1958م، ص226.

[4] قرألي، بولس:السوريون في مصر، ج2، دط، القاهرة، المطبعة السورية، 1928م، ص65.

[5] س.ر.ا: رزنامة المعمودية الثالثة(1893-1914م)، ص80-100

على أنه وبشكل عام يمكن القول أن المهاجرين الشوام تواجدوا في أغلب المدن المصرية، مما يعني أن مصر قد استقبلت المهاجرين الشوام دون أية قيود على تحركاتهم وأماكن تواجدهم.

وتظهر الهجرة الشامية إلى مصر أن مدينة دمياط كانت من أولى المدن التي اتجه إليها الشوام لأسباب تتعلق بموقعها الاستراتيجي على الطريق البحري مع بلاد الشام، وكونها من أهم المرافيء المصرية على البحر الأبيض المتوسط قبل افتتاح قناة السويس سنة 1868م باعتبارها حلقة وصل بين مصر وأروبا وكذلك بين مصر وبلاد الشام وباقي ولايات الدولة العثمانية، هذا بالإضافة لتمتعها بعلاقات تجارية نشيطة مع بلاد الشام منذ فترات طويلة[1].

يقول الرحالة فولني عن علاقة دمياط التجارية ببلاد الشام خلال القرن التاسع عشر: " كانت تأتي إلى دمياط من وقت لآخر قوافل صغيرة من دمشق تحمل أقمشة حريرية وقطنية وزيوت وفواكة مجففة، وفي الفصل المعتدل كان يوجد بميناء دمياط على الدوام بعض السفن تفرغ شحنتها من التبغ الوارد من اللاذقية وتأخذ تلك المراكب أرزا بدلا منه... وكانت الوكالات والخانات في دمياط تجمع في أروقتها أقمشة الهند وحرير لبنان "[2] .

وقد جذب وضع مدينة دمياط المهاجرين الشوام إليها وكانت غالبيتهم من المسيحيين الذين هاجروا من مناطق حلب ودمشق وبعلبك وجبل لبنان، وأقاموا في دمياط في حي أطلق عليه اسم "حارة النصارى"، كان من عائلات الشوام الشهيرة فيه عائلات نقولا، سابا، كحيل، جبارة، عنحوري، عكاوي، حموي، عيروط وصفير[3].

وبقيت مدينة دمياط تستقطب المهاجرين الشوام طوال الربع الأول من النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب تجارتها النشطة وتمركز حركة الرساميل الأجنبية فيها، ثم بدا وضعها التجاري بالتقهقر تدريجيا بعد افتتاح قناة السويس سنة 1868م، وانتقال مركز ثقل الحركة التجارية إلى مدن القناة مثل بورسعيد والإسماعيلية والسويس، فبدأت تلك المدن تشهد هجرة متزايدة من الشوام الساعين للاستفادة من النشاط الاقتصادي الواسع الذي أصبحت تتمتع به[4]. فتواجدت العديد من العائلات الشامية المهاجرة في هذه المدن وتوزعت على مختلف أحيائها. ويسجل بولس قرالي أسماءعدد من العائلات الشامية في بورسعيد فيذكر منها عائلات بيطار، طليماس، همام، مطران، لطف الله، بيروتي، وعنحوري، وكذلك في الإسماعيلية حيث تواجدت عائلات صالحة، صايغ، صراف وعبد النور وغيرها[5].

---

[1] يوسف، نقولا:مرجع سابق، ص224.

[2] المرجع نفسه، ص177؛ انظر أيضا زيادة، نقولا:لبنانيات، ط1، لندن، دار رياض الريس، 1992م، ص229.

[3] قرالي، بولس: مرجع سابق، ص295

[4] يوسف، نقولا:مرجع سابق، ص226.

[5] قرالي، بولس:مرجع سابق، ص 278.

أما القاهرة فكانت من أكثر المدن المصرية استقطابا للمهاجرين الشوام كونها عاصمة مصر ومركز الثقل الرئيسي لكل النشاطات الأساسية الحكومية منها والأهلية والأجنبية، وبالتالي مركز كافة الدوائر والوزارات والهيئات والمؤسسات والشركات والبنوك والرساميل العاملة في مصر، وقد نمت القاهرة بشكل كبير في تلك الفترة وعملت الحكومة المصرية على إعادة تنظيمها وتخطيطها وتطويرها بما يتناسب مع التوسع الاقتصادي الذي أصبحت تشهده [1]. وهكذا اتجهت أعداد كبيرة من الشوام إليها واستقروا فيها وسكنوا في البداية في منطقة أطلق عليها " حي الشوام " ثم توزع تواجدهم على مختلف أنحاء القاهرة وأحياءها مثل :الظاهر ،الفجالة، رمسيس ، ذهني ، مراد ، القبيسي ، السبع ، حمدي والسكاكيني[2]، حيث اشتهرت في هذه الأحياء العديد من العائلات الشامية المهاجرة مثل : تونتجي، ديب،كحيل ،غرغور، زنانيري، رطل، صايغ، دبانة، ساعاتي ، كرم ، حجار وبركات وغيرها[3].

بعد القاهرة كانت الإسكندرية المدينة الثانية التي اجتذبت اكبر عدد من المهاجرين، فقد أصبحت هذه المدينة الميناء المصري الأكثر أهمية على البحر المتوسط، وخصوصا بعد تقهقر وضع مدينة دمياط، وباتت العاصمة الثانية لمصر واجتذبت حركة ثقافية وصحافية وسياسية واقتصادية لا تقل أهمية عن القاهرة، فاتجه إليها الشوام الذين استقروا فيها بأعداد كبيرة وتمتعوا بنفوذ واسع[4] . و برزت عائلات الشوام الغنية فيها أكثر من باقي المدن المصرية كعائلات باسيلي، خلاط، ظريفة، شكور، سابا، ثابت، حداد، شلهوب، زلزل، سكاكيني، بيطار، صفير وعائلة فيعاني [5].

وعبر ذلك الارتباط بين القاهرة والإسكندرية نشأت محطات هامة لاستقرار مهاجري الشوام في مصر ابتداء من الرشيد الميناء الأساسي للإسكندرية، وصولا إلى القاهرة مرورا بطنطا التي كان أغلب المهاجرين الشوام فيها من القادمين من منطقة حمص مثل عائلات الصباغ ، لوقا ،عبد الله ، سلامة[6].

---

[1] مبارك، علي:مرجع سابق، ج1، ص194.
[2] قرألي، بولس: مرجع سابق، ص20-27.
[3] س.ر.ك : سجل العماد رقم 17 -القاهرة (1879-1893م)،ص148-180.
[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص98.
[5] س.ر.ك : سجل العماد رقم 21 –الإسكندرية(1865-1884م)،ص92-176.
[6] س.ر.ا : رزنامة المعمودية الثالثة(1893-1914م)،ص250-350

أما المنصورة فقد شكلت إحدى أهم مراكز الهجـرة الشـامية إلـى مصـر بعـد القـاهرة والإسكندرية، و تجمع فيها عدد كبير من عائلات المهاجرين الشوام القادمين من منطقة جبـل لبنان تحديدا، مثل داغر، السكاف، آصاف، حرفوش، حنين ورزق[1]حيث كان المهـاجر الـذي يصيب النجاح يستقدم اقاربه وأبناء عائلته ومنطقته.

ومع ازدياد أعداد المهاجرين وتمركزهم في معظم مدن الدلتا المصرية والقاهرة والسـويس، سعى بعضهم إلى التفتيش عن جهات أخرى لخلق فرص عمـل جديـدة أو توسـيع أعمـالهم التجارية فكانت الهجرة نحو الخرطوم، التي استقبلت عددا منهم حيث هاجر بعضـهم للعمـل الصحفي والبعض الآخر ارتبط بالحملات البريطانية على السودان كمترجمين أو أطباء ومنهم من افتتح فروعا جديدة لأعماله التجارية[2] . هذا ولم تكن انطلاقتهم من القاهرة إلى الخرطـوم مباشرة، بل استقر كثير منهم في المحطات السكانية الفاصلة بينهمـا فسـكنوا فـي القصـبات الرئيسية لمديريات الفيوم والمنية وأسيوط وقنا وأسوان ومن ثم إلى الخرطوم[3].

[1] س.ر.ك : سجل الزواج رقم 52 -المنصورة (1864-1914)،ص 113-163.

[2] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص188.

[3] س.ر.ا: رزنامة المعمودية الثالثة(1893-1914م)، ص 43، 64، 95، 118، 122، 204.

الفصل الثالث:

المهاجرون الشوام في مصر

أولا- الحضور الإقتصادي للشوام في مصر

أحسن الشوام استغلال الفرصة التي اتيحت لهم بهجرتهم إلى مصر، وتمكنوا من تحقيق نجاحات في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي في مرحلة كانت فيها مصر تشهد فورة تبدلها الاقتصادي على طريق الاندماج في بوتقة الاقتصاد الرأسمالي واختيار النموذج الأوروبي في الإدارة والمؤسسات والشركات والبنوك، فكان لهم شركات تجارية ومؤسسات صناعية، وأراضي زراعية واستثمارات منتشرة في كافة أنحاء مصر، ونشطوا كذلك في ميدان العمل المصرفي والمهن الحرة كأطباء ومهندسين ومحامين، فضلا عن المناصب الحكومية سواء في الدولة المصرية أو في الدوائر الإنجليزية، وكذلك كموظفين في مختلف الشركات المحلية و الأجنبية العاملة في مصر[1]. وتمتعت فئة منهم بغنى فاحش وجمعت ثروة كبيرة قدّرت في سنة 1907م بحوالي (50) مليون جنيه مصري، أي ما يزيد عن مليار ونصف المليار من الفرنكات الفرنسية آنذاك، وهي نسبة تعادل عشر الثروة القومية المصرية[2].

وفي الواقع إن النجاح الاقتصادي الذي حققه المهاجرين الشوام في مصر تطلب منهم بذل جهود شاقه لتحقيقه، فهم أتوا إلى مصر باحثين عن فرص أفضل مما هو عليه الحال في بلاد الشام، وباستثناء فئة قليلة من التجار الذين انتقلوا إلى مصر وخصوصا بعد افتتاح قناة السويس لتوسيع أعمالهم هناك واستغلال الازدهار الاقتصادي الذي أصبحت تتمتع به مصر آنذاك، كانت الغالبية من الفئة الفقيرة أو المتوسطة التي لا تمتلك رؤوس الأموال التي تؤهلها للبدء باستثمارات كبيرة[3]، ولهذا نلحظ أن عددا كبيرا من الذين حققوا الثروة والغنى كانوا قد تدرجوا في أعمالهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه ، فغالبا ما كان المهاجر ينخرط في العمل الوظيفي الصغير كمستخدم في إحدى الشركات أو الوظائف الحكومية ، ومن ثم بعد فترة يسعى للبحث عن الفرص التي من شانها تحسين أوضاعه الاقتصادية معتمدا على ما يكتسبه من معرفة وخبرة من خلال عمله الوظيفي فيبدأ بتأسيس المشاريع الخاصة به سواء كانت تجارية أو صناعية أو زراعية ، ويتطور فيما بعد للأعمال التجارية الكبيرة وحيازة الوكالات

---

[1] الأيوبي، نزيه:مرجع سابق، ص54.

[2] كرد علي، محمد: المذكرات، ج1، دط، دمشق، مطبعة الترقي، 1948-1949م، ص47.

[3] حتي، فيليب:مرجع سابق، ص577.

والوساطة التجارية وتأسيس المصانع وامتلاك العقارات والأراضي الواسعة ليصبح فيما بعد من كبار الأثرياء بعد انفتاح آفاق الثروة والنفوذ أمامه[1].

لقد كان الحضور الاقتصادي الأبرز للشوام في ميدان العمل التجاري الذي نشط في تلك الفترة بسبب الازدهار الاقتصادي وتوسيع الشركات والرساميل الأجنبية لنشاطاتها في مصر، فاتجهوا لممارسة كافة الأعمال التجارية وتوسيع افاقها، فافتتحوا في البداية المحلات التجارية التي اعتمدت على بيع السلع والبضائع المحلية والمستوردة، ومن ثم عملوا على تطوير تجارتهم من خلال تصنيعهم لتلك السلع أو استيرادها مباشرة من بلد المنشأ بحيث تدر عليهم أرباحا اكبر[2]. ولعل في نموذج محلات الأخوين سليم وسمعان صيدناوي ما يمثل السعي الدؤوب للشوام لتطوير أعمالهم التجارية وازدهارها، فقد أقتصر نشاط الأخوين في البداية على بيع الألبسة والعطور التي يتم شراؤها من التجار الأوروبيين المتواجدين في مصر، ثم ما لبثت أعمالهم أن تطورت بحيث أسسوا شركة لاستيراد الألبسة والعطور مباشرة من أوروبا من خلال وكلاء في ليفربول ومانشستر ومرسيليا، وأنشأوا كذلك مصانع لإنتاج الألبسة التي أصبحت تنتج الثياب المصنوعة من الحرير والصوف والقطن، وعرفت هذه الشركة توسعا في أعمالها ليمتد إلى جميع أنحاء مصر. فإلى جانب امتلاكها محلات في قصر النيل وفي الخزندار بالقاهرة توسعت فروعها إلى مدن الإسكندرية والمنصورة وطنطا وبور سعيد وأسيوط، وضم مصنع الخزندار التابع لها قرابة (150) عاملا، وتشعبت مجالات تجارتها لتشمل إلى جانب الألبسة والعطور كل من الفضيات والكريستال واللوازم المنزلية[3].

لقد تفوق التجار الشوام في كثير من الأحيان على باقي التجار الأوروبيين والأجانب وساعدهم على ذلك إلى جانب كفاءتهم الشخصية، العادات المتقاربة واللغة الواحدة و علاقتهم الأوثق مع المصريين نتيجة الاحتكاك المتواصل والمعايشة المستمرة معهم من خلال العلاقات الاجتماعية فكانوا الأقرب إلى فهم نفسية وأذواق المصريين والاستدلال على التحول في طلباتهم والقدرة على نيل ثقتهم[4]، كما أن العلاقات التجارية القديمة التي كانت قائمة بين بلاد الشام ومصر لعبت دورا في النجاحات التي حققوها في مصر من خلال امتلاكهم للخبرة التي

---

[1] يسجل الياس زخورا في كتابه معلومات هامة عن عشرات المهاجرين الشوام إلى مصر وقصص النجاح الاقتصادي الذي حققوه.انظر مثلا كتابه: ج1 ،ص 180-209 ؛ ج2،ص230-275.

[2] الغرفة التجارية اللبنانية-المصرية:العلاقات الاقتصادية بين مصر ولبنان، الإسكندرية، 1951م، ص21.

[3] زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق، مرجع سابق، ص 414-416.

[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص55.

أفادتهم في ممارسة وتنظيم أعمالهم التجارية[1]. ويظهر هذا بوضوح من خلال النشاط التجاري للشوام في مدينة دمياط التي كان لهم فيها نفوذ تجاري واسع تمكنوا من تحقيقه بفعل الصلات التجارية القديمة مع هذه المدينة التي كانت حلقة وصل بين منتجات مصر وأوروبا والسلطنة العثمانية كونها الميناء المصري الأهم على البحر المتوسط قبل افتتاح قناة السويس 1868م، فشكلوا إلى جانب اليونانيين فئة غنية ذات نفوذ واسع في إدارةالمدينة والتحكم بتجارتها [2]، وبرزوا في مجال تجارة القطن والحرير حيث كانوا يسيطرون على تجارة هذه السلع بشكل كبير ، فتمتعوا بمكانة تجارية مرموقة دفعت بالدول الأوروبية لاختيار عدد كبير منهم كقناصل لها في هذه المدينة ، حيث كانت تلك الدول تختار لهذا المنصب من يتمتعون بنفوذ ومكانة تجارية ومن أصحاب العلاقات التجارية النشيطة مع الدول الأوروبية بشكل خاص، ومع تجارة الشرق بشكل عام مما يعكس مدى الوضع الاقتصادي الذي تمتعوا به انذاك*.

ومن خلال علاقاتهم التجارية مع الدول الأوروبية تمكن الشوام من الحصول على وكالات عدد كبير من الشركات الأوروبية التي عملت على توسيع نشاطها وتسويق بضائعها في مصر، وجمع عدد منهم ثروة كبيرة من هذا العمل وباتوا من كبار رجال الأعمال، منهم عيسى أفتيموس الذي تدرج من العمل الوظيفي في حقل الترجمة في إحدى الشركات الأجنبية في بورسعيد لينتهز فرصة الازدهار الذي أصبحت تتمتع به المدينة بفعل افتتاح قناة السويس وتمركز الشركات الدولية والرساميل الأجنبية فيها ليحوز على عدد من الوكالات الأوروبية في المدينة، وافتتح محلات باسم " محلات أفتيموس أخوان " اعتبرت من أكبر المحلات التجارية في المدينة[3].

ومن حققوا نجاحا اقتصاديا ملحوظا في تلك الفترة من خلال علاقاتهم التجارية مع الدول الأوروبية التاجر داوود حبيب، الذي بدأ مستخدما في محل تجاري بسيط لبيع الملابس في مدينة بلبيس في محافظة الشرقية، ثم استقل بنفسه في محل تجاري افتتحه في مدينة القاهرة سنة1893م، فحقق نجاحا في مجال المنسوجات والاقمشه، وما لبث أن امتد نشاطه التجاري

---

[1] كوثراني، وجيه: بلاد الشام، مرجع سابق، ص169.

[2] يوسف، نقولا:مرجع سابق، ص226.

* من القناصل الشوام الذين تمتعوا بمكانة تجارية سنة1891م: سلامة رزق، كان قنصلا لروسيا. حبيب عنحوري قنصل انجلترا والدنمارك.سليم سرور وكان قنصلا لثلاثة دول هي: اسبانيا والسويد والنرويج. سليم عنحوري قنصل المانيا ، الياس قصير قنصل البرتغال ، نقولا قصير قنصل فرنسا ، سليم سلامة قنصل البرازيل ،حسن بك المرقبي شهبندرية ايران. انظر يوسف، نقولا:مرجع سابق، ص299-309.

[3] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص150.

ليقيم علاقات تجارية مع عدة دول أوروبية ويحوز على وكالات العديد من الماركات التجارية الأوروبية، وكذلك تمكن من بناء علاقات تجارية مع الهند وبعض دول إفريقيا ليصبح من رجال الأعمال البارزين[1].

وقد وصل النجاح الاقتصادي للشوام في مصر للدرجة التي احتكر بعضهم تجارة عدد من السلع، كتجارة الأخشاب التي كان آل كرم يسيطرون عليها من خلال " الشركة التجارية العقارية المصرية " التي أسسها سمعان كرم وإخوانه في القاهرة برأسمال (360)ألف جنيه سنة 1904م، وتوسعت أعمال هذه الشركة ففتحت لها فروعا عديدة في الإسكندرية وطنطا وكفر الشيخ وبنها، وامتد نشاطها التجاري لتفتح لها فروعا في الخرطوم، وعملت كذلك على توريد الأخشاب لحكومتي القطر المصري والسوداني من فنلندا واسيا الصغرى، كما أقامت فرعا لها في ولاية فلوريدا الأمريكية وعملت على توريد الأخشاب من هناك. وقد حققت هذه الشركة نجاحا كبيرا و شهرة واسعة في مصر، وبلغ عدد مستخدمي الشركة في سنة 1907 إلى ما يقارب أل(400) مستخدم. وبلغ من شهرة آل كرم وتوسعهم في تجارة الأخشاب أن أصبح يطلق عليهم لقب " ملوك الخشب "[2].

إلى جانب هذه الأعمال نجد أن الشوام في مصر جمعوا بين التجارة والتصنيع من خلال إنشاء العديد من المشاريع التجارية - الصناعية الكبيرة التي تشعبت منها فروع متعددة لإنتاج الكثير من السلع والأصناف وبأحدث الآلات المستوردة من أوروبا. ومن هذه الشركات نذكر شركة رائدة في تلك الفترة تأسست من قبل مجموعة من المهاجرين الشوام سنة 1889م هي " شركة الملح والصودا المصرية " التي تولت تأسيس صناعة الكيماويات الثقيلة في مصر، وتفرعت عن هذه الشركة " الشركة المالية والصناعية المصرية "، حيث قامت بإنشاء أول مصنع لإنتاج حامض الكبريت والأسمدة الكيماوية سنة 1899م[3]، وأنشأت كذلك عدة مصانع لتكرير الملح وصناعة الزيوت الهيدروجينية والزيت النباتي سنة 1912 م ، كما أنتجت الزيت الصناعي الذي بلغ من نجاح الشركة في إنتاجه أن توقف استيراده من الخارج[4].

وفي الواقع إن الشركات الصناعية للشوام كانت تتوسع في إنتاجها ليغطي في كثير من الأحيان كافة احتياجات السوق المصرية، فشركة " مصانع جرجس عماد وأولاده " التي تأسست سنة 1898م عملت على إنتاج الصابون في الإسكندرية ومناطق مصرية أخرى

---

[1] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص45.
[2] المرجع نفسه، ج1، ص37.
[3] الغرفة التجارية اللبنانية- المصرية:مرجع سابق، ص4، 5.
[4] المرجع نفسه، ص8.

ووصل إنتاجها ليغطي في سنة 1912 م ما يزيد على (80%) من الاستهلاك المحلي المصري[1]. والى جانب تغطية السوق المصري توسعت عدة شركات في إنتاجها لتعمل على تصديره إلى الخارج، واشتهرت بهذا الصدد " مدبغة ميخائيل ظريفة وإخوانه لدبغ الجلود " التي تأسست في سنة 1901م وعمل أصحابها على تطوير إنتاجهافاستوردوا لها أحدث ماكينات الدباغة الأوروبية، حتى أصبحت مركزا لدباغة الجلود ليس في مصر فحسب بل في المشرق العربي، حيث كانت كميات كبيرة من الجلود ترسل للدباغة فيها، فبرزت كأكبر مدبغة للجلود والأصواف الخام المعدة للتصدير إلى أوروبا[2].

وتطالعنا نشرات الغرفة التجارية اللبنانية في الإسكندرية بأسماء عديدة للشركات التجارية الشامية التي عملت على تصدير إنتاجها للخارج منها: " شركة أبناء شكر الله" التي تأسست سنة 1877م لإنتاج وتصنيع الفحم والأسمدة الكيماوية، و"مصانع شحفة إخوان لإنتاج الفراء والجيلاتين"، و"مصانع نايف عماد باشا لإنتاج زيوت بذرة القطن"، و" شركة فيعاني أخوان لتصنيع وتصدير ألاقطان"، و" شركة الغزل الأهلية المصرية" [3].

إلى جانب النشاط التجاري والصناعي، وجد بين الشوام في مصر من اتجه للاستثمار الزراعي وإنتاج السلع الزراعية كالقطن والزيوت النباتية والفحم والتبغ، ولهذا امتلك بعضهم أراضي واسعة اعتمدوا عليها في إنتاج السلع الزراعية. وان ما يلفت الانتباه هنا أن عددا منهم جمع بين النشاط التجاري والصناعي والزراعي، ويظهر هذا جليا فيما يتعلق بالقطن حيث وجد منهم من كان يسيطر على تجارة القطن بكافة مراحلها من زراعة وتصنيع وتسويق، بل ومحاولة تطوير إنتاجه بالوسائل العلمية[4]، برز من هؤلاء الفرد شماس الذي كان قد سعى لتطوير هذه السلعة من خلال إصدار مؤلفات تتحدث عن زراعة القطن وسبل تحسين إنتاجه واعتمد في هذا على ملاحظاته الشخصية وتجربته في مجال زراعة القطن التي اشتهر بها من خلال الأراضي الواسعة التي امتلكها لهذه الغاية وحقق منها ثروة طائلة أهلته ليصبح من كبار رجال الاقتصاد في مصر آنذاك. وتفرع نشاطه الاقتصادي فيما بعد ليصبح وكيلا لعدد من الشركات الأوروبية، وعضوا في مجالس إدارة أكثر من شركة أوروبية عاملة في مصر،

---

[1] الغرفة التجارية اللبنانية- المصرية:مرجع سابق، ص14.

[2] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص104.

[3] الغرفة التجارية اللبنانية- المصرية: مرجع سابق، ص18، 23.

[4] الدسوقي، عاصم: كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري1914-1952م، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1975م، ص118.

وانتخب سكرتيرا لغرفة التجارة المصرية لمدينة القاهرة عدة مرات، وأمينا لصندوق النقابة الزراعية العامة بمصر. كما عينته الدولة المصرية عضوا في المجلس الاقتصادي المصري سنة 1920م، حتى عين عضوا بمجلس الشيوخ المصري سنة 1923م [1].
ومن اشتهروا في مجال زراعة القطن، شكري صعب، الذي كان مدير الشونة المسماة " شونة البنك العثماني لبيع القطن" سنة 1875م ومن ثم تمكن من امتلاك قرابة الستين فدانا في مدينة المنصورة اعتمد عليها في زراعة القطن وتصنيعه وتجارته جمع من خلاله ثروة كبيرة[2].واشتهر كذلك أمين الشميل الذي حقق ثروة كبيرة من خلال المتاجرة في ألاقطان مع بلاد الشام وأوربا[3].

وخاض عدد من الشوام مجال الإنشاءات والمقاولات واعتمدت الدولة المصرية على العديدين منهم في إقامة تشييد المشاريع الحكومية، واشتهر من الشوام في هذا المجال حبيب سكاكيني الذي جمع ثروة كبيرة جدا متدرجا من العمل كمستخدم بسيط في مشروع قناة السويس ، ليصبح فيما بعد صاحب ثروة كبيرة جمعها من العمل في مجال المقاولات وأعمال الإنشاء وبناء المشروعات الكبيرة، حيث أوكلت إليه الحكومة المصرية تنفيذ الكثير من المشاريع الحكومية التي حقق من خلالها ثروة ضخمة وامتلك أراض ومزارع واسعة في القاهرة بمنطقة الجيزة وشارع الهرم وسكة محرم. وكان من المشاريع الشهيرة التي تولى تشييدها " دار الأوبرا المصرية" التي تم عزف أوبرا عايده من على مسرحها أثناء الاحتفالات بافتتاح قناة السويس، وقد نال مقابلها مكافأة مالية كبيرة من الخديوي إسماعيل الذي أعجب بسرعة إنجاز المشروع واتقانة، وأصبح حبيب ألسكاكيني بعد ذلك من المقربين للأسرة الخديوية، ومن ذوي المكانة والنفوذ في مصر، كما أقام علاقات مع السلطان عبد الحميد الذي وهبه سرايا عثمانية في القاهرة سنة 1882م أصبح اسمها منذ سنة 1895م " سرايا السكاكيني "، ووهبه كذلك الخديوي توفيق قصرا في سنة 1890م تقديرا لجهوده، فكان حبيب سكاكيني من اشهر أغنياء مصر في ذلك الوقت حتى أطلق اسمه على الحي الذي كان يسكنه في القاهرة[4].

---

[1] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص 209-214.
[2] الدسوقي، عاصم:مرجع سابق، ص124.
[3] زيدان، جرجي:تراجم مشاهير الشرق، مرجع سابق، ج2، ص245.
[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج2، ص225.

بالإضافة للنشاطات الاقتصادية السابقة، انخرط الشوام في مصر في ميدان المهن الحرة كمهندسين ومحامين ومحاسبين ومترجمين وأطباء[1]، وحققوا في هذه المهن حضورا ممتازا تفوقوا في بعضها على سواهم من مصريين وأوروبيين وخصوصا في ميداني الطب والمحاماة. ففي مجال الطب فاق عدد الأطباء الشوام في مدينة المنصورة مثلا في سنة 1912م عدد الأطباء من الجاليات الأجنبية الأخرى، حيث لم يكن سوى (4) أطباء يونان و(3) ألمان، فيما وصل عدد الأطباء الشوام إلى حوالي (31) طبيبا.وبينما كانت نسبة الأطباء المصريين تصل إلى(50%)، إلا أن نفوذهم كان ضئيلا لان غالبيتهم الساحقة من خريجي "الكلية الطبية العثمانية" في اسطنبول، في حين أن أطباء الشوام من خريجي الجامعات الأوروبية، ولهذا كانت عياداتهم تستقطب الغالبية الساحقة من المرضى المصريين والأجانب على السواء[2].

إن تفوق الأطباء الشوام كان دافعا للحكومة لإلحاقهم في كافة مستشفياتها ودوائرها الصحية، تماما كما استعانت بعدد وافر من المحامون والمترجمون والمحاسبون كموظفين في مختلف مرافقها ووزاراتها نظرا لما يتمتعون به من مؤهلات وكفاءة، ولهذا نجد أن الوظائف الحكومية كانت مفتوحة أمامهم دون أية قيود[3]. ووصل عدد منهم لمناصب رفيعة في السلم الوظيفي وفي كافة دوائر الدولة، مثل أنطوان مشاقة الذي عين في سنة1878م مدير الأملاك الخديوية، وجورج عطا مدير الإصلاح الإداري، يوسف ميرزا من كبار موظفي المالية المصرية، وفكتور لطف الله رئيس قلم المحكمة المختلطة سنة1892م، وجورج سابا رئيس قلم الرهنيات في المحكمة المختلطة وعبد اللة نعمة وكيل المحكمة، اسكندر عبود مدير عام سكة الحديد الأميرية، وخليل أيوب الذي وصل لمنصب مدير عام الجمارك، ومئات غيرهم ممن ارتقوا لمناصب وظيفية عليا في مختلف المرافق والمؤسسات والوزارات في مصر[4].

لقد كان الحضور الاقتصادي للشوام في مصر بارزا بدرجة كبيرة، واشتهرت عائلات شامية بأكملها بالغنى والثراء والنفوذ الواسع نظرا للمكانة الاجتماعية التي أصبحت تتمتع بها من خلال الثروة الكبيرة التي جمعتها في المدن المصرية، وخصوصا في مدينتي الإسكندرية

---

[1] س.ر.ك: سجل الزواج رقم 34 – القاهرة(1874-1914م) ص92-123؛ انظر أيضا س.ر.ا: دفتر الوفيات الأول (1895-1915م)، ص10-40.

[2] قرالي، بولس: مرجع سابق، ص183.

[3] عفيفي، أمين. تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، ط1، القاهرة، دارلنهضةالعربية، 1953م، ص97.

[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص69، 71، 96، 130.

والقاهرة اللتان كانتا أكثر ازدهارا واستقطابا للمهاجرين، ففي الإسكندرية اشتهرت العديد من العائلات الشامية الغنية، منها عائلة صويا التي اشتهرت بتجارة الدخان وتجارة ألاقطان وأعمال البورصة، عائلة طراد حيث تمكن ابنها ميخائيل طراد من تحقيق نفوذ وثراء واسع في المدينة من خلال العمل في ميدان الوساطة التجارية (القومسيون)، وتفرع نشاطه التجاري بين الإسكندرية والقاهرة وبيروت ودمشق حتى أطلق عليه لقب " شيخ القومسيونجية "، وكذلك اشتهرت عائلة دبانة ومنها حبيب دبانة الذي جمع ثروته من العمل في مجال تجارة الحرير والأقمشة، وعائلة توتنجي الحلبية والتي كان أفرادها من كبار تجار الذهب والحديد وأعمال البورصة، وعائلة خلاط التي برز منها ألبير خلاط وكيل البواخر البحرية وجول خلاط رئيس البورصة في الإسكندرية سنة 1901م وعائلة قرداحي وكان أبنائها من أصحاب الاستثمارات الواسعة في الأراضي الزراعية والعقارات في الإسكندرية[1].

وكذلك الحال في القاهرة حيث اشتهرت فيها الكثير من العائلات الشامية كعائلة لطف الله، ومنها حبيب لطف الله الذي كان من كبار الأغنياء في القاهرة وجمع ثروته من خلال زراعة ألاقطان والمتاجرة بها حتى وصل بثرائه أن اشترى قصرا كان يملكه الخديوي إسماعيل[2]، ونجيم باشا الذي امتلك أراض زراعية شاسعة ، وفيليب كفوري الذي امتلك أكبر شركة نقليات في القاهرة وغطت خدماتها أغلب المدن المصرية، وعائلات أخرى منها عائلات كحيل ، طحان، ظريفة، خلف ومرهج[3].

---

[1] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص 55، 57، 98، 106.

[2] ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج7، ص339؛ انظر أيضا زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص3-17.

[3] زخورا، الياس: المرجع نفسه، ج2، ص 275، 328، 397.

ثانيا- الحياة الاجتماعية للشوام في مصر

لم يجد الشوام صعوبات تحول دون تكيفهم مع المجتمع المصري، ولم ينظر المصريون إليهم كغرباء كما هو الحال مع باقي الجاليات الأجنبية المقيمة في مصر. ساهمت اللغة الواحدة والعادات الشرقية المتقاربة والصلات التاريخية الوثيقة بين مصر وبلاد الشام في وجود علاقات طبيعية وودية بشكل عام، فتفاعلوا فيما بينهم وازدادت روابطهم الاجتماعية، واندمج الشوام تدريجيا على اختلاف طوائفهم مع المجتمع المصري الذي كان قادرا على استيعابهم وصهرهم في بوتقته، فهو مجتمع تميز بالثبات والاستقرار وقلة التناقضات الاجتماعية إلى حد ما إذا ما قورنت بالتناقضات التي ابتلي بها الشوام في بلادهم، وخصوصا الناحية الطائفية[1]. ولهذا فان الحياة الاجتماعية للشوام كانت مستقرة بشكل عام ولم تشهد أية عوائق وخلافات حقيقية سواء بين المسلمين والمسيحيين منهم أو بينهم وبين المصريين من مسلمين وأقباط. على أن المسيحيين الشوام استمروا في التمسك بتمايزهم الطائفي فيما بينهم، ولعب العامل الطائفي دورا هاما في الإبقاء على عنصر التمايز بين المسيحيين الشوام المهاجرين إلى مصر[2]، بحيث حافظ أبناء كل طائفة على أولوية العلاقة فيما بينهم بالدرجة الأولى وخصوصا بعد أن ازدادت إعداد المهاجرين من الطوائف المسيحية المختلفة ، يقول بولس قرألي[*]: " إن هاجس التمايز بين طوائف الشوام المسيحية تبلور في مصر بعد تزايد هجرة الشوام إليها ، فهم عاشوا في البداية كعائلة واحدة في جميع المدن المصرية التي حلوا فيها دون فارق كبير بين ماروني وكاثوليكي وأرثوذكسي"[3].

ولعل ما يؤكد هذا ما تحويه سجلات الكنائس حيث نلاحظ أن العلاقات بين الطوائف كانت وطيدة في البداية، وكثيرا ما كان كاهن إحدى الطوائف يقوم بخدمة القداس في كنيسة الطائفة الأخرى ويجري عقود الزواج والطلاق ويسجل الوفيات والولادة وسواها، فنجد على سبيل المثال عدد من الحالات قام فيها أبناء الطائفة المارونية من المهاجرين بتسجيل عقود زواجهم

[1] صبحي، حسن: مجتمع الإسكندرية عبر العصور، ط1، الإسكندرية، جامعة الإسكندرية، 1975م، ص54.

[2] اسماعيل، حلمي: مرجع سابق، ص114.

[*] مؤرخ وكاهن ماروني. له عدة مؤلفات.أسس المجلة السورية سنة 1926م، وسماها بعد ست سنوات المجلة البطريركيه.أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج2،ص78.

[3] قرالي، بولس: مرجع سابق، ص75.

في بطريركية الروم الكاثوليك[1] ، وكذلك الحال مع عدد من الأرثوذكس حيث سجلوا زواجهم في البطريركية [2].

وقد تجلى التمايز الطائفي بعد تزايد أعداد المهاجرين في مظاهر عديدة وخصوصا مسالة التزاوج، حيث بقي تزاوج المسيحيين الشوام في مصر كما كان عليه الحال في بلاد الشام محصورا في الغالب ضمن إطار الطائفة الواحدة مع انفتاح نسبي على الطوائف المسيحية الشامية الأخرى. أما حالات التزاوج بينهم وبين المصريين فكانت بنسبة ضئيلة مع الأقباط[3] ، في حين يكاد ينعدم التزاوج مع المسلمين المصريين.على أن هذا الأمر لا يمكن تفسيره بموقف سلبي من المصريين بقدر ما هو متعلق بالطوائف المسيحية التي كان التزاوج فيها من الديانة نفسها والطائفة ذاتها في الغالب حيث" يحرص المسيحيون بصفة خاصة على عدم اختلاط أنسابهم بالزواج من الشعوب الأخرى، ولذلك احتفظوا بأخلاقهم وعاداتهم الأصيلة مصونة من الشوائب"[4].

ومن هنا علينا أن ندرك أن التمايز الطائفي لم يكن عقبة أمام تفاعل الشوام والمصريين، فالطوائف الشامية حافظت على تمايزها فيما بينها ولكنها لم توظف هذا التمايز لاتخاذ مواقف سلبية تجاه المصريين، فهم تعاملوا مع بعضهم بشكل طبيعي ولم يشكل العامل الطائفي عقبة في وجه هذه العلاقة. حتى في الحالات التي وجدنا فيها ازدراء من قبل المصريين لبعض الفئات من الشوام، فإنها لم تكن مبنية على مواقف طائفية بقدر ما كان العامل الطبقي هو الدافع لمثل هذه المواقف. فهناك فئة من الشوام من الذين حققوا الثراء والغنى تعاملوا باستعلاء مع المصريين، ونزعوا للتقارب مع الجاليات الأوروبية ومحاكاتها في نمط المعيشة، فانغلقوا على أنفسهم بعيدا عن التواصل مع المجتمع المصري وهمومه، واعتبروا أنفسهم أكثر رقيا من المصريين، ومارسوا حياتهم باعتبارهم جزءا من الجاليات الأوروبية المتعددة التي كانت في مصر، تكلموا لغتها وأقاموا علاقاتهم الاجتماعية معها وأرسلوا أبناءهم إلى مدارسها ليتربوا تربية أوروبية[5]، ومنهم من أوغل في ارتباطه بالأوروبيين فأطلق على نفسه ألقابا أوروبية مثل الكونت دو صعب والكونت دو شديد. ولهذا فقد احتفظ المصريون بلوم ونقمة دفينة تجاه هذه

---

[1] س.ر.ك: سجل الزواج رقم 34-القاهرة (1874-1914م)، ص112،48،42 .
[2] س.ر.ك: سجل الزواج رقم 52-المنصورة (1864-1914م)، ص87، 95، 118.
[3] س.ر.ا : رزنامة الخطوبات الشرعية الأولى (1905-1915م).
[4] إسماعيل، حلمي: مرجع سابق، ص174.
[5] صبحي، حسن: مرجع سابق، ص123.

الفئة من الشوام الذين كانوا بنظرهم مرتبطين بالأوروبيين ويمتصون ثروات البلاد على حساب الشعب المصري[1] .

ولكن سلوك هذه الفئة وموقف المصريين منها لم يحل بأي شكل من الأشكال دون تمتع الشوام بحياة مستقرة واستمرار النظرة الودية بين الشوام والمصريين بشكل عام، وهذا ما يظهر جليا من خلال ما لحظناه في تناولنا للحضور الاقتصادي للشوام وما حققوه من نجاح في مختلف أوجه النشاط الاقتصادي، بالإضافة إلى وجود عدد من الشوام في عضوية المجالس البلدية في أكثر من مدينة مصرية في تلك الفترة كأعضاء منتخبون، الأمر الذي يدل على تقبل لهؤلاء من قبل المجتمع المصري[2]، هذا إلى جانب إطلاق أسماء عدد من الشخصيات الشامية المهاجرة على شوارع بعض المدن المصرية مثل شارع دبانة و شارع خليل خياط وشارع جورج قنواتي وشارع سابا باشا في الإسكندرية ، وحي السكاكيني في القاهرة، مما يعكس القبول الذي لقيه الشوام في مصر[3].

ولعل هذا ما يظهر بشكل أكثر وضوحا من خلال الدور الاجتماعي الذي قام به الشوام في مصر من خلال المؤسسات الاجتماعية المتنوعة التي أسسوها في اغلب المدن التي أقاموا فيها، وما قدمته هذه المؤسسات من خدمات للمجتمع المصري كالجمعيات والنوادي والمدارس ودور الأيتام.

فقد عمل الشوام على بناء مؤسسات خيرية متعددة في مصر، وعملت هذه المؤسسات على تقديم خدماتها لأبناء المهاجرين الشوام والمصريين على السواء من حيث دعم المهاجرين الجدد والفقراء منهم، وتقديم المساعدات المالية والعينية لهم وتوفير فرص التعليم المجاني في المدارس التابعة لها، وكذلك تقديم مساعدات وخدمات خيرية لفقراء المجتمع المصري[4].

من هذه الجمعيات "الجمعية الخيرية السورية الأرثوذكسية"التي تأسست سنة 1875م[5] ، وفتحت لها فروعا في عدد من المدن المصرية في القاهرة والمنصورة وغيرهما ، وقد لعبت دورا اجتماعيا هاما من خلال العديد من المشاريع الخيرية ، منها تشييد دار للأيتام في الإسكندرية سنة 1884م، وكذلك المساهمة في تأسيس "جمعية الهلال الأحمر المصري" سنة 1912م، وبناء "كنيسة سيدة النياح" التابعة للشوام الأرثوذكس في الإسكندرية، فضلا عن

---

[1] الأيوبي، الياس: مرجع سابق، ص262.؛ انظر أيضا عوض، لويس:مرجع سابق، ص173.
[2] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج2، ص415.
[3] المرجع نفسه، ج1، ص223.
[4] قرألي، بولس:مرجع سابق، ص184.
[5] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص453.

العديد من المدارس مثل "المدرسة الخيرية السورية" في مدينة الإسكندرية التي تم افتتاحها في سنة1880م، ودخلها طلبة من الشوام والمصريين على حد سواء[1]. وكذلك الحال مع" الجمعية الخيرية المارونية " التي تأسست سنة1878م في الإسكندرية، حيث عملت بدورها على تقديم الدعم المادي للفقراء وتعليم الكثير من أبنائهم من خلال وفتح المدارس المختلفة. منها "مدرسة مار يوسف" في حي الظاهر بالقاهرة سنة 1890م، و"المدرسة المارونية" في الإسكندرية سنة 1894م، و"مدرسة مار منصور" و"مدارس الإخوة المسيحيين" و"المدرسة الخيرية الأرثوذكسية"[2].

بالإضافة إلى هاتين الجمعيتين وجدت جمعيات أخرى مماثلة منها "جمعية الإحسان الأرثوذكسية السورية" في بورسعيد التي تأسست سنة 1899م، و"جمعية المساعي الخيرية المارونية" في القاهرة سنة1879م، وكذلك" جمعية القديس جاورجيوس"، و"جمعية المشغل الأرثوذكسي" و"الجمعية الخيرية السورية للروم الأرثوذكس" [3]، وغيرها من عشرات الجمعيات الخيرية التي لعبت دورا اجتماعيا هاما.

والملاحظ من خلال تناولنا لهذه الجمعيات أنها في اغلبها تأسست على يد المهاجرين المسيحيين، كما إن التمايز الطائفي يظهر جليا من خلال أسمائها، بحيث نجد أن لكل طائفة من الطوائف المسيحية الشامية في مصر جمعيات وأندية وكنائس ومدارس خاصة بها وتحمل في أسمائها ما يدلل تبعيتها لها.

إلى جانب الأعمال الخيرية أقام الشوام عددا من الأندية الاجتماعية التي كانت وسيلة من وسائل التواصل بين المهاجرين الشوام في مصر، وكذلك بين الشوام وأبناء المجتمع المصري. وكانت هذه الأندية تقوم بنشاطات اجتماعية بالدرجة الأولى حيث تلتقي فيها العائلات الشامية في الأعياد والحفلات الدينية ومراسم الزواج والوفاة والولادة والخطوبة وغيرها من المناسبات الاجتماعية، كما كانت تنظم فيها الحفلات الخيرية لجمع التبرعات المادية والعينية، وكانت هذه الأندية مفتوحة أمام الشوام وكذلك فتحت أبوابها للمصريين لزيادة التواصل بين الطرفين[4] ،ومن تلك الأندية "النادي السوري" ، "نادي الاتحاد الأرثوذكسي" في القاهرة ، " نادي الشبيبة الأرثوذكسية" ، " نادي الروم الكاثوليك" و" النادي الشرقي" [5].

---

[1] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص42.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 62.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص 17، 25، 93، 149.

[4] صبحي، حسن:مرجع سابق، ص110.

[5] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص446؛ انظر أيضا زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص 55.

بالإضافة للجمعيات والمدارس والأندية اضطلع الشوام بدور ريادي في رعاية المرأة وقضاياها وإعطاءها دور أكبر في المجتمع، ويبرز دورهم هذا من خلال حرصهم على كسر الطوق المفروض على المرأة وخصوصا في مجال التعليم، حيث حرصوا على تسليح بناتهم بالعلم وإرسالهن للمدارس وكذلك للجامعات الأوروبية لمزيد من التخصص العلمي في مختلف المجالات. كان هذا في مرحلة تشهد صراعا حادا على الساحة المصرية حول تحرير المرأة ودورها في المجتمع. ولعل أفكار قاسم أمين* وغيره من دعاة تحرير المرأة لاقت الصدى الواسع والتطبيق العملي لدى الشوام في مصر أكثر مما لاقت ارتياحا لدى المصريين أنفسهم في تلك الفترة. من هنا عملوا على رعاية المرأة من خلال افتتاحهم لعدد من مدارس البنات في مصر، مثل " مدرسة البنات الكبرى" التي تأسست في الإسكندرية سنة 1872م. وكانت هذه المدرسة مفتوحة لبنات الشوام والمصريين على السواء وساهمت في تخريج أفواج من البنات المتعلمات.

ومما يعكس دورا للشوام على صعيد الاهتمام بالمرآة وقضاياها، أن النساء الشاميات أنفسهن كن نشيطات على هذا الصعيد حيث أسست بعضهن عددا من الجمعيات الخاصة بالنساء، فأسست ماري كرم "جمعية يد الإحسان بالإسكندرية"[1]، و" جمعية المساعي الخيرية المارونية للسيدات" سنة 1912م[2] ، هذا إلى جانب إنشاء بعض الشاميات صحفا خاصة بالنساء في مصر مثل " مجلة الفتاة " التي أصدرتها هند نوفل سنة1892م في الإسكندرية وهي أول مجلة نسائية في مصر[3]. ومجلة " السيدات والبنات " التي أصدرتها روزة انطون** سنة 1903م ومجلة "فتاة الشرق " أصدرتها لبيبة هاشم*** سنة 1906م[4]. واهتمت هذه المجلات بالقضايا الاجتماعية بشكل عام وشؤون المرأة بشكل خاص كالدعوة إلى النهوض بدور المرأة من حيث

---

* محامي وكاتب وباحث كردي الأصل . ولد في مصر سنة 1863م،واشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها.أنظر زيدان،جرجي : تراجم مشاهير الشرق ، مرجع سابق،ج1،ص426.

[1] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص147.

[2] المرجع نفسه، ص93.

[3] كحالة، عمر: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج5، ط4، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1982م، ص2.

** صحافية وأديبه من مواليد طرابلس سنة1882م، وهي شقيقة فرح أنطون وزوجة نقولا حداد،هاجرت الى مصر واشتغلت في الصحافة والأدب .أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج3،ص35.

*** كاتبة وأديبة وباحثة من مواليد كفرشيما في جبل لبنان . هاجرت إلى مصر ، وأجادت الإنجليزية والفرنسية ، ودعيت للمحاضرة في الجامعة المصرية سنة 1911م.أنظر كحالة،عمر: ،مرجع سابق،ج4،ص290.

[4] كحالة،عمر: المرجع نفسه، ج4، ص4.

التعليم والعمل لتأخذ دورها الحقيقي في المجتمع ولهذا حوت مقالات ودعوات لتحرير المـــرأة فضلا عن موضوعات أدبية وتثقيفية أخرى موجهة للمرأة على وجه الخصوص.

ثالثا- ملامح النشاط السياسي للمهاجرين الشوام في مصر

توفرت للمهاجرين الشوام في مصر البيئة والظروف الملائمة لمواصلة ما كانوا قد بدأوه من عمل سياسي، فتابعوا نشاطهم السياسي في مصر وتمكنوا من رفد الحياة السياسية لبلاد الشام والتعبير عن القضايا الجوهرية التي كانت تشغل بال المفكرين والمصلحين والمنخرطين في العمل السياسي في تلك الفترة. كما أسسوا الصحف والمجلات، وشكلوا الأحزاب والجمعيات السياسية التي مارسوا من خلالها نشاطهم السياسي المتعلق ببلاد الشام، هذا بالإضافة لانخراط البعض منهم في الحياة السياسية المصرية والتفاعل مع القضايا والشؤون المصرية، سواء منهم من انضوى تحت لواء الحركة الوطنية المصرية، أو كمستشارين وموظفين كبار في المناصب السياسية الحكومية، أو كأعضاء في مجلس النواب، هذا فضلا عن تعاون فئة منهم مع الإنجليز ودفاعها عن الاحتلال الإنجليزي لمصر.

وسوف نتناول فيما يلي أبرز ملامح النشاط السياسي للشوام في مصر، والمتعلق بكل من قضايا بلاد الشام، والقضايا المصرية في تلك الفترة.

1- **النشاط السياسي المتعلق ببلاد الشام:**

كان النشاط السياسي للشوام في مصر موازيا للنشاط السياسي في بلاد الشام، ولكنه تميز بهامش الحرية التي تمتعوا بها في مصر، الأمر الذي اكسبهم القدرة على التحرك والتعبير عن المطالب والدعوات السياسية بشكل أكثر قوة ووضوحا مما هو عليه الحال مع أقرانهم ممن بقوا في بلادهم.

وقد أصبحت القاهرة ساحة رئيسية من ساحات العمل السياسي المتعلق ببلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بعد أن وجد فيها النشطاء السياسيون الشوام ــ سواء من هاجر إليها بشكل دائم أو من كانت هجرته مؤقتة ــ اجواءا من الحرية التي كانوا يحتاجون إليها لمواصلة نشاطهم السياسي بكل أمان بعيدا عن الممارسات القمعية التي تعرضوا لها على يد السلطات العثمانية. وفي ذلك يقول جورج أنطونيوس:" لما كانت مصر بعيدة عن متناول عبد الحميد فقد أصبحت القاهرة أحد مراكز التآمر على حكم الطاغية وكانت باريس مركزا آخر من هذه المراكز، فتجمع في هاتين العاصمتين جماعات من اللاجئين السياسيين وشرعوا يتآمرون ويتصلون سرا بالموالين لهم.. ليقضوا على استبداد السلطان عبد الحميد"[1].

لقد كان لجهود وتحركات المثقفين والنشيطين سياسيا من الشوام في مصر دور مؤثر في مختلف مراحل العمل السياسي المتعلق ببلاد الشام، سواء ما تعلق منه بنقد الاستبداد العثماني وسياسة السلطان عبد الحميد والمطالبة بالإصلاحات والدستور، أو ما تبعه بعد استعادة العمل بالدستور سنة 1908م من دعوات إلى اللامركزية وتحقيق الاستقلال الإداري للولايات العثمانية، وما تطورت إليه هذه الدعوات بفعل تلاحق الأحداث إلى تبلور المطالب القومية العربية والمطالبة بالانفصال عن الدولة العثمانية وإقامة كيان سياسي يعتمد على الرابطة القومية العربية. هذا فضلا عن نشاطهم بعد اتضاح النوايا الاستعمارية لكل من بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى وما قوبلت به من دعوات لإقامة دولة سورية موحدة في بلاد الشام، وما تبع كل هذا من حسم لمصير المنطقة بما يتلائم مع مصالح الدول الاستعمارية الكبرى وخصوصا بريطانيا وفرنسا.

---
[1] أنطونيوس، جورج: مرجع سابق، ص174.

حتى سنة 1908م وهي السنة التي استعيد فيها العمل بالدستور، تميز العمل السياسي للشوام في مصر بطابعه الفكري والأدبي من خلال المؤلفات والكتب والخطب والمحاضرات والمقالات في الصحف والمجلات التي اعتبرت وسيلة أساسية من وسائل العمل السياسي. فمعظم من شارك في العمل السياسي آنذاك كان قد امتهن الصحافة والتحرير أو امتلك صحفا أو عمل في الكتابة أو كان صاحب مهنة علمية[1]، من أمثال فرنسيس مرّاش* وفرح انطون وعبد الرحمن ألكواكبي وفارس نمر ورشيد رضا واسكندر عمون وحقي العظم ويعقوب صروف وأديب اسحق وتوفيق جبور وشبلي شميل وغيرهم .

ولو أخذنا نماذج من كتابات بعض هؤلاء في تلك الفترة- أي حتى سنة 1908م- فسنجدهم شغلوا بالقضايا الأساسية المتعلقة بالمطالبة بالإصلاح ونقد الاستبداد العثماني والدعوة إلى الحرية والمساواة واستعادة العمل بالدستور.

ولعل في رسالة شبلي شميل التي بعثها للسلطان عبد الحميد الثاني من مصر في سنة1890م ما يعبّرعن ذلك بشكل جلي، حيث حاول من خلالها تشخيص الوضع السياسي والتعبير عن المطالب التي كان ينادي بها السياسيون والمثقفون الشوام، فجاء في رسالته التي حملت عنوان" شكوى وآمال":

" إن سبب تأخرنا وتداعي الملك هو فقدان العلم والعدل والحرية في المملكة، نريد الحرية، تلك الملكة الطبيعية التي لم يحرم فيها الحيوان والمودعة في الإنسان من أصل الفطرة، فإذا نظرنا إلى حالة البلاد من هذا القبيل وجدنا هذه الحرية مسلوبة ولا يجسر أحد أن يشكو ألمه. فإذا سلبت هذه الحرية من أمة امتنع العدل أولا لعدم معرفة موضع الخلل، وإذا انتفى العدل وساد الظلم فلا جرم أن ينطفيء نور العلم "[2]. ويتابع شبلي شميل فيذكر برسالته المطالب التي ينادي فيها المثقفين والسياسيين الشوام فيقول: " إن الإصلاح إنما يكون بإصلاح شؤوننا الداخلية إصلاحا حقيقيا بالفعل لا بالقول وذلك: بنشر العلم على أسلوب يقرب بين طوائف الأمة، وبان تنظروا إلى أبناء الوطن كأنهم شعب واحد بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم، وبإقامة العدل بين الناس حتى يتساوى الجميع ولا يكون لطائفة نفوذ على طائفة أخرى لعلة دين أو مذهب.. وبضبط مصالح الحكومة لتسير على محور العدل "[3].

---

[1]مرّان، تاج السر أحمد. (كانون اول1978). دور السوريين في ظهور الحركة القومية العربية وتطورها 1908-1914م، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939م، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، ج2، ص697.

* أديب وكاتب وشاعر من مواليد حلب سنة1836م.هاجر الى مصر واشتغل في الصحافة والنشاط السياسي كما ألّف عددا من الأعمال المسرحية.أنظر زيدان،جرجي:تراجم مشاهير الشرق،مرجع سابق، ج2،ص337.

[2] شميل، شبلي: كتابات سياسية وإصلاحية، ط1، بيروت، دار الحمراء، 1991م، ص9.

[3] المرجع نفسه، ص19.

ويدعو شميل في نهاية رسالته السلطان للقيام بأمرين جوهريين " اولهما إطلاق الحرية للأمة لتنطق بالشكوى وتشير إلى الإصلاح لمعرفة أحوالنا كما هي حقيقة، لا كما يمثلها نفر من أصحاب الأغراض يصورونها كما يريدون. والأمر الثاني تأليف مجلس يسمى مجلس الأمة ينتخب أعضاءه من الأمة على اختلاف الأديان والمنازع والمواطن "[1].

وكان عبد الرحمن ألكواكبي بدوره ومن خلال كتابه طبائع الاستبداد الذي نشره مفرقا على صفحات جريدة المؤيد المصرية في سنة 1899م، ومن ثم صدر في كتاب في القاهرة سنة 1901م[2] قد تناول موضوع الاستبداد ومساوئه. ومما نجده في كتابه وينطبق على الاستبداد العثماني في ذلك الوقت قوله:" ترتعد فرائض المستبد من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع والتاريخ المفصل ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس وتوسع العقول وتعرف الإنسان ما هي حقوقه وكم هو مغبون فيها"[3] . فقد حمل ألكواكبي مسؤولية تأخر الأمة للحكم الاستبدادي الذي يسخر الدين والمجتمع والدولة جميعا لخدمة أهواء الحاكم المستبد، مبينا أن الاستبداد يسيء إلى أخلاق الأمة لأن الشعب يضطر إلى ممارسة الكذب والخداع والنفاق والتذلل، فيحل الخوف والريبة مكان الثقة المتبادلة، ويكون مصير الشعب البؤس والفقر. ومن هنا جاءت دعوة ألكواكبي في كتابه إلى تحقيق الحرية والإقبال على العلم وقيام نظام حكم شوري للوصول إلى مجتمع جديد لا مكان فيه للحاكم المستبد[4].

ومن أشد المطالبين بالإصلاح في الدولة العثمانية بين أوساط الشوام في مصر في ذلك الوقت كان محمد رشيد رضا، وكانت مجلته المنار منبرا للتعبير عن المطالب والدعوات السياسية حيث حفلت أعدادها بعشرات المقالات والتحليلات المتعلقة بالواقع السياسي في بلاد الشام والدولة العثمانية، والتي تهاجم السلطان عبد الحميد الثاني بسبب استبداده، وتدعو إلى وحدة جميع العثمانيين للقضاء على الحكم الاستبدادي وإحقاق الحرية والعدل وإقامة الحكم الشوري[5].

ومن نشطوا كذلك في تلك الفترة من النخبة المثقفة الشامية في مصر يعقوب صروف حيث كان يدعو بدوره إلى الإصلاح الشامل في الدولة العثمانية والتخلص من الاستعباد، فجاء في

---

[1] شميل، شبلي: مرجع سابق، ص21.

[2] حسين، محمد: الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، ج1، ط3، بيروت، دار النهضة العربية، 1972م، ص266.

[3] الكواكبي، عبد الرحمن:الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عمارة، دط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970م، ص134.

[4] المرجع نفسه، ص112.

[5] محمد رشيد رضا، أفضل الوسائل لانهاض السلطنة، المنار، القاهرة، مج 11، ج5، 29 حزيران- يونيو / 1908، ص338.

إحدى مقالاته: "...إنهم يريدون أن نبقى مثقلين بقيود الذل، فلا مساواة ولا أخاء ولا أمل في إقامة العدل بين الناس. إننا نطالب بالإصلاحات وإعطاء كل ذي حق حقه لرد الجور والأذى عن رعايا السلطنة "[1]. وكتب روحي الخالدي في الهلال أيضا عن استبداد عبدا لحميد: "بعد أن بدأ حكمه 1876م بإعلان الدستور وبمجاراة والده عبد المجيد في طلب الإصلاح، نكص على عقبيه وعاد إلى سياسة جده السلطان محمود خان في استعمال الجبر والاستبداد معتقدا أن الشعوب التي وضعها الله تحت يدي جلالته لا يمكن تسييرها إلا بالقوة"[2].

على هذا المنوال استمر النشاط السياسي للشوام في مصر متوافقا مع النشاط السياسي الذي كان قائما في بلاد الشام، وحفلت المؤلفات والصحف والمجلات التي أسسوها في مصر بعشرات المقالات والتحليلات والدعوات المتوافقة مع المطالب الأساسية التي أجمعت عليها مختلف القوى السياسية الإصلاحية في الدولة العثمانية حتى أعيد العمل بالدستور سنة 1908م، والذي كان هدفا جوهريا لمختلف القوى في الدولة العثمانية وبكافة ميولها وانتماءاتها القومية.

وكان إعلان الدستور قد لقي ترحيبا وتأييدا واسعا في كافة أرجاء الدولة العثمانية، وكذلك كان الحال أيضا بين صفوف الشوام في مصر الذيننظموا تجمعات خطابية للاحتفال باعلانه[3]، حيث تحمسوا له واعتبروه إنجازا مهما على طريق تحقيق الإصلاح والمساواة والمطالب السياسية التي كانوا يعملون من اجلها .وقد عبّر خليل زينة* في خطاب له في احتفال أقامه الشوام في الإسكندرية بمناسبة إعلان الدستور عن الارتياح الذي قوبل به إعلان الدستور فقال:" ليبتهج العثمانيون فقد نشر الدستور وجاء اليوم الذي التّم فيه شعث الأمة العثمانية وتآلفت أعضاؤها، وتآخت أجزاؤها، فكلنا بنعمة الدستور عثمانيون ... مذهبنا الحرية وشعارنا الوطنية وفخرنا الراية الهلالية وملجأنا الدولة العلية "[4]

ولكن فرحه إعلان الدستور تبددت سريعا بعد التحول الذي طرأ على مواقف جماعة الاتحاد والترقي. والذي تمثل باعتمادهم المركزية الشديدة في تسيير شؤون الولايات، وبأتباعهم

---

[1] يعقوب صروف، البلاد العثمانية، المقطم، القاهرة، 14حزيران/ يونيو1895م، ص1

[2] روحي الخالدي، في طلب الاصلاح، الهلال، القاهرة، س2، ج17، اب-اغسطس / 1893، ص145.

[3] المنار، مج12، ج1، 17 تموز-يوليو / 1909، ص478.

* صحفي وسياسي من مواليد بيروت سنة 1867م. أصله من دمشق . هاجر إلى مصر وعمل في الأهرام سنوات طويله.أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج2،ص316.

[4] المقتطف، العثمانيون والاحتفال بالدستور، س33، ج2/ 1908. ص905.

لسياسة التتريك الهادفة إلى تقوية النعرة الطورانية وإبراز العنصر التركي على حساب العنصر العربي وباقي القوميات التي تتألف منها الدولة العثمانية، مما سبب خيبة أمل وسخط في صفوف النخبة السياسية التي وقفت في وجه هذه السياسات، لتبدأ مرحلة جديدة من العمل السياسي تميزت بارتفاع صوت التيار القومي العربي بشكل أكثر وضوحا وتنظيما من ذي قبل[1].

وقد تفاعل النشطاء السياسيون الشوام في مصر مع هذه التطورات وكانت جهودهم في هذه الفترة فاعلة بدرجة كبيرة. بل يمكن القول أنهم كانوا من قادة العمل السياسي المتعلق بما أصبح يعرف في تاريخ العرب المعاصر بمرحلة اليقظة القومية العربية، أو الحركة العربية الحديثة[2]. وصاحب هذا الأمر تطور آخر تمثل في طبيعة الوسائل التي استخدمت للتعبير عن المطالب السياسية والسعي لتحقيقها، فإلى جانب المؤلفات والصحف والمجلات التي كانت الأداة الرئيسية قبل إعلان الدستور، أصبح تشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية* الوسيلة الأهم التي اعتمدت لتنظيم العمل وتولي أعباء النشاط السياسي. فشهدت مصر ولادة عدد من الأحزاب السياسية، بلغ عددها حتى نهاية الحرب العالمية الاولى سنة 1918م ستة أحزاب هي: " حزب اللامركزية الإدارية العثماني"، " جمعية الجامعة العربية"، " حزب الاتحاد السوري"، " حزب اللجان اللبنانية السورية "، " الحزب الحر المعتدل" و" حزب جمعية الاتحاد اللبناني " [3].

كانت نشأة هذه الأحزاب تأتي تبعا لتطورات الأحداث والمستجدات السياسية، وعبرت في حقيقتها عن التيارات السياسية التي ظهرت بين الشوام في مصر في هذه المرحلة، والتي كانت بطبيعة الحال امتدادا للتيارات السياسية في بلاد الشام نفسها، وخصوصا فيما يتعلق بمستقبل بلاد الشام وباقي الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية.

على أن ما ميز الأحزاب السياسية في مصر عن الأحزاب في بلاد الشام، أن الأحزاب في بلاد الشام كان عليها أن تراعي عددا من الجوانب، منها ما يتعلق بضغط السلطات وملاحقتها، ومنها ما يتعلق بضغط الجمهور الذي كان في الغالب سطحيا في نظرته للأحداث، بينما

---

[1] زين، نور الدين زين:نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، ط1، بيروت، دار النهار، 1968م، ص69.

[2] الحوت، بيان : جذور الحركة الوطنية الفلسطينية ،بحث ضمن مجموعة أبحاث تكريما لقسطنطين زريق بعنوان دراسات فلسطينية، ط1 ، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،1988م، ص239.

* كان يطلق على الاحزاب السياسية انذاك لفظ "جمعية ". انظر رؤوف ،عماد . (أيار/مايو1985م).الجمعيات العربية وفكرها القومي، ندوة حول تطور الفكر القومي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص113.

[3] محمد رشيد رضا، المسالة السورية والاحزاب، المنار، مج 21 ، ج4، 28 حزيران- يونيو / 1919، ص204 - 209.

تمتعت الأحزاب في مصر بجهاز متماسك بسبب بعدها عن هذه المـؤثرات، وكـذلك بسـبب عضويتها المختارة وعدد أعضائها المحدود، فأصبح بامكانها أن تتحـرك بشـكل اكبـر وان تعطي حكما سليما مبنيا على دراسة معمقة[1].

اعتبر "حزب اللامركزية الإدارية العثماني" الذي أسسه نخبة من المثقفين الشوام في القـاهرة سنة 1912م أهم تنظيم سياسي قبل الحرب العالمية الأولى، حيث أصبح هذا الحزب " أفضـل من يمثل أهداف العرب وأمانيهم من حيث دقة التنظيم وقوة التأثير" وبرزت قيمتـه باعتبـاره أول تجربة تخوضها الحركة العربية في ميدان العمل المنظم، وانضمت إليه شخصيات لعبـت دورا أساسيا في الحياة السياسية انذاك[2].

ترأس الحزب رفيق العظم وانتخب اسكندر عمون نائبا له، وكان من أعضائه عدد كبير مـن النشيطين المقيمين في مصر، من أمثال محمد رشيد رضا، حافظالسعيد، سـمير الجردينـي ، علي النشاشيبي، شبلي شميل، سليم عبد الهادي، نايف تلو[3*]، كما أوجد له فروعا في مختلـف مدن بلاد الشام وتعاون كذلك مع " لجنة الإصلاح" التي تأسست في بيروت في السـنة نفسـها وحملت الأهداف ذاتها[4].

أما أهدافه فتركزت حول إظهار ايجابيات الحكم اللامركزي في الدولة العثمانية مع المحافظة عليها من الأخطار الخارجية والمنازعات الداخلية، وخلق شعور بالولاء لوحدة الإمبراطوريـة العثمانية، وبنفس الوقت العمل على تحقيق الاستقلال الإداري في الولايات العربية وأن تكـون التركية والعربية اللغة الرسمية على حد سواء، كما طالب الحزب بتوسيع صلاحيات مجـالس الولايات[5].

وكان لوجود الحزب وقادته في القاهرة أن أعطاهم حرية التحرك السياسي بعيدا عن ضغوط ومضايقات السلطات العثمانية، ولعب أعضاؤهورا مهما في مختلـف التحركـات السياسـ ية آنذاك، وخصوصا في الاتصالات التي أجريت مع السياسيين في بلاد الشـام ومصـر ومـع

---

[1] قاسمية، خيريه: الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920م، دط، القاهرة، دار المعارف، 1971م، ص71.

[2] أنطونيوس، جورج: مرجع سابق، ص185.

[*] من النشطاء السياسيين المناوئين للأتراك، ولد في دمشق سنة 1885م، وأصله من قرية تلو من أعمال حلب . حكم عليه جمال باشا بالإعدام وشنق في بيروت سنة 1916م. أنظر الزركلي ،خير الدين :مرجع سابق ،ج8،ص6.

[3] أنطونيوس ، جورج : مرجع سابق ، ص185.

[4] المرجع نفسه، ص189.

[5] محمد رشيد رضا، الاصلاح في الولايات العربية وبيان حزب اللامركزية، المنار، مج16، ج11، 30 تشرين الثاني- اكتوبر / 1913، ص879.

المهاجرين الشوام في مختلف البلدان الأوروبية والأمريكية والتي توجـت بتنظـيم المـؤتمر العربي السوري الأول في باريس سنة 1913م، فكانت القاهرة مقر اللجنة التحضيرية المنظمة للمؤتمر، وانتخب عضو الحزب عبد الحميد الزهرواي رئيسا له[1]، حيث تمكن مـع اسـكندر عمون من إقناع المؤتمرين للخروج بقرارات متوافقة مع رؤية الحزب مـن حيـث مطالبتـه بالحكم اللامركزي وإعطاء العرب حقوقهم ضمن إطار الدولة العثمانية. فعلى الرغم من دعوة بعض المشاركين في مناقشات وأعمال المؤتمر للانفصال عن العثمانيين وخصوصا من قبـل السياسيين الشوام المقيمين في باريس[2]، إلا أن توجهات أعضاء حزب اللامركزية دفعت إلـى اتخاذ قرارات لا تشمل أية مطالبة بالانفصال، فكان ابعد ما ذهبـت إليـه هـذه المقـررات مطالبتها بجعل العربية لغة رسمية في الولايات العربية، واقتصار الخدمة العسـكرية بالنسـبة للمجندين العرب على هذه الولايات[3]، مما يعكس مدى الثقل الذي تمتع به هذا الحزب ومقـدار التأثير الذي كان لأعضائه في ذلك الوقت في الخـروج بمقـررات تتوافـق مـع برنـامجهم وأهدافهم.

ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة1914م، ودخول الدولة العثمانية الحرب ستتبلور التطلعات الداعية للانفصال التام عن العثمانيين من قبل أعضاء هذا الحـزب وغيـرهم مـن العاملين في النشاط السياسي بعد تمادي الاتحاديين في سياستهم المناوئة للعـرب، وخصوصـا بعد إقدام جمال باشا على إعدام العشرات من النشطاء السياسيين في بلاد الشام والذين كان من ضمنهم عضو الحزب ورئيس مؤتمر باريس عبد الحميد الزهراوي، كما صدر حكم الإعـدام غيابيا على العشرات من أعضائه المقيمين في مصر من ضمنهم رئيسه رفيق العظـم، حيـث لقيت إخبار تلك الأحكام والإعدامات تنديدا واسعا في أوساطالسياسيين الشوام فـي مصـر [4]، وتأجج الشعور القومي والدعوات المطالبة بالانفصال عن العثمانيين وتأسـيس دولـة عربيـة موحدة أكثر من أي وقت مضى.

وفي هذه الأجواء برزت "جمعية الجامعة العربية " التي كان قد أسسها رشيد رضا في مصـر سنة 1910م، وكانت تهدف إلى إقامة حلف وتعاون بين أمراء الجزيرة العربية ونبذ الخلافات فيما بينهم وإقامة الصلات مع الجمعيات العربية في سوريا والعـراق لإقامـة دولـة عربيـة

---

[1] محمد رشيد رضا، المؤتمر العربي في باريس وحزب اللامركزية بمصر، المنار، مج16، ج5، 7 ايار- مايو /1913، ص392.

[2] يزبك، ابراهيم: مرجع سابق، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص78، 112.

[4] تقي الدين، سليمان: محاكمة الحركة العربية في لبنان، ط2، بيروت، دار الرائد العربي، 1982م، ص259؛ انظر أيضا المنار، المشانق في سوريا. شنق الزهراوي، مج19، ج3، 29 اب-اغسطس /1916، ص183.

موحدة. فانضم إليها العديد من النشطاء السياسيين في مصر ومن بينهم قادة حزب اللامركزية[1].كما كثف النشطاء السياسيين في هذه الفترة اتصالاتهم مع الشريف حسين لدعم ثورته على الأتراك والوقوف إلى جانبها [2].

ورغم أن ثورة الشريف حسين قد لقيت معارضة من قبل المصريين الذين اعتبروها مناوءة للخلافة الإسلامية[3] ، إلا أنها لقيت تأييدا من قبل شريحة واسعة من المثقفين والسياسيين الشوام، كان على رأسهم حبيب وميشيل لطف الله*[4] واسكندر عمون، وكامل القصاب، ومحمد رشيد رضا الذي أيدها وأفتى بوجوبها شرعا بعد أن انقلب الحكم التركي على العرب والمسلمين[5]. وتأسست لهذا الغرض في القاهرة، وبمبادرة من كامل القصاب "هيئة قومية" تعمل على دعم الثورة سياسيا وتحض السوريين على الالتفاف حولها وتأييدها، وكان من أعضاء الهيئة كل من محمد رشيد رضا، رفيق العظم، عبد الرحمن شهبندر**، أحمد مختار الصلح، حسن حمادة، فنشطت للعمل على تأييد الثورة وحشد المناصرين لها[6].
ولكن بعد اتضاح نوايا الإنجليز والفرنسيين وكشف بنود اتفاقية سايكس بيكو التي قضت على أية آمال بقيام دولة عربية مستقلة تضم بلاد الشام والعراق والحجاز، وكذلك صدور وعد بلفور*** وما أثاره من شكوك حول النوايا الحقيقية للسياسة البريطانية، ظهر اتجاه بين النشطاء السياسيين الشوام في مصر يعمل على طرح القضية العربية بشكل مستقل عن

---

[1] محمد رشيد رضا، المسألة السورية والأحزاب، المنار، مرجع سابق، ص206.
[2] Lawrence.T.E. : Seven Pillars of Wisdom ,London : Penguin Books,1973 .p.49
[3] الحصري، ساطع:محاضرات في نشوءالفكرة القومية، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1956م، ص254.
* من أثرياء الشوام في مصر . ولد في طرابلس سنة 1880م، وهاجر الى مصر وجمع ثروة كبيرة . كان من المقربين للأسرة الحاكمة في مصر.أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج7،ص340.
[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص34.
[5] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية، مرجع سابق، ص276.
** طبيب وسياسي من مواليد دمشق سنة1882م. انضم الى جمعية الإتحاد والترقي بعد إعلان الدستور سنة 1908م،وما لبث أن ناوأها بعد انتهاجها سياسة التتريك، فهاجر إلى مصر سنة 1914م وشارك في النشاط السياسي . عاد إلى سوريا بعد الحرب العالمية الأولى وعيّن وزيرا للخارجية. لكنه رجع إلى مصر بعد معركة ميسلون وشارك في النضال ضد الفرنسيين.أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج3،ص308.
[6] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية، مرجع سابق، ص277.
*** تنبه عدد من الشوام المقيمين في مصر في وقت مبكر لمخاطر الحركة الصهيونية في فلسطين، فأسس محمد الشنطي جريدة " الاقدام" في القاهرة سنة 1913م وجعل من التنبيه من الخطر الصهيوني من اهم اهدافها.كما تاسست "جمعية مقاومة الصهيونية" في سنة 1914م من قبل عدد من الشوام المقيمين في مصر، بهدف تنبيه السكان للمخططات الصهيونية ومخاطر بيع الأراضي لليهود؛ أنظر Kayyali.A.W:op.cit.pp34,36

الحركة العربية وثورة الشريف حسين، واختزالها ضمن حدود بلاد الشام أو ما عرف بسورية الطبيعية ، فتأسس في القاهرة لهذا الغرض " حزب الاتحاد السوري " سنة 1918م من قبل عدد من الشوام المسلمين والمسيحيين ، ووقع الاختيار على ميشيل لطف الله رئيسا له ، ومحمد رشيد رضا وكيلا ، وعين سليم سركيس سكرتيرا للحزب ، وتألفت اللجنة الإدارية من رفيق العظم وكامل القصاب وعبد الرحمن شهبندر وخليل مشاقة واسكندر عمون وحسن حمادة وغيرهم [1]، أما برنامج الحزب فكان يدعو إلى استقلال سورية الطبيعية ووحدتها، وإقامة حكم لامركزي حسب تقسيم الولايات بحيث تشكل فيها مجالس تمثيلية نيابية مع ضمان حقوق الأقليات [2].

وقد نشط حزب الاتحاد السوري في مصر في بث دعوته، ووظف له عمال للإدارة والترجمة، وكان يرسل برقيات الاحتجاج إلى أوروبا وأمريكا ويبث دعوته في بلاد الشام وبين المهاجرين في مصر وباقي بلدان المهجر، كما أقام اتصالات مع المندوب البريطاني في مصر سعيا لنيل موافقة بريطانيا على دعم مطالبه[3]،وازداد نشاطه أثناء مجيء اللجنة الأمريكية سنة1918م لتقصي الحقائق والوقوف على رغبات الأهالي في بلاد الشام لرفعها إلى مؤتمر الصلح[4]،فأسس له فرعا في دمشق برئاسة عبد الرحمن شهبندر[5].

إن توجه حزب الاتحاد السوري في مصر اعتبر مخالفا لسير الحركة العربية التي كانت قائمة على أساس استقلال الولايات العربية ووحدتها دون تفريق بين بلاد الشام والعراق والحجاز[6]. ولكن صعوبة تحقيق هذا الهدف دفع باتجاه تبني فكرة هذا الحزب على أمل العمل في المستقبل على ضم باقي الولايات العربية إلى دولة الوحدة. يقول محمد رشيد رضا بهذا الخصوص:"رضيت أن أكون من احد مؤسسي هذا الحزب مع انه يخالف مذهبي السياسي في الجامعة العربية من وجوب اتحاد الجزيرة العربية بالولايات العربية، لحرصي على تعاون المسلمين والنصارى على طلب الاستقلال الناجز لسوريا بعد أن أطلت الدعوة إلى مذهبي فلم يستجب لي من فضلاء النصارى بمصر إلا أفراد قليلون، ولأن التعاون على استقلال بعض الأقطار العربية لا ينافي السعي لاستقلال سائرها عن طريق آخر"[7].

---

[1] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية، مرجع سابق، ص278.
[2] محمد رشيد رضا، المسالة السورية والاحزاب، المنار، مرجع سابق، ص207.
[3] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسية، مرجع سابق، ص279.
[4] زين، نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، دط، بيروت، دارالنهار، 1971م، ص121.
[5] قاسمية، خيريه:مرجع سابق، ص 72.
[6] المرجع نفسه، ص72.
[7] محمد رشيد رضا، المسألة السورية والأحزاب، المنار، مرجع سابق، ص209.

لم يكن التيار القومي العربي هو الوحيد الناشط على الساحة السياسية في تلك الفترة سواء في بلاد الشام نفسها أو بين المهاجرين الشوام في مصر، فقد وجد تيار إقليمي يخالف التوجه القومي ويسعى لتحقيق أهدافه بمعزل عن الرؤية القومية العربية. فإذا كان حزب الاتحاد السوري قد تمسك بالقومية العربية رغم دعوته لدولة سورية، فان حزب اللجان اللبنانية السورية في مصر الذي رئسه عبد الله صفير، دعى إلى الفصل التام بين القضية العربية والقضية السورية. فهو يرى أنه على الرغم من " أن سورية تتكلم اللغة العربية لكنها ليست عربية في مجموعها، وليس العرب أكثرية عرقية فيها، مع الاختلاف الشديد بين تطور الحضارة فيها وبين الحضارة الضئيلة للعرب. كما أن العقليتين مختلفتان بين الشعبين"، ومن هنا فقد نادى باستقلال بلاد الشام في دولة سورية، ووحدتها التامة في كل أراضيها وفصلها عن الولايات العربية الأخرى، على أن يكون الحكم اتحاديا لا مركزيا حسب المناطق، وبشكل خاص للبنان حيث يترك الحكم فيه ذاتيا حسب خصائصه ويتطور حسب رغباته المشروعة، مطالبا بنفس الوقت بحماية فرنسا ومساعدتها [1].

ووجد حزب آخر في مصر يحمل الفكرة نفسها هو " الحزب الحر المعتدل " الذي ضم في عضويته كل من فارس نمر ويعقوب صروف وميشيل أيوب وسعيد شقير وانطون مشاقة. وقد طالب أعضاءه باستقلال سوريا الطبيعية واتحادها على أساس اللامركزية، ولكنهم دعوا بان تكون الولايات المتحدة الأمريكية حامية لهذه الدولة، معتبرين أن ضمان وحدة سورية بصورة متكاملة يقضي بالا تكون الدولة الحامية مرتبطة بمعاهدات أو اتفاقيات سابقة مع أية دول أخرى، وهو ما لا ينطبق على فرنسا أو بريطانيا اللتان كانتا قد اتفقتا على تقسيم المنطقة بموجب اتفاقية سايكس بيكو [2]. وقد اتخذ أعضاء الحزب من جريدة المقطم منبرا لنشر الأفكار التي يدعون إليها، ونشطوا بين المهاجرين الشوام في مصر وخصوصا في كل من القاهرة والإسكندرية حيث انشأ له فرعين فيهما [3].

بالإضافة إلى هذا، كان قد ظهر بين الشوام في مصر وفي وقت مبكر اتجاه " إقليمي لبناني " مثله موارنة جبل لبنان من الموالين لفرنسا، حيث كانوا يتطلعون لإقامة كيان لبناني مستقل، ويدعون لفصل القضية اللبنانية عن القضية العربية بشكل نهائي. وكان أصحاب هذه الدعوة مغالين في اقليميتهم، حتى أنهم لم يطالبون بدولة سورية موحدة تضم لبنان، وإنما يريدون

[1] محمد رشيد رضا، المسألة السورية والأحزاب، المنار، مرجع سابق، ص208.

[2] كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية، مرجع سابق، ص305.

[3] محمد رشيد رضا، المسألة السورية والأحزاب، المنار، مرجع سابق، ص210.

للبنان كيانا مستقلا بذاته من خلال توسيع حدوده السياسية لتشمل مناطق خارج نطاق متصرفية جبل لبنان، فأسسوا في سنة 1909م "حزب جمعية الاتحاد اللبناني"في مصر . تشكلت له لجنة تنفيذية من اسكندر عمون*، داوود بركات** ، حبيب غانم ، حيدر معلوف ، بشارة واكيم وجورج حنا. وجميعهم من المهاجرين إلى مصر من منطقة جبل لبنان[1].

وهكذا فقد تعددت التيارات السياسية والفكرية بين المهاجرين الشوام في مصر واختلفت الرؤى فيما بينهم حول مستقبل بلادهم. منهم من دعى لتحقيق الدولة العربية المستقلة التي تضم الحجاز وبلاد الشام والعراق، ومنهم من نادى بإقامة دولة عربية على امتداد سورية الطبيعية بعيدا عن تأثير أي من القوى الكبرى، فيما نادى البعض بدولة سورية تحت الحماية الفرنسية أو الولايات المتحدة، وآخر دعى لفصل لبنان عن القضية العربية السورية وإقامة كيان مستقل تحت الحماية الفرنسية [2].

ومهما يكن من أمر فان مستقبل بلاد الشام تحدد في النهاية بمعزل عن مختلف القوى والأحزاب والتيارات المختلفة العربية أو السورية أو اللبنانية، حيث كان العامل الحاسم في تقرير مصير المنطقة مقرون في نهاية المطاف بإرادة الدول الاستعمارية وتوازناتها فيما بينها وفق صيغ ابعد ما تكون عن مجمل الطموحات التي سعى إليها النشطاء السياسيون في مختلف ساحات العمل السياسي في بلاد الشام ومصر وغيرها.

---

* انضم فيما بعد الى حزب اللامركزية، ومن ثم أيد ثورة الشريف حسين والتحق بحزب الاتحاد السوري، ولقيت مواقفه هذه معارضة شديدة من قبل أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انظر كوثراني، وجيه: الاتجاهات الاجتماعية السياسيه ،مرجع سابق، ص292

** كاتب وصحفي من مواليد كسروان في جبل لبنان سنة1852م،هاجر الى مصر سنة 1890م، واشتغل في الصحافة والعمل السياسي. أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج2،ص331.

[1] الخوري، بشاره: حقائق لبنانية، ج1، دط، حريصا، دن، 1960، ص82.

[2] كوثراني، وجيه:الاتجاهات الاجتماعية السياسية، مرجع سابق، ص 279.

2- دور الشوام في الحياة السياسية المصرية

إلى جانب النشاط السياسي المتعلق بقضايا بلاد الشام، شارك عدد من المهاجرين الشوام في الحياة السياسية المصرية، وتفاعلوا مع القضايا التي كانت تشغل بال المصريين، سواء كان نشاطهم هذا ضمن إطار الحركة الوطنية المصرية، أو كمستشارين وموظفين كبار في الدولة المصرية وأعضاء في الجمعية التشريعية ومجلس الشيوخ. هذا فضلا عن وجود فئة منهم تعاونت مع الاحتلال الإنجليزي ودافعت عن سياساته في مصر وكرست نفسها لخدمته.

تنازعت الساحة السياسية المصرية ثلاثة قوى رئيسةخلال الفترة التي نعالجها : السلطة الشرعية-الأسرة الخديوية، والسلطة الفعلية –الإنجليز، والحركة الوطنية الساعية إلى الإصلاح وإخراج الإنجليز من مصر[1]. وبالتالي، فقد توزع عدد من الشوام على تلك القوى شانهم شان المصريين. كل اتخذ موقفه حسب الاتجاه الذي اختاره وانضوى للعمل تحت لواءه، ولهذا فقد كانت لهم مواقفهم المتباينة من الأحداث السياسية التي شهدتها مصر في تلك الفترة؛ أيد بعضهم سياسات الخديوي ووقف البعض الآخر ضدها. وكذلك الحال مع ثورة احمد عرابي، ومع الاحتلال الإنجليزي، وثورة سعد زغلول وغيرها من القضايا والأحداث السياسية المصرية.

على صعيد العلاقة مع الأسرة الخديوية الحاكمةفقد ربطت بعضهم بها علاقات وثيقة، فتحالفوا معها وربطوا مصالحهم بها وأصبح لهم مكانة ونفوذ واسعين. ومن هؤلاء اشتهر حبيب لطف الله الذي تمتع بعلاقات وثيقة مع الخديوي إسماعيل، وأصبح مقربا من رجالات الحكم في مصر[2]. وكذلك الحال مع كريم ثابت* الذي كان قد عمل في صحيفة المقطم وأصدر عدة مؤلفات عن محمد علي[3]، فتقرب من الأسرة الخديوية وأصبح له نفوذ واسع في مصر[4].

---

[1] عبد الناصر، هدى:الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية 1936-1952م، ط1، القاهرة، دار المستقبل العربي، 1987م، ص401؛ انظر أيضا الشافعي، شهدى:مرجع سابق، ص16.

[2] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص14؛ ألزركلي، خ: مرجع سابق، ج7، ص339.

* صحفي ومترجم من جبل لبنان .ولد في القاهرة واشتغل في صحيفة المقطم التي كان أبوه خليل ثابت يرأس تحريرها ، كما عمل مترجما في عدة سفارات أجنبيه وكان من المقربين للأسرة الحاكمة في مصر .أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج5،ص224.

[3] ثابت، كريم: محمدعلي، ط2، القاهرة، مطبعة المعارف، 1943م.

[4] كحالة، عمر: معجم المؤلفين، ج2، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993م، ص669؛ انظر أيضا ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج5، ص224.

وعلى الرغم من أن أي من الشوام لم يصل إلى مرتبة وزير في أي من الحكومات المصرية المتعاقبة، إلا انه وجد بينهم من شغل مواقع متقدمة في بعض الوزارات. من هؤلاء قسطنطين قطة الذي شغل منصب سكرتير مجلس الوزراء المصري في وزارة سعد زغلول. كما كان منهم من كلف القيام بمهام حساسة في وزارة الداخلية مثل عبد الله صفير الذي شغل منصب رئيس إدارة البوليس السري في وزارة الداخلية سنة 1891م وأصبح في سنة 1897م مسؤولا عن قسم التخطيط في الوزارة. كما وجد عدد من الشوام في وزارة المالية وهي من الوزارات الهامة في تلك الفترة، ومن هؤلاء سعيد شقير الذي شغل منصبا رفيعا في وزارة المالية المصرية، وانتدبته الحكومة ليشرف على الشؤون المالية المتعلقة بحكومة السودان سنة 1907م[1].

وشهدت سنة 1913م تطورا واضحا فيما يتعلق بمشاركة الشوام في الحياة السياسية المصرية، تمثلت بتعيين ميشيل بك لطف الله في الجمعية التشريعية، وكان تعيينه قد جاء من قبل الخديوي عباس الثاني، حيث عينه ليشغل مقعد التجار في الجمعية التشريعية[2] . كما دخل ثلاثة من أعيان المهاجرين الشوام إلى مجلس الشيوخ المصري بعد إقرار الدستور في عهد الملك فؤاد الأول سنة 1923م وهم: الفرد شماس ويوسف سابا وميشيل أيوب[3]. وتبعهم في سنوات لاحقة كل من فارس نمر[4] أنطون الجميل*[5]، وكلاهما من الشخصيات المهاجرة التي تركت بصمات واضحة في الحياة السياسية والفكرية في مصر.

أما التيار الوطني فكان في الواقع أكثر قربا من توجهات الشعب المصري ومواقفه سواء أكانت تجاه السياسة الحكومية، أو تجاه الاحتلال الإنجليزي، فكان نشاطه ناقدا للحكومة ومدافعا عن حقوق الشعب المصري وداعيا إلى الإصلاح وبنفس الوقت مهاجما الاحتلال الإنجليزي[6]. برز من هؤلاء أديب اسحق، بشارة تقلا**، داوود بركات، جرجي زيدان، جورج جورج

---

[1] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص97، 136؛ ج2، ص261.

[2] عوض، لويس:مرجع سابق، ص209؛ انظر أيضا زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص18.

[3] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص213.

[4] ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق، ج5، ص127.

* كاتب وسياسي من مواليد بيروت سنة1887م،هاجر ألى مصر وأسس مجلة الزهور،كما رأس تحرير الأهرام. عيّن عضوا في مجلس الشيوخ المصري .أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج2،ص27.

[5] المرجع نفسه، ج2، ص27.

[6] الشافعي، شهدى: مرجع سابق، ص24.

** صحفي من مواليد كفر شيما في جبل لبنان سنة1852م،هاجر الى مصر سنة1875م وأصدر مع أخوه سليم تقلا صحيفة الأهرام.أنظر زيدان ،جرجي: نراجم مشاهير الشرق، مرجع سابق،ج2،ص121.

دوماني، رفيق جبور، فؤاد الشمالي، أنطون مارون، إميل خوري*وسليم سركيس وعشرات غيرهم ممن عبروا من خلال الصحف والمجلات والمؤلفات عن العديد من القضايا التي كانت تشغل المصريين خلال تلك الفترة وكانت مواقفهم متوافقة مع مواقف الوطنيين المصريين من أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول وعلي يوسف.

لم تكن مشاركة التيار المساند للوطنيين المصريين ضمن عمل حزبي منظم، فالملاحظ أن الشوام لم يشاركوا في الأحزاب السياسية المصرية. وفي الحالات القليلة التي انضم فيها عددا منهم لبعض الأحزاب فان موقعه كان وظيفيا بالدرجة الأولى، فالصحافي جورج دوماني مثلا كان رئيسا لقسم الترجمة التابع لحزب الوفد بموجب تكليف رسمي من سعد زغلول لكنه لم يشغل أي موقع حزبي، وكذلك إميل الخوري احد محرري الأهرام الذي كان مقربا للحزب من خلال علاقته الوثيقة بسعد زغلول[1].

ويمكن القول إن النشاط السياسي للشوام ضمن الحركة الوطنية المصرية كان نشاطا مساندا من خلال الصحف والمجلات والمؤلفات أكثر مما هو نشاطا مؤطرا ومنظما، ولهذا فقد لعبت الصحافة الشامية دورا سياسيا مؤثرا على صعيد القضايا الوطنية المصرية من خلال متابعتها الدائمة لآخر المستجدات السياسية، ومن خلال أقلام كتابها الذين تناولوا مختلف الشؤون السياسية المتعلقة بمصر.

وكانت صحيفتي مصر والأهرام من الصحف المقربة للوطنيين المصريين، وتعرض صاحبيها في كثير من الأحيان لإجراءات عقابية بسبب مواقفها الناقدة لسياسات الحكومة المصرية. يذكر طرازي أن أديب اسحق صاحب جريدة مصر كان يتطرق بالنقد الشديد لسياسة رياض باشا وزير الداخلية سنة 1879م، مما أدى إلى توجيه إنذار له ومن ثم إغلاق صحيفته مصر والتضييق عليه، حتى اضطر لمغادرة مصر إلى فرنسا حيث بقي فيها سنتين عاد بعدها إلى مصر من جديد[2]. كما كان اسحق يهاجم الإمتيازات الأجنبية في مصر بشدة،

* كاتب وصحفي من مواليد بيروت سنة 1894م .اشتغل في الأهرام وعمل مع سعد زغلول.انظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج2،ص14.

[1].كحالة، عمر: معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج1، ص398؛ انظر أيضا نفسه: معجم المطبوعات، مرجع سابق، ص1585؛ ألزركلي، خير الدين:مرجع سابق، ج2، ص14.

[2]طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج 2، ج3، ص14.

ويحرض المصريين شعبا وحكومة على نزع مثل هذه الإمتيازات من أيديهم بل يطلب من الأوروبيين أنفسهم أن يكفوا عن استباحة ثروات مصر [1].

أما داوود بركات فكان هو الآخر من المؤيدين للحركة الوطنية المصرية، ولعب من خلال مقالاته ومؤلفاته دورا في توضيح المسالة المصرية وإبراز الأطماع الأجنبية في مصر، كما ألف كتابا حول السودان ومطامع السياسة البريطانية[2]واستغل موقعه كرئيس لتحرير الأهرام سنة 1899م ودخل في نقاشات حادة مع المؤيدين للإنجليز في مصر[3].

وقد اعتبرت جريدة الأهرام ممثلة للتيار الوطني بين الشوام في مصر، وحملت أقلام كتابها من شوام ومصريين ميولا وطنية واضحة، وتناولت بنظرة ناقدة مختلف القضايا والأحداث السياسية المصرية، فكانت تقوم بمهمة التعبئة الوطنية للمصريين وتغرس فيهم الأمل بالمستقبل مؤكدة على انه سيكون لصالح مصر، ومن ذلك قولها:" اعلموا أن بلدا فيه رجال يعرفون معنى الوطنية لا يموت أبدا، بل يعيش معززا عالي السعد والمقام، ومصر في هذا العصر غنية في رجالها مباركة في أبنائها، لها أن تؤمل منهم الظفر القريب إنشاء الله"[4].
ووقفت الأهرام إلى جانب المصريين في مناوئة الاحتلال الإنجليزي بإفساحها المجال للكتاب والمثقفين من شوام ومصريين للتعبير عن آرائهم بكل حرية فكانت مقالاتها وأخبارها حادة وعاصفة على الإنجليز الذين كانت تصفهم دوما بـ"المحتلين وأعداء مصر" [5]. ومما نجده حول الموقف من الإنجليز، مقال للزعيم المصري مصطفى كامل يهاجم فيه المحكمة الخصوصية التي أسسها الإنجليز سنة 1895م لمحاكمة كل وطني يعتدي على جنود الاحتلال حاملا على الإنجليز وكاشفا نواياهم المستورة نحو مصر والإسلام[6].
ومن أمثلة مهاجمة الأهرام للورد كرومر ما جاء في إحدى افتتاحياتها: "إننا نعتبره في إدارتنا المصرية هداما بطاشا و جبارا دكاكا هدم السودان المصري فبناهسودانا إنجليزيا، وهدم

---

[1] المقدسي، أنيس: الفنون الادبية واعلامها ،مرجع سابق، ص418.
[2] كحالة، عمر: معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج1، ص697.
[3] زخورا، الياس: مرجع سابق، ج1، ص91.
[4] مصري أمين، حديث ذو شأن، الأهرام، الاسكندرية، 28 كانون الثاني – يناير /1895م، ص1. (صدرت الاهرام في الاسكندرية حتى سنة1899م، حيث انتقلت في هذا العام الى القاهرة).
[5] بشارة تقلا، العاصمة، الأهرام، 27 تشرين الثاني- نوفمبر / 1893م، ص1
[6] مصطفى كامل، المحكمة الخصوصية، الأهرام، 4 اذار-مارس / 1895م،ص2

الوزارة المصرية فبناها استشارة إنجليزية، ودك أسس عابدين ليبني قصر الـدوبارة، وفـرق أسطول مصر ليكون لمصر الأسطول الإنجليزي أو بالأحرى لتكون مصر لذلك الأسطول"[1].

وقد أقلقت أقلام الكتاب في الأهرام الإنجليز مما دفعهم لإغلاقها أربعة شهور بدءا من شـهر يوليو 1884م. ولقي هذا القرار استنكارا من قبل شريحة واسـعة مـن المصـريين، علمـاء ووزراء ونواب شورى وغيرهم الذين تضامنوا مع الأهرام وامتدحوا لها موقفها من القضـايا المصرية[2].

في الاتجاه الآخر كانت فئة من الشوام موالية للإنجليز وتدافع عن الاحتلال الإنجليزي لمصر بشكل سافر، يقول لويس عوض: " إن انجلترا استأجرت أقلام الشوام ولا سـيما المسـيحيين منهم من أمثال يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس وروفائيل مشاقة وسليم نقـاش وميخائيل عبد السيد وسليم عنحوري[*] وخليل اليازجي"[3].

فتلك الفئة ارتبطت بشكل كامل مع الإنجليز وكرست نفسها لخدمته والدفاع عنه وحاولـت أن تقنع المصريين بضرورة وجود الإنجليز كمحتلين في مصر، بل إن فارس نمر وصل فيه الحد إلى وصف الاحتلال البريطاني لمصر" بأنه اكبر نعمة"[4]، فيما امتـدح شـبلي شـميل وجـود الاحتلال الإنجليزي وسياسته في مصر بقوله:"إن مصر تحت سيطرة الإنجليز انـتظم ريّهـا واتسعت زراعتها وأثرى فلاحها وصارت حياته ذات قيمة وانتظمت ماليتهـا حتـى صـارت موضع ثقة العموم وبلغت الحرية فيها مبلغا تفتحت له أبواب السجون"[5].

وعلى عكس الأهرام التي اتخذت خطا وطنيا مناوئا للإنجليز، كانت كل من صحيفة المقطـم ومجلة المقتطف لسان حال الإنجليز والتيار الموالي لهم في مصـر سـواء مـن الشـوام أو المصريين[6]، واشتهرتا بسياستهما التي تقوم على تدعيم سلطة الإنجليز في مصر مع تقـويض

---

[1] الأهرام، فاعتبروا يا أولي الالباب، 12 نيسان – ابريل /1902م، ص2

[2] الشافعي، شهدى: مرجع سابق، ص14.

[*] محامي وأديب من مواليد دمشق سنة1856م.هاجر ألى مصر سنة1878م واحترف المحاماة.أنظـر ألزركلي،خيـر الدين:مرجع سابق،ج3،ص118.

[3] عوض، لويس: مرجع سابق، ص273.

[4] المرجع نفسه، ص267.

[5] السعيد، رفعت: مرجع سابق، ص46.

[6] حسين، محمد:مرجع سابق، ص91.

سلطة الخديوي والباب العالي، واستخدمهما الإنجليز كوسيلة لنشر سياستهم والدفاع عن مصالح انجلترا وكانوا يغدقون عليهما بالأموال الضخمة[1].

حاولت المقطم إقناع المصريين بايجابيات الاحتلال حتى أنها استخدمت تبريرات غريبة في سعيها لهذا الهدف فكتبت تقول:" لم لا نتبع خطة أسلافنا ونسال الإنكليز القادرين على إصلاح شاننا أن يصلحوا ما فسد، فان قلتم إننا لا نسأل غير المصريين وإننا لا نريد أحدا يأمرنا بأمر غير مصري أجبناكم: النبيان يوسف وموسى ليسا مصريين وحكما البلاد وساساها وأنقذاها من الويلات المجلوبة من غيرهم... فقوموا بأنفسكم وعالجوا هذا الداء واطلبوا من الإنكليز المصادقة والإخلاص"[2].

كما دافعت المقطم عن بقاء الإنجليز في مصر بالقول: "إن الإنجليز لا يخرجهم منها احد، وإنما يخرجون برضاهم واختيارهم..فلا يعقل أن دولة عزيزة الشأن واسعة السلطان شديدة الصولة كدولة الإنكليز تهرق دماء رجالها وتبذل قوتها حتى توطد قدمها في بلاد لمقاصد أهمها لها دفع الغير عنها ثم تخرج من تلك البلاد بمجرد طلب ذلك الغير خروجها منها" [3].

لم يقتصر ولاء بعض الشوام للإنجليز على الدعاية لهم في الصحف والمجلات، بل نجد منهم من شغل مناصب عديدة في صفوف الإدارة والجيش الإنجليزي، كموظفين في مناصب عليا وضباط كبار شكلوا ثقلا فعليا في الدوائر الإنجليزية في مصر. هذا إلى جانب التحاقهم كذلك في وظائف إدارية وعسكرية في الإدارة الإنجليزية في السودان، مثل شاهين بك جرجس سكرتير سردار الجيش الإنجليزي في مصر ومن ثم سكرتير حاكم السودان العام، واسعد بك معلوف وكان برتبة أركان حرب في الجيش الإنجليزي، والدكتور منصور قطيط البكباشي بالقسم الطبي، وخليل الحاج الذي وصل لمنصب مساعد رئيس المخابرات بحكومة السودان سنة 1902م، وصموئيل بك عطية رئيس إدارة المخابرات لحكومة السودان[4]، وغيرهم ممن التحقوا بوظائف متعددة ككتبة ومترجمين وأطباء.

---

[1] حمزة، عبد اللطيف: الصحافة العربية في مصر، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985م، ص96؛ عوض، لويس: مرجع سابق، ص 268.

[2] المقطم، خير مصر، 11 تشرين الثاني- نوفمبر /1908م، ص1.

[3] المقطم، شرق وغرب، 12 ايلول- سبتمبر /1889م، ص1

[4] زخورا، الياس:مرجع سابق، ج1، ص126، 201؛ ج2، ص38، 411.

لقد لقي موقف الشاميين الموالين للإنجليز استنكارا واستهجانا من الوطنيين المصريين، وعلى راس هؤلاء كان الشيخ محمد عبده متهما إياهم بالتعاون مع الإنجليز وتأييد احتلالهم لمصـــر[1]. ويشير رشيد رضا أن سعد زغلول تقدم بعد الثورة العرابية "لامتهان مهنة الصحافة وحصـــل على رخصة بتصدير جريدة باسم العدالة ليدفع بها عن وطنه شرّ أصـــحاب المقطـــم ولكـــن اختياره قاضيا في ذلك الحين منعه عن عمله هذا" [2].

وتولى هذه المهمة فيما بعد الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد، حيث هاجم المتعـــاونين مع الإنجليز من الشوام وصحفهم، واتهمتهم بالتآمر على الشعب المصري، ولكنه دعـــى إلـــى التمييز بين القلة من عملاء الإنجليز وبين الكثرة من الوطنيين من الشوام فكتـــب يقـــول فـــي إحدى ردوده على سليم نقاش الموالي للإنجليز:"فما مقت المصريون من السوريين إلا من كان على شاكلتك، أما الباقون فهم والمصريون إخوان عقدت بينهم الألفة ووحدت بيـــنهم المحبـــة واجتمعوا بسلام"[3].

وحمل مصطفى كامل * عليهم بدوره، ووصفهم بأنهم دخلاء وأعداء وانكـــروا وطـــنهم ولـــم يبادلوا كرم مصر وضيافتها إلا بالعقوق والكراهية، فجاء في خطبـــة لـــه فـــي الإسـكندرية سنة1896م:"إن تحذير الأمة من أعمال الدخلاء صار واجبـــا علـــى كـــل مصـــري شـــريف الإحساس مخلص النية لبلاده، وما نبلاء المصريين بجاهلين طغمة الدخلاء، بل الكل يعرفهـــا والكل إذا لقيها يشير إليها، فلتحبطوا أيها الوطنيون الفضلاء مساعي هذه الفئة السيئة ولتـــردوا رجالها على أعقابهم"[4]. كما أبدى عبد الله النديم** استغرابه من موقف الفئات المتعاونـــة مـــع الإنجليز في مصر ففي مقال له نشر في مجلة الأستاذ سنة1893م:" أنا أخوك، فلم أنكرتني ؟! ما الشام ومصر إلا توأمان أبوهما واحد يسوء الاثنين ما ساء أحدهما، فلـــم تنـــافر أبناؤهمـــا وانحاز السوريون في جانب بعيدا عن المصريين وان ساكنوهم في مصر؟...أبراتـــب قـــدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل جنسه ودينه؟"[5].

---

[1] النابلسي، شاكر: مرجع سابق، ص 232.
[2] رضا، محمد رشيد: تاريخ الأستاذالامام الشيخ محمد عبده، ج1، دط، القاهرة، مطبعة المنار، 1906م، ص279.
[3] علي يوسف: مصر، المؤيد، 15 ابريل /1890م، ص1.
* أحد مؤسسي نهضة مصر الوطنية وخطيبها المفوّه ، ولد في القاهرة سنة1874م. أنشأ صحيفة اللواء ، ورأس الحزب الوطني المصري سنة 1907م.أنظر زيدان،جرجي:تراجم مشاهير الشرق،مرجع سابق،ج1،ص391.
[4] حسين، محمد: مرجع سابق، ص223.
** صحفي وخطيب من أدباء مصر وشعرائها. من مواليد الإسكندرية سنة1845م.كان من خطباء الثورة العرابيـــة . أنشأ مجلة الأستاذ سنة1892م. نفاه الإنجليز إلى يافا ثم ارتحل إلى الاستانه حيث توفي فيها سنة1896م.أنظر ألزركلي، خير الدين: مرجع سابق،ج4،ص137.
[5] حسين، محمد: مرجع سابق، ص 224.

والسؤال هنا؛ ما الذي دفع تلك الفئة من الشوام إلى اتخاذ هذا الموقف و الانحياز إلى جانب الإحتلال الإنجليزي في مصر ؟

يحاول رفعت السعيد في كتابه ثلاثة لبنانيين في القاهرة أن يجيب على ذلك، فيبين أن هؤلاء المهاجرين كانوا في الغالب هاربين من الاضطهاد العثماني، ووجدوا في مصر ملجئا ومتنفسا، وشجعهم الإنجليز في مناوأتهم للعثمانيين، ولهذا وجدوا أنفسهم مضطرين للتعامل معهم وتأييدهم كنوع من أنواع المناورة السياسية[1].

ويضيف رفعت السعيد على هذا بقوله:" نخطيء لو تصورنا أن هؤلاء الناس قد خدعوا تماما في طبيعة الاحتلال فقد كانت لهم تحفظاتهم ضده..بل إننا نجد في كتاباتهم ما يوحي بان موقفهم منه كان مجرد مناورة ولعب على الحبال ..."[2].

ولعل رفعت السعيد مصيبا في هذا، فشبلي شميل مثلا رغم كونه كان مدافعا عن الاحتلال الإنجليزي إلا أننا نجده ينتقدهم بشدة ويتهمهم بسرقة ثروات الشعوب في كثير من كتاباته، ومن ذلك قوله:" إن الحكومة الإنجليزية في فتوحاتها تجرد الحسام لتوسيع نطاق تجارتها ولتحويل ثروة الأمم إلى خزائنها"[3].

وفي نفس الوقت فان شميل يحاول أن يبين المصلحة المتبادلة التي يجنيها الشوام والإنجليز من التقارب فيما بينهم لتحقيق أهدافهم فيقول:".. فخروج سوريا من يد تركيا لا يتم بنا، بل بواسطة سوانا، فمن له عندنا مصالح لا يسعه أن يتخلى عنها خارجة ليده في كل حال سواء رضينا أم لم نرض. ولكن بامكاننا أن نستفيد من هذا الخروج لمستقبلنا"[4]. فهو يشير ضمنيا إلى أن التأييد للإنجليز يأتي ضمن سياق الجهد السياسي المناويء للعثمانيين في بلاد الشام.

ويمكن التدليل كذلك على صحة هذا الاستنتاج بموقف رئيس المؤتمر العربي السوري الأول في باريس عبد الحميد الزهراوي. فحين حاول احد الشباب المصري أن يشارك في مناقشات المؤتمر مثيرا التساؤل حول ما إذا كانت مصر بلدا عربيا عثمانيا أم لا، انبرى له الزهراوي ومنعه من الكلام موضحا بان المؤتمرون يحيون إخوانهم المصريين ويبدون الاحترام لآرائهم ويؤكدون على أن مصر عربية عثمانية، ولكن بما أن لها إدارة لا ينفذ فيها رأي المصريين - يقصد الاحتلال الإنجليزي- فإنهم يرجون أن تبقى المناقشات محصورة فيمن لآرائهم القدرة

---

[1] السعيد، رفعت: مرجع سابق، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص49.

[3] المرجع نفسه، ص49.

[4] توما، اميل: تاريخ مسيرة الشعوب العربية، ج1، دط، القدس، منشورات صلاح الدين، 1979م، ص114.

على التأثير على أحوالهم[1]. فالزهراوي هنا لم يشأ أن يثير هذا الأمر خشية الاصـطدام مـع الإنجليز الذين كانوا مؤيدين لتحركات النشطاء السياسيين الشوام المناوئة للعثمانيين.

وأغلب الظن أن موقف هؤلاء الشوام من الإنجليزفي مصر يعـود بالدرجـة الأ ولـى إلـى المصالح العائدة عليهم من تأييدهم للاحتلال، سواء كان هذا على الصعيد السياسي مـن حيـث مراهنة البعض منهم على دعم الإنجليز لنشاطهم المناويء للعثمـانيين ولقضـاياهم أهـدافهم السياسية[2]. أو على الصعيد الاقتصادي من حيث توفر فرص العمل في الـدوائر الإنجليزيـة المختلفة، وحماية امتيازاتهم في مصر، فضلا عن الدعم المالي الذي يغدق به الإنجليز علـيهم وعلى الصحف المؤيدة لهم.

ومهما يكن من أمر فانه لا يمكن لنا تفسير دور الشوام السياسي في مصر بكافـة توجهاتـه بمعزل عن الواقع السياسي في ذاك الوقت، فمهاجروا الشوام في مصر شكلوا جزءا عضـويا من الحياة السياسية المصرية التي كانت موزعة على أكثر من تيار. ففيما الفئة القليلة مـنهم- كبعض المصريين- ارتبطت مصالحها مع الاحتلال الإنجليزي كجماعة المقطـم والمقتطـف، فان الأكثرية منهم وقفت موقفا معاديا ومناوئا وكان لها دور واضح فـي الحركـة الوطنيـة المصرية والوقوف إلى جانب الشعب المصري واغناء الوعي السياسي وإيقاظ الروح الوطنية ونشر المد القومي والأفكار السياسية الإصلاحية.

---

[1] وليد قزيها، فكرة الوحدة العربية في مطلع القرن العشرين، المستقبل العربي، س1، ع4، تشرين الثاني- نوفمبر 1978/، ص12.

[2] منسي، محمود:مرجع سابق، ص105.

الفصل الرابع:

ألإسهامات الثقافية للمهاجرين الشوام في مصر

لا بد لنا قبل تناول الإسهامات الثقافية للمهاجرين الشوام في مصر من القول أن تلك الفترة كانت مرحلة مهمة في التاريخ العربي ككل فيما عرف بعصر النهضة، بحيث أن مجمل إسهاماتهم تعتبر من صميم حركة النهضة العربية والتي ساهموا فيها بمختلف حقولهم المعرفية، مفكرين وأدباء وشعراء وصحافيين وسياسيين، وشكلوا جزءا عضويا من حركة النهضة العربية إلى جانب باقي رواد النهضة من مختلف أنحاء الوطن العربي بحدوده الحالية.

وهكذا، فإننا إذ نركز عليهم دون غيرهم فان هذا يعود لضرورات هذه الأطروحة وموضوعها المتعلق بالشوام، ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال أن إنجازاتهم تلك كانت بمعزل عن حركة تطور المجتمع المصري والعربي و إسهامات غيرهم من مفكرين وأدباء سواء من مصر أو الوطن العربي، وان كانوا بطبيعة الحال من الرواد الأوائل في مختلف الحقول المعرفية التي شهدتها حركة النهضة، والتي لم يقتصر تأثيرهم فيها على مصر وحدها، بل تعداها إلى سائر الأقطار العربية[1].
والى ذلك يشير شاعر النيل حافظ إبراهيم إذ يصف خدماتهم الأدبية وإسهاماتهم المتعددة في حركة النهضة:

لم تبد بارقة في أفق منتجع	إلا وكان لها بالشام مرتقب
ما عابهم أنهم في الأرض قد نثروا	فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
سعوا إلى الكسب محمودا وما فتئت	أم اللغات بذاك السعي تكتسب
فأين كان الشاميون كان لها	عيش جديد وفضل ليس يحتجب[2].

لقد شملت مظاهر النهضة في ذلك الوقت ميادين الفكر السياسي والاقتصادي والاجتماعي و اللغة و الشعر والأدب والصحافة والترجمة والتمثيل وغيرها، وامتدت اهتمامات وإسهامات المهاجرين الشوام في مصر إلى مختلف هذه الحقول، حتى أن بعضهم كانت له إسهامات في

[1] حتي، فيليب: مرجع سابق، ص576.
[2] إبراهيم، حافظ: ديوان حافظ إبراهيم، ج1، دط، بيروت، دار العودة، دت، ص270

أكثر من مجال بحيث نجده سياسيا ومفكرا وصحافيا وأديبا ومترجما بنفس الوقت. واشتهر عدد كبير منهم كأدباء وشعراء وسياسيين ومصلحين، من أمثال عبد الرحمن الكواكبي، محمد رشيد رضا، أديب اسحق، سليم نقاش، خليل مطران، مي زيادة، رفيق جبور،شبلي شميل ، فرح انطون، جرجي زيدان، ومئات غيرهم من الرواد الأوائل الذين كانت إسهاماتهم المتعددة علامات بارزة في عصر النهضة.

وحيث أن المساحة المخصصة لهذا الفصل في هذه الدراسة لا تسمح بتناول كافة تلك الإسهامات، فأنني اخترت خمسة من مظاهر النهضة التي اعتبرت من صميم حركة النهضة الفكرية والأدبية، وكان لها دور أساسي في انتشار الوعي والمعرفة والاستنارة في ذلك الوقت، وهي: الصحافة، الترجمة، الطباعة، التمثيل والجمعيات الأدبية والعلمية. حيث لعب الشوام الدور الرئيسي في تطورها وازدهارها في مصر واعتبروا من الرواد الأوائل لها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

أولا - الصحافة:

ارتبط نشوء الصحافة في مصر بالمهاجرين الشوام ارتباطا رئيسيا، فمعظم الـرواد الأوائـل للصحافة فيها كانوا من الشوام[1]، وبدأ دورهم في وقت مبكر مع ظهور أول الصحف المصرية بحيث أن أحمد فارس الشدياق اشترك في تحرير أول الصحف المصرية في عهد محمد علـي وهي" الوقائع المصرية " ، فعمل الشدياق فيها منذ بداية ظهورهـا سـنة1828م حتـى سـنة 1834م[2].

على إن الدور الأهم الذي لعبه المهاجرون الشوام في الحركة الصحافية بدأ منذ عهد الخـديوي إسماعيل الذي عمل بدوره على تشجيع الصحافيين الشوام على الهجرة إلى مصـر ومزاولـة نشاطهم الصحافي من هناك، حيث ساهموا في ازدهار الصحافة وأصبحوا منذ ذلـك الوقـت يمتلكون ويحررون أكبر المجلات والجرائد في مصر كالمنار والمقتطف والضـياء والهـلال والأهرام والمقطم، "وزاد عددهم حتى أناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدموا على غيـرهم بما عرفوا به من النشاط والذكاء والتفنن في الكتابة "[3]. يقول لويس عوض بهذا الخصوص: " كان من الأسباب المباشرة لازدهار الصحافة في عصر إسماعيل هجرة عدد كبير من المثقفين والكتاب الشوام إلى مصر "[4].

وعليه فقد بدأ ظهور الصحف الشامية في مصر منذ ذلك العهد، فأسس سـليم حمـوي أول صحيفة في سنة 1873م هي صحيفة " الكوكب الشرقي " التي صدرت في الإسـكندرية. ثـم صدرت" الأهرام " في الإسكندرية كذلك على يد الأخوين سليم و بشـارة تقـلا سـنة 1875م وانتقلت إلى القاهرة سنة1899م، ثم تتابع صدور الصحف والمجلات الشامية التي تنوعت في اهتماماتها لتشمل مختلف الجوانب، فمنها السياسية مثل جريدة " مصر " التـي أسسـها أديـب اسحق في القاهرة سنة 1877م، و" المحروسة " لصاحبها سليم نقاش فـي الإسـكندرية سـنة 1880م، و" الإقدام" لمحمد الشنطي سنة1913م، بالإضافة إلى " الأهرام " و" المقطم ". ومنها

---

[1] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج2، ج3، ص4.
[2] المطوي، محمد:مرجع سابق، ص79.
[3] شيخو، لويس:مرجع سابق، ج2، ص198.
[4] عوض، لويس:مرجع سابق، ص224.

الأدبية مثل مجلة " الراوي" التي أسسها خليل زينة في الإسكندرية سنة 1888م، ومجلة " الكمال " التي صدرت في القاهرة على يد توفيق عزوز سنة 1893م، و" الكوثر " في القاهرة سنة 1899م على يد جورج طنيوس. ومنها العلمية مثل مجلة " الشمس " التي صدرت في القاهرة سنة 1894م وصاحبها حسن الطوراني، و" البيان " التي ظهرت على يد إبراهيم اليازجي في القاهرة كذلك سنة 1897م. هذا بالإضافة لمجلات متخصصة أخرى منها جريدة " التجارة " التي تخصصت في الشؤون الاقتصادية، و" المجلة المصرية " و " مجلة المفتاح " اللتان اهتمتا في المسائل التاريخية، ومجلة " الفتاة " التي أنشأتها هند نوفل سنة 1892م واختصت في شؤون المرأة، ومجلة " عروس النيل " لسليم قبعين وكانت مجلة اجتماعية، فضلا عن مجلات عديدة متنوعة في موضوعاتها كالمنار والهلال والمقتطف وغيرها[1].

ويوضح الجدول التالي أهم الصحف الشامية التي تأسست قي مصر وانتظمت في الصدور في أغلبها، حيث تنوعت اهتماماتها ما بين السياسية والعلمية والأدبية والتاريخية والاجتماعية وغيرها:

[1] داغر، يوسف: قاموس الصحافة اللبنانية 1858-1974م، ط1، بيروت، الجامعة اللبنانية، 1978م، ص 395-450. ؛ انظر أيضا طرازي، فيليب:مرجع سابق، مج2، ج4، ص162-196.

أهم الصحف الشامية الصادرة في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ل[1]:

الرقم	الصحيفة أو المجلة	سنة الصدور	مكان الصدور	مؤسسها	وصف الصحيفة أو المجلة
1	الكوكب الشرقي	1873م	الإسكندرية	سليم حموي	صحيفة سياسية أسبوعية
2	الأهرام	1875م	الإسكندرية	سليم وبشارة تقلا	صحيفة سياسية يومية، انتقلت إلى القاهرة سنة1899م
3	مصر	1877م	القاهرة	أديب اسحق	صحيفة سياسية يومية احتجبت ثم عادت للظهور سنة1879م
4	التجارة	1878م	الإسكندرية	أديب اسحق	صحيفة تجارية يومية
5	مرآة الشرق	1879م	القاهرة	سليم عنحوري	صحيفة سياسية علمية
6	المحروسة	1880م	الإسكندرية	سليم النقاش	صحيفة سياسية تجارية
7	المقتطف	1876م	بيروت	يعقوب صروف	مجلة علمية صناعية زراعية انتقلت إلى القاهرة سنة1885م
8	الفلاح	1885م	القاهرة	سليم حموي	صحيفة سياسية أدبية يومية
9	الحقوق	1886م	القاهرة	اميل شميل	مجلة قانونية شهرية
10	اللطائف	1886م	القاهرة	شاهين مكاريوس	مجلة علمية أدبية تاريخية شهرية
11	الراوي	1888م	الإسكندرية	خليل زينة	مجلة أدبية فكاهية شهرية
12	الرياضة السورية	1888م	القاهرة	محمد المخزومي	مجلة رياضية نصف شهرية
13	المقطم	1889م	القاهرة	فارس نمر	صحيفة سياسية تجارية أدبية يومية
14	الحقيقة	1889م	الإسكندرية	فرج مزراحي	صحيفة أدبية تجارية أسبوعية
15	الهلال	1892م	القاهرة	جرجي زيدان	مجلة علمية أدبية تاريخية
16	الفتاة	1892م	الإسكندرية	هند نوفل	مجلة نسائية اجتماعية علمية تاريخية
17	الكمال	1893م	القاهرة	توفيق عزوز	صحيفة أدبية أسبوعية
18	الشمس	1894م	الإسكندرية	حسن الطوراني	مجلة علمية أدبية شهرية
19	منتخبات الروايات	1894م	القاهرة	اسكندر كركور	مجلة روائية شهرية

[1] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج2، ج4، ص162-196؛ انظر أيضا داغر، يوسف:مرجع سابق، 1978م، ص395-450.

20	الكنانة	1895م	القاهرة	شاكر شقير	مجلة علمية أدبية
21	الفردوس	1896م	القاهرة	لويزا حبالين	مجلة شهرية للسيدات
22	مرآة الحسناء	1896م	القاهرة	سليم سركيس	مجلة أدبية نصف شهرية
23	البصير	1897م	الإسكندرية	رشيد شميل	صحيفة سياسية تجارية يومية
24	البيان	1897م	القاهرة	إبراهيم اليازجي	مجلة علمية أدبية صناعية شهرية
25	تسلية الخواطر	1898م	الإسكندرية	سبع شميل	مجلة أدبية تاريخية نصف شهرية
26	الضياء	1898م	القاهرة	إبراهيم اليازجي	مجلة علمية أدبية صناعية شهرية
27	الفكاهة	1898م	القاهرة	ديمتري نقولا	مجلة أدبية روائية نصف شهرية
28	المنار	1898م	القاهرة	محمد رشيد رضا	مجلة سياسية أسبوعية ، ثم دينية شهرية
29	سلسلة الروايات	1899م	القاهرة	بشير الحلبي	مجلة روائية نصف شهرية
30	الاعتدال	1899م	الإسكندرية	جمعية الاعتدال	مجلة اجتماعية غير منتظمة
31	الكوثر	1899م	القاهرة	جورج طنيوس	مجلة علمية أدبية نصف شهرية
32	المجلة المصرية	1900م	القاهرة	خليل مطران	مجلة أدبية تاريخية نصف شهرية ثم أسبوعية
33	المفتاح	1900م	القاهرة	توفيق عزوز	مجلة أدبية تاريخية مصورة شهرية
34	القول الحق	1902م	القاهرة	عزيز طرابلسي	صحيفة سياسية أدبية أسبوعية
35	عروس النيل	1903م	القاهرة	سليم قبعين	مجلة اجتماعية أدبية نصف شهرية
36	السيدات و البنات	1903م	الاسكندرية	روزا أنطون	مجلة نسائية أدبية شهرية
37	سركيس	1905م	القاهرة	سليم سركيس	مجلة أدبية فكاهية نصف شهرية
38	الشتاء	1906م	القاهرة	سليم عنحوري	مجلة أدبية تاريخية شهرية
39	فتاة الشرق	1906م	القاهرة	لبيبة هاشم	مجلة أدبية روائية شهرية
40	المقتبس	1906م	القاهرة	محمد كرد علي	مجلة علمية أدبية اجتماعية شهرية
41	الفكاهات العصرية	1908م	القاهرة	غزالة الحلبي	مجلة روائية أدبية نصف شهرية
42	الزهور	1910م	القاهرة	أنطون الجميل	مجلة علمية أدبية شهرية
43	السمير	1910م	الإسكندرية	قيصر شميل	مجلة روائية تاريخية نصف شهرية
44	الراوي	1910م	القاهرة	طانيوس عبده	مجلة روائية أسبوعية
45	فتاة النيل	1913م	القاهرة	سارة الميهية	مجلة أدبية نسائية شهرية
46	الإقدام	1913م	القاهرة	محمد الشنطي	صحيفة سياسية أسبوعية
47	اللطائف المصورة	1915م	القاهرة	اسكندر مكاريوس	مجلة أدبية علمية تاريخية أسبوعية
48	الزهرة	1916م	القاهرة	نعوم مغبغب	مجلة أدبية شهرية
49	لبنان الفتي	1918م	القاهرة	حبيب جاماتي	مجلة سياسية شهرية

لقد بذل الصحافيون الشوام جهودا شاقة في سعيهم لبناء نهضة صحافية حقيقية، فكانت بدايات هذه الصحف والمجلات تتطلب جهدا كبيرا، وكان اغلب أصحابها هم من يقومون بمختلف مراحل إصدارها من التحرير وجمع الأخبار وكتابة المقالات والروايات والطباعة والتوزيع واستقطاب المشتركين. تورد الهلال عن بدايات العمل في الأهرام قول مؤسسها سليم تقلا: " أنشأت الأهرام وأنا عالم بما يحول دون نشرها من المصاعب فكنت اقضي إليها النهار والليل عاملا بدنا وعقلا فأحررها وأديرها وألاحظ عملها وأكتب أسماء مشتركيها وأتولى معظم إعمالها "[1].

ومن هنا علينا أن ندرك أنهم تمكنوا من خلال ما بذلوه من جهود في رعاية صحفهم ومجلاتهم من تطوير الأساليب المهنية الصحافية من حيث الإنشاء الصحفي والشكل والمضمون، فكانت أغلبها تتبع نهجا صحفيا عصريا من حيث أسلوب الإنشاء والتعبير، فلم تجار الأسلوب الذي كان سائدا في السجع والمحسنات البديعية بل اعتمدت العبارات الواضحة المتحررة، " وانتقل الإنشاء الصحفي من العبارات الضعيفة الركيكة إلى الرشاقة والطلاوة العصرية " وكانت جهود أديب اسحق واضحة في هذه المسالة حيث يصفه جرجي زيدان بأنه" مقدام هذه النهضة وكان نابغة في الإنشاء مع المتانة وصحة العبارة فقلده الكتاب في عبارته وفي أسلوبه "[2].

ومن حيث الشكل وتوزيع المادة الصحفية فان الصحف الشامية في ذلك الوقت اتبعت نمط الصحف الأجنبية، فكانت أعدادها تحوي في الغالب مقالات افتتاحية تتناول من خلالها وجهة نظر الصحيفة تجاه إحدى القضايا، ومن ثم تأتي الأخبار السياسية المتنوعة والتي كانت تغطي من خلالها الأحداث في كل من مصر وبلاد الشام وباقي أرجاء الدولة العثمانية من خلال مراسلين لها في تلك الأماكن، واهتمت كذلك بنشر العرائض والشكاوي التي كانت تصلها من مصر وبلاد الشام، هذا إلى جانب الأخبار العالمية التي غالبا ما كانت تتلقاها من الوكالات الأجنبية على شكل رسائل تلغرافية، وخاصة وكالتي " رويتر" و "هافاس"[3].

بالإضافة إلى هذا، اهتمت تلك الصحف بنشر الإعلانات التجارية، وكذلك الإعلانات الرسمية، فكانت غالبيتها معتمدة لنشر الإعلانات الحكومية والقضائية حيث نجد في راس الصفحة الأولى وتحت اسم كل صحيفة العبارة التالية: " قررت جميع المحاكم الأهلية

---

[1] جرجي زيدان، مؤسس الأهرام سليم تقلا، الهلال، س4، ج1، 1 ايلول-سبتمبر1895 / ، ص83.

[2] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص418.

[3] انظر مثلا: الأهرام، 7 كانون الثاني –يناير/ 1911 ، ص4؛ المقطم، 26 تموز - يوليو / 1898م، ص5.

والمخططة تعيين الصحيفة رسميا لنشر الإعلانات القضائية "[1]. كما حوت الصحف أخبارا اقتصادية كأخبار البورصة وأسعار الأسهم والعملات وبعض السلع التجارية كالقطن والتبغ فضلا عن مواعيد رسو السفن المحملة بالبضائع وأسماء تلك السفن ووجهتها [2].

أما بالنسبة لدور الصحافة الشامية في مصر في نشر الوعي والمعرفة، فيتبين لنا من خلال تنوع مجالاتها واختصاصاتها أنها تناولت مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والعلمية، فساهمت في خدمة هذه الحقول بحيث كان لها أثر في نشر الوعي في المجتمع المصري بدرجة كبيرة، وفي ذلك يصف " ليفين " الصحافة في مصر بأنها لعبت دورا بارزا في تشكيل الوعي الثقافي والمعرفي وامتد تأثيرها ليشمل كافة أرجاء المشرق العربي، فساعدت على تعريف الناس بظروف الاستبداد السياسي والنظم السياسية كما كان لها دور في انتشار الشعور بالوطنية و أفكار النزعة الدستورية والتحرر القومي، فضلا عن إبراز العديد من القضايا المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية في ذلك الوقت، إلى جانب تشجيعها على نشر التعليم والاهتمام بالعلم الحديث [3].

ولأخذ صورة أوضح عن إسهامات الصحف الشامية وما قدمته من خدمات وإسهامات معرفية وثقافية، فإننا سوف نتتبع دورها هذا معتمدين على ما توفر بين أيدينا من أعداد لكل من صحيفتي الأهرام والمقطم، ومجلتي الهلال والمقتطف، حيث سنتناول ما قدمته كل منها من إسهامات في مختلف المجالات، مستعينين كذلك بعدد من المصادر والمراجع التي تناولت الصحافة بشكل عام والصحف الشامية بشكل خاص.

---

[1] انظر الأهرام؛ المقطم، أعداد متنوعة.

[2] المقطم، 3 اب- اغسطس /1889 م، ص6.

[3] ليفين، ز.ا : الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، ترجمة بشير السباعي،ط1،بيروت ، دار ابن خلدون،1978م ، ص82.

1-الأهرام:

صدرت الأهرام على يد سليم تقلا كجريدة سياسية إخبارية، وعن ظروف تأسيس الأهرام يقول جرجي زيدان:" نظم سليم تقلا قصيدة رنانة مدح بها الخديوي إسماعيل، وغادر ربوع بلاد الشام قاصدا القطر المصري حتى وصل القاهرة، فرفع قصيدته إلى الخديوي وبات من المقربين لديه فمنحته الحكومة امتياز جريدة الأهرام سنة1875م وأصدرها في الإسكندرية أولا ".[1]

وقد كان للأهرام دور هام في نشر المعرفة والثقافة بين القراء منذ بداياتها الأولى، وفي هذا الصدد ينقل فيليب طرازي ما كتبه الشيخ إبراهيم اليازجي بعد وفاة بشارة تقلا عن دور الأهرام:"كان لها من الفائدة بين قراء العربية وعلى الخصوص في القطر المصري ما لا يسع أحدا إنكاره، فأنها بدأت وليس في القطر المصري من يقرأ جريدة ولا يعلم شيئا عن أمور السياسة والحقوق، ولا يهتم لسماع حادث من الحوادث الخارجية ولا الداخلية. فما لبثت بضع سنين حتى انتشرت الرغبة في المطالعة بين خاصة الناس وعامتهم وازداد عدد القراء حتى صاروا يعدون بالآلاف "[2].

ضمت الأهرام العديد من قضايا مصر المتنوعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث تعد بحق السجل التاريخي لها في تلك الحقبة. فقد ابتدأت منذ أعدادها الأولى بنشر ما من شأنه لفت أنظار الناس وزيادة الوعي لديهم من خلال نشر أخبار المستجدات السياسية ورأي الحكومة وسياستها متدرجة من ذلك إلى معالجة الشؤون الداخلية بكل جرأة من خلال المقالات والتحليلات والآراء التي ساهمت بشكل واضح في زيادة الوعي السياسي وإشاعة الكثير من المفاهيم السياسية التي كانت غير معروفة في تلك الفترة، كمفاهيم المواطنة والمحاسبة وحرية الرأي والتعبير[3]،والتي سعت الأهرام لتطبيقها عمليا من خلال رصدها لأعمال الحكومة ومراقبتها لأعمال الدوائر والمؤسسات المختلفة في الدولة، ومن ذلك دعوتها لأعضاء مجلس شورى القوانين وهو بصدد انعقاده إلى أن يحقق ما فيه الفائدة لمصر مؤكدة على "أن عمله مرصود له إن كان حسن أم قبيح" [4]. هذا بالإضافة لتوجيهها الانتقاد دوما للسياسات الحكومية

---

[1] زيدان، جرجي: تراجم مشاهير الشرق، مرجع سابق، ج2، ص124.
[2] طرازي، فيليب:مرجع سابق، مج 2، ج3، ص52.
[3] عبده، ابراهيم:مرجع سابق، ص140.
[4] الأهرام، رد على سؤال، 24 كانون الثاني - يناير / 1884م، ص1.

وتصرفات المسؤولين وإعطاءرأيها بكل جرأة وصراحة في العديد من القضايا السياسية ، كتصديها لشرح أبعاد ومخاطر الإمتيازات الأجنبية وأثرها البالغ على المصالح المصرية، وتحميلها الحكومة مسؤولية التقاعس عن تجنيب مصر مخاطر تلك الامتيازات[1].

وقد كانت مقالات الأهرام وانتقاداتها للسياسات الحكومية ولسياسة الاحتلال الإنجليزي - كما مر معنا - قد عرضتها لإجراءات تعسفية في بعض الفترات من قبل الحكومة، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من تعرض سليم تقلا للسجن في سنة 1879م بعد أن أشار إلى المال الذي فقد من خزينة الدولة المصرية، فقد عطلت الحكومة جريدة الأهرام في سنة 1882م بعد أن وجهت اتهاما للحكومة بأنها لا تخدم مصر بل تخدم انجلترا [2].

ويبدو أن الأهرام قد تصدت لمهمة التثقيف السياسي وإيقاظ الشعور القومي وغرس المبادىء السياسية كمفهوم الأمة والدولة، فكانت بذلك تعمل على إعداد المجتمع المصري إعدادا سياسيا من خلال تناولها لهذه القضايا إلى جانب تطرقها للأفكار والمعاني التقدمية وتوضيح المذاهب والأفكار العالمية كالاشتراكية والرأسمالية، والنظريات السياسية كنظرية فصل السلطات والحكم النيابي ومفهوم العدالة والمساواة والحرية[3]،حيث تناولت هذه القضايا في كثير من مقالاتها وتحليلاتها،وخصوصا موضوع الحرية وحقوق المواطن فنجد فيها مثلا تعريفا للقراء بما تتمتع به الشعوب الأوروبية من حريات مثل حق الانتخاب الذي يتمتع به مواطنو سويسره وبلجيكا فضلا عن سيادة القانون والممارسة الديموقراطية السائدة في هذه البلدان مشيرة إلى أن الأمم التي لا تقيم للعدل وزنا وللحرية مقاما لا يمكن لها أن تتقدم وتعد من الأمم الراقية[4].

إلى جانب القضايا السياسية اهتمت الأهرام بالجوانب الاقتصادية، فعملت على شرح ألازمات المالية التي كانت تمر فيها مصر وتقديم الاقتراحات والآراء العديدة التي من شانها الخروج من الأزمة، فنجدها ترحب بفكرة إنشاء بنك وطني يكون رأسماله من أفراد الأمة للمحافظة على الكيان الاقتصادي للبلاد، وتشجع على قيام صناعة وطنية حقيقية وزيادة الاعتماد على المنتجات المحلية والتخلص من الديون[5]. ونجد لها كذلك أسهاما واضحا في تعريف القراء على الكثير من القضايا والنظريات والأفكار والمذاهب الاقتصادية، وتتكرر

---

[1] بشارة تقلا، العاصمة، الأهرام، 18تشرين الثاني – نوفمبر /1893م، ص1؛ ويبدو ان مقالات بشارة تقلا كانت في اغلب الاحيان تحت عنوان"العاصمة"حيث يتكرر هذا العنوان لمقالاته باستمرار.

[2] طرازي، فيليب:مرجع سابق، مج 2، ج3، ص51.

[3] عبده، ابراهيم:مرجع سابق، ص152.

[4] الأهرام، مستقبلنا، 18 نيسان – ابريل /1894م، ص1.

[5] بشارة تقلا، ألعاصمة، الأهرام، 27 تشرين الثاني – نوفمبر 1893م، ص1.

على صفحاتها العديد من المصطلحات الاقتصادية كالبورصة وراس المال والتبادل التجاري والميزانية وغيرها[1].

أما من الناحية الاجتماعية، اهتمت الأهرام بقضايا المجتمع وبشؤون المرأة، حيث نجد مقالات متعددة تتناول هذه القضية، منها مقال لنجيب الحداد* يتطرق فيه للمرأة الغربية ويدعو من خلاله المرأة الشرقية إلى تقليدها فيما يعود بالفائدة عليها و السعي لنيل حقوقها للوصول إلى الإمتيازات التي تمتعت بها المرأة في الغرب[2]، وكذلك يتحدث خليل مطران عن المرأة الفرنسية مبينا الصفات الحميدة التي جعلتها امرأة جديرة بالاحترام ، ويدعو المجتمع الشرقي لإفساح المجال للمرأة كي تعبر عن نفسها والنظر إليها كانسانبحاجة للاحترام والرعاية [3].

كما تؤيد الأهرام آراء قاسم أمين في دعوته إلى تحرير المرأة وتتعجب من إهمال تعليم البنات في مصر معتبرة أن تعليم المرأة هو واجب عقلاء الأمة والحكومة على السواء[4].

في الأدب فان الأهرام وان كانت صحيفة سياسية بالدرجة الأولى إلا أننا نجد فيها بعض الفنون الأدبية من شعر وقصة ومقالات لغوية وأدبية، ونجدها تدافع عن اللغة العربية بشكل واضح من خلال دعوتها للحكومة إلى التعديل في منشوراتها ووثائقها من أساليب التعبير بالفرنسية والإنجليزية[5]، كما نجد لأنطون الجميل نقدا للشرقيين من العرب الذين أهملوا دراساتهم العربية حتى تولاها المستشرقون الغربيون[6] ،وكتب أحمد زكي** مقالا عن اللغة ومتاعب الترجمة بمناسبة التفكير في نقل أسماء المخترعات من اللغات الإفرنجية إلى اللغة العربية مرحبا بإنشاء مجلس أعلى لدار الكتب يكون من اختصاصه العمل على إحياء اللغة العربية[7].

---

[1] انظر مثلا أعداد الأهرام 25 كانون الثاني – يناير /1908م، ص4؛ 12 تشرين الثاني- نوفمبر / 1901م، ص2-4.

* صحفي وأديب وشاعر من مواليد بيروت سنة1867م.هاجر إلى مصر وأصبح من كبار الكتاب في الأهرام.أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج8،ص12.

[2] نجيب الحداد، حقوق النساء، الأهرام، 22 نيسان - ابريل /1895م، ص2.

[3] خليل مطران، المرأة الأوروبية، الأهرام، 8 أيلول- سبتمبر / 1893م، ص3.

[4] تعليم البنات، الأهرام، 6 أيار – مايو / 1913م، ص3.

[5] اللغات الأجنبية، الأهرام، 27 تشرين الاول - اكتوبر / 1887م، ص1.

[6] أنطون الجميل، الاعلام العربية، الأهرام، 25 كانون الثاني - يناير /1908م، ص2.

** أديب وباحث من مواليد الإسكندرية سنة1867م.إهتم بإحياء الكتب العربية وتحقيق المخطوطات حتّى لقب بـ"شيخ العروبة".أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج1،ص126.

[7] أحمد زكي، اللغة ومتاعب الترجمة، الاهرام، 14تموز – يوليو 1911م، ص2

2- المقطم:

صدرت المقطم سنة 1889م على يد ثلاثة من المهاجرين الشوام هم فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس كجريدة يومية سياسية بالدرجة الأولى، ولكن اهتمامها امتد ليشتمل على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والأدبية [1]، فأسهمت في نشر الوعي والفكر والمعرفة من خلال ما حفلت به صفحاتها من أخبار وتقارير ومقالات متنوعة ، فهي تعلن أن هدفها الوصول إلى الحقيقة والتقريب في وجهات النظر بين الحاكم والمحكوم فكتبت تقول : " إن أسمى غرض يجب على الجرائد أن تسعى إليه هو تقريب العلاقات بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة حتى تتم مقاصد الهيئتين على أسهل مسلك واقرب طريق ، ولذلك عقدنا النية على جعل هذه الجريدة واسطة لإبلاغ مقاصد الهيئة الحاكمة إلى الهيئة المحكومة وإيضاح حسن نياتها لها ، ولبسط آمال الهيئة المحكومة أمام الهيئة الحاكمة وإبلاغ أمانيها إليها "[2]

وفي سعيها لتحقيق هذا الغرض اهتمت المقطم بكافة الجوانب، فمن الناحية السياسية تناولت الوضع السياسي في مصر فنجد فيها أخبار السياسات الحكومية ومجلس الشورى والأحزاب وغيرها من جوانب الحياة السياسية ومستجداتها اليومية[3].

وعلى الرغم من ولائها المطلق للاحتلال الإنجليزي في مصر -كما مر معنا - وما انطوى عليه موقفها هذا من سلبيات عديدة في سعيها بكل ما أوتيت من قوة للدعاية له وإظهار إيجابياته ، إلا أنها أسهمت من خلال فتح صفحاتها للنقاش العام والحر حول هذه القضية في إيجاد نوع من حرية التعبير عن الآراء المتعددة بإفساحها المجال للآراء المتعارضة للتعبير عن أفكارها، فنجد فيها مثلا مقالا يورد كاتبه مواقف المعارضين للاحتلال ويرد عليهم مفندا أقوالهم فقرة تلو أخرى ، ومن ثم في عدد تالي بعد يومين نجد ردا معارضا لما ورد في هذا المقال بأسلوب نقاش هاديء وموضوعي بعيد عن التعصب والتشدد[4] .

اجتماعيا، حوت المقطم آراء ومقالات على تماس مباشر بقضايا المجتمع ركزت من خلالها على محاربة الفساد الاجتماعي والمطالبة بإقفال أماكن القمار باعتبارها أوكارا للرذيلة،

---

[1] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج2، ج3، ص34.

[2] المقطم، سياسة المقطم، 27 آب – اغسطس /1889م، ص2.

[3] انظر مثلا اعداد المقطم 19تموز/يوليو1889م، ص1-5؛ 13 آب / اغسطس 1889م، ص1-4؛ 11 تشرين الثاني / نوفمبر1908م، ص1-4.

[4] يوسف يكن، دعنا يا جناب المعتمد، المقطم، 11 تشرين الثاني – نوفمبر / 1908م، ص1.

ورحبت كذلك بمنع تجارة الحشيش والنهي عن التردد على الحانات والخمارات مـن خـلال تنظيم للبرامج الشبابية والرياضية[1]، كما دعت الحكومة إلى القضاء على الفقر والبطالـة مـن خلال فتح آفاق العمل للشباب في المجالات الزراعية والصناعية وطالبت بالتوسع فـي نشـر التعليم لكافة فئات المجتمع وخصوصا في الريـف المصـري وإنشـاء المـدارس الابتدائيـة والمهنية[2].

أما عن دورها في خدمة الأدب فقد جاء أسلوبها اللغوي الرصين المتميز بانتقـاء الكلمـات والتراكيب اللغوية والتعابير الواضحة البعيدة عن التكلف خادما للأدب بحـد ذاتـه، فـالمقطم تميزت بإسلوب صحفي عصري " يراعي قواعد اللغة وينهج منهاج الاعتدال في الإطراء مـع التأدب في النقد وتحاشي الذم... فكانت أول من تحرى اجتناب النعوت والألقاب الفارغة التـي كان الكتبة يملأون بها صفحات الجرائد للمدح أو القدح، فاقتصرت على الألقاب التي تمنحهـا الجماعات المعروفة في الهيئة الاجتماعية فكان لها قصب السبق في هذا المضمار"[3]. هذا إلـى جانب احتواء صفحاتها العديد من المواد الأدبية فنشرت القصائد الشعرية والقصص القصـيرة والروايات الأدبية، وقدمت الكثير من الكتاب والشعراء من خلال نشر نتاجهم الأدبي من نثـر وشعر، واهتمت بالأخبار المتصلة بالأدب فحرصت على متابعة أخبار مجمع اللغـة العربيـة ونشر ما يستحدثه من مصطلحات وكلمات منوهة إلى أن اللغة العربية ليست قاصرة فهي لغـة حية قادرة على استيعاب ما يستجد من مصطلحات العصر[4].

---

[1] المقطم، طريق الاصلاح، 17 شباط – فبراير /1891م، ص2.

[2] مصطفى الدرس، أزمتان في القطر يخرب، المقطم، 11 حزيران – يونيو /1890م، ص1.

[3] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج2، ج3، ص36.

[4] المقطم، اللغة الحية، 21 شباط – فبراير / 1893م، ص3.

3- الهلال:

تأسست مجلة الهلال في القاهرة سنة 1892م بعد تسع سنوات من هجرة صاحبها جرجي زيدان إلى مصر، ويقول زيدان بان الهلال "يبحث في الأدب والتاريخ والاجتماع والعلم، وما يحدث من الاكتشافات والاختراعات... ، وله ملحقات في موضوعات مختلفة أهمها تاريخ التمدن الإسلامي في خمسة أجزاء، وتاريخ العرب قبل الإسلام، وعلم الفراسة الحديث، وطبقات الأمم وتاريخ آداب اللغة العربية.ومن ملحقاته أيضا سلسلة روايات تاريخ الإسلام"[1]، وهذا ما نلحظه من موضوعات المجلة التي تراوحت ما بين التراجم لأشهر الكتاب والشعراء والنقاد والصحافيين من العرب والأجانب ، وكذلك المقالات اللغوية والأدبية النقدية والروايات التاريخية فضلا عن المعلومات العلمية والاختراعات ، الأمر الذي يدفعنا للقول بان الهلال لعبت دورا هاما في النهضة الفكرية والوعي الثقافي ونشر المعرفة الأدبية والعلمية والتاريخية في ذاك الوقت .

ومما نجده في صفحاتها، مقالات ترصد من خلالها للنهضة الثقافية التي تشهدها مصر وإقبال الناس على القراءة والمطالعة جاء فيها: " إن القطر المصري اليوم أكثر قراءة مما كان عليه منذ بضعة عشر عاما بما لا يقدر. يدلك على ذلك تهافت سكانه على مطالعة الجرائد على اختلاف نزعاتها ورغبتهم في تصفح الكتب على تباين مواضيعها، يبذلون في سبيل ذلك المال والوقت فلا نراهم اقل إقبالا على المطالعة من سائر أهل الممالك المتمدنة"[2]. كما ترصد اهتمامات القراء والموضوعات التي كانوا يقبلون على مطالعتها، حيث يتبين أن قراء العربية اهتموا بالروايات والقصص والشعر ومن ثم كتب التاريخ المتعلقة بالعرب وتاريخ الإسلام أو الشرق بشكل عام[3].وترسم الهلال صورة مشرقة لمستقبل النهضة التي تشهدها البلاد من خلال ملاحظتها لتضاعف قراء العربية يوما بعد يوم مؤكدة على انه سيأتي اليوم الذي تعم فيه الثقافة وينتشر العلم الذي من شانه حث أبناء اللغة العربية على الإجادة والإبداع[4].

وتحوي الهلال الكثير من الموضوعات الأدبية واللغوية فتظهر تحيزها للغةالعربية حيث تدافع عنها بشدة من خلال الرد على القائلين بأن العربية الفصحى عاجزة عن تطوير نفسها واستيعاب مستجدات العصر، فتفند هذا الرأي بإثباتها أن الفصحى لازمة للعرب على اختلاف

---

[1] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، ج4، ص422؛ ونلاحظ هنا أن زيدان يعتبر مؤلفاته تابعة لمجلة للهلال.

[2] الهلال، كتاب العربية وقراءها، س7، ج13، 15تموز - يوليو / 1899م، ص394.

[3] الهلال، كتاب العربية وقراءها، مرجع سابق، ص395.

[4] المرجع نفسه، ص400.

بقاعهم وأنها لغة القرآن وإغفالها يعتبر إغفالا لما كتب بها وما هذا المكتوب إلا تراث العرب الذي به حفاظ أمتهم على مدى التاريخ، وتبين الهلال أن العربية طعمت ببعض المصطلحات الأعجمية ولكن لا عيب في ذلك إذ إن اقتباس المصطلحات دارج في كل اللغات وتعطي أمثلة على ذلك بإيراد بعض المصطلحات منها التركية كالمصطلحات الإدارية وأسماء رتب الجند، والمصطلحات الفارسية الديوانية كالتمغة والبندر والسراي والقومندان والجنرال، وكذلك المصطلحات الإيطالية التجارية كالكمبيالة والفاتورة والبورصة، والبنك والكوبون من الفرنسية، هذا عدا الألفاظ العلمية كالجيولوجيا وأسماء المخترعات مثل التلغراف والفونوغراف[1].

أما مقالات النقد الأدبي فنجد فيها دعوة الشعر لمسايرة روح العصر متتبعة التطور الذي طرا على الشعر منذ العصر الجاهلي وكيف تطورت أغراضه بتطور الأحوال[2]. كما احتوت دراسات نقدية لقصائد الشعراء في ذلك الوقت إلى جانب تناولها بالدراسة والنقد القصائد الشعرية المترجمة عن الآداب العالمية، فنجد تعليقا نقديا على تعريب البستاني لإلياذة هوميروس وكيف أفادت ترجمتها الشعر العربي والآداب العربية وطعمتها بلون جديد[3] . وقد شجعت الهلال قراءها على ممارسة النقد الأدبي إذ طالبتهم بإرسال آرائهم بأشهر الشعراء في مصر وبلاد الشام فكانت المراسلات حافلة ببيان وجهة نظر القراء في تفضيلهم شاعرا على آخر معللين سبب اختيارهم بأبيات يذكرونها من قصائد أولئك الشعراء[4].

إلى جانب هذا حرصت الهلال في كافة أعدادها على تقديم تراجم لأشهر الأدباء والكتاب والمفكرين من عرب وأجانب، ونادرا ما غاب عن أي من أعدادها موضوع لا يتناول سيرة ونتاج احد مشاهير الفكر والأدب والفلسفة قديماوحديثا مثل فيكتور هوجو و أرسطو وهوميروس وأفلاطون وأبو الطيب المتنبي وأبو نواس ورفاعة الطهطاوي وخليل اليازجي ومحمود سامي البارودي وغيرهم[5].

وكغيرها من المجلات التي أنشاها المهاجرون الشوام في مصراهتمت الهلال بالقضايا الاجتماعية مولية قضية المرأة جانبا كبيرا فحفلت صفحاتها بمقالات متعددة بهذا الخصوص حيث نجد فيها دعوة للفتاة الشرقية أن تترك الجري وراء الأزياء والمظاهر الكاذبة واللهو

---

[1] الهلال، الألفاظ الأعجمية، س 16، ج 4، 1 حزيران- يونيو / 1908م، ص133.

[2] الهلال، أطوارالشعر العربي منذ العصر الجاهلي، س 13، ج6، 1 اذار - مارس /1905م، ص331.

[3] جرجي زيدان، الإلياذة العربية، الهلال، س12، ج17، 1 حزيران - يونيو / 1904م، ص134.

[4] الهلال، بريد الهلال، س7، ج18، 15 حزيران - يونيو / 1899م، ص75.

[5] الهلال:أعداد متنوعة.

والخلاعة والاهتمام ببناء كيانها وشخصيتها القادرة على إثبات وجودها من خلال اهتمامها بالعلم والثقافة والتمسك بالقيم والتقاليد الشرقية[1] ، كما كتب فرح انطون عن المرأة والعلم والمال وأيها انفع لها وقد انتهى إلى أن العلم وحده خير للمرأة من المال والجمال إذ بالعلم تعلو منزلة المرأة وتصبح ذات قيمة في الحياة[2] ، كما حفلت صفحات الهلال بمقالات متعددة مستوحاة من كتاب قاسم أمين ودعوته لتحرير المرأة[3].

---

[1] الهلال، فتاة الشرق، س7، ج18، 15حزيران - يونيو / 1899م، ص166.

[2] فرح أنطون، المراة والعلم والمال، الهلال، س9، ج12، 15اذار - مارس /1901م، ص350.

[3] الهلال، تحرير المراة، س8، ج13، 15كانون الثاني - يناير / 1900م، ص114.

4- المقتطف:

ظهرت المقتطف أولا في بيروت سنة 1876م، ثم انتقلت إلى مصر مع هجرة مؤسسها يعقوب صروف وشريكه فارس نمر في سنة 1885م. وعلى غرار غيرها من المجلات الشامية في مصر أفادت المقتطف النهضة الثقافية والفكرية من خلال ما تضمنته صفحاتها من موضوعات شملت مختلف حقول المعرفة. وتمتعت المقتطف بإسلوب لغوي وإنشاء صحفي على درجة عالية من الاتزان فكانت لغتها راقية وباسلوب بليغ ووضوح تام متجنبة الألفاظ والجمل المعقدة مراعية قواعد اللغة وملتزمة باصولها وضوابطها من خلال اختيار الألفاظ التي تليق بالفكر والعلم والأدب بعيدا عن الصناعة اللفظية[1].

يقول فؤاد صروف عن أسلوب المقتطف:" حينما شرع يعقوب صروف في إصدار المقتطف كتب بعبارة فصيحة بسيطة وأسلوب لغوي بليغ ووضوح تام، وتجنب الألفاظ غير المأنوسة والجمل المعقدة مع مراعاة قواعد اللغة مراعاة تامة والتزام أصولها وضوابطها فاختط لها أسلوبا خاصا من السهل الممتنع"[2]

أما موضوعاتها فهي مجلة علمية أدبية احتوت موضوعات فلسفية وطبيعية ولغوية متعددة، ولكن ما يلفت الانتباه أنها أفردت مساحة واسعة للموضوعات العلمية، فنجد فيها متابعة لسير وتطور العلوم الحديثة وما يستجد فيها، فتتاول الموضوعات الطبية من خلال تعريفها بالأمراض وأسبابها وسبل الوقاية منها وطرق علاجها، وكذلك التعريف بمضار العديد من المواد التي يتعاطاها الإنسان كالتبغ والمشروبات الروحية فتبين أثرها السيئ على جسم الإنسان والصحة العامة[3]، وتوضح اثر الطقس والمناخ على جسم الإنسان وصحته وطرق الوقاية من الإمراض الناجمة عن تقلبات الطقس[4].

ونجد اهتماما للمقتطف بتعريف القراء بأشهر العلماء مع معلومات عنهم وما توصلت إليه أبحاثهم العلمية من اكتشافات واختراعات في حقول علمية متعددة كالكيمياء والرياضيات مع

---

[1] سابا، عيسى: يعقوب صروف، دط، القاهرة، دار المعارف، دت، ص21.
[2] صروف، فؤاد: يعقوب صروف العالم والإنسان، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1960م، ص58.
[3] المقتطف ، قواعد حفظ الصحة ،س19،ج8 / 1895م ، ص582.
[4] المقتطف، الصحة وتغير الهواء، س19، ج9 / 1893م، ص675.

إيضاح أهمية تلك العلوم[1]، مشجعة الطلاب على سبر أغوارها والسعي لاكتساب المعرفة العلمية[2].

وتضع المقتطف معجما للمعربات تورد فيه قوائم بأسماء المخترعات والمصطلحات العلمية باللاتينية مع الاسم المقابل لها بالعربية[3] ، داعية بنفس الوقت لاستخدام المصطلح الأصلي كما يرد من مصدره مبينة فوائد دراسة العلوم الأجنبية بلغتها وذلك لان هذه العلوم " متقدمة نامية ومتجددة باستمرار واشتغال الأجانب بها جار على قدم وساق فلا يكاد يمضي شهر إلا وتكشف فيه أمورا كثيرة بحيث أن ما يؤلف هذا العام في علم منها يعد قديما لا يكاد يعول عليه بعد بضعة عشر عاما "[4].

ونلاحظ أن المقتطف تتواصل مع القراء من خلال استقبال أسئلتهم المتعلقة بمختلف حقول العلم والإجابة عليها من خلال الرجوع للعلماء والمختصين بموضوع السؤال[5] .

وفي الزراعة نجد في المقتطف مادة غزيرة بشقيها النباتي والحيواني، فتتناول أساليب الزراعة الحديثة مع إرشادات لسبل العناية بالمزروعات ووقايتها من الأمراض وكذلك تتحدث عن الأمراض التي تصيب الحيوانات وسبل الوقاية منها[6].

لا بد من القول بشكل عام أن الصحافة الشامية في مصر كانت تمثل عصرها تمام التمثيل في اضطرابه وتأرجحه بين القديم والحديث فكانت دلالة هذه الصحف والمجلات على حياة العصر واضحة ظاهره. ويظهر هذا من خلال القضايا والموضوعات التي عالجتها. فقد ظهرت رطانة أعجمية بين مثقفي ذلك الوقت فوجدنا مقالات لتقويم اللسان على نحو عربي فصيح.وكان انصراف عن الأدب فرأينا تحبيبا فيه ودعوات إليه.وكان ثمة مفاسد اجتماعية فعلت صيحات تنهى عنها وتحذر منها. وكان هناك انهيار خلقي فامتدت يد الصحافة لتبني صرحا يرغب في الفضيلة وينفر عما عداها. كما كان ثمة تخلف في حياة المرأة فأجمعت الصحافة على الأخذ بيدها والنهوض بها عن طريق العلم. وخيم على الحياة كلها ضباب كثيف وتقييد للحرية فرضه الحاكم والاستعمار على السواء فوجدنا نفحات قوية تحاول أن تخترق سديمه لتتنفس الحرية والحياة الحقيقية، وذلك عن طريق الإكثار من الانتقاد والمطالبة

---

[1] المقتطف، نابغة الحساب، س17، ج2 / 1893م، ص168.
[2] المقتطف، لزوم العلوم الرياضية، س11، ج2 / 1886م، ص65.
[3] المقتطف، معجم المعربات، س9، ج3 / 1884م، ص142.
[4] المقتطف، التعليم بالعربية والافرنجية، س17، ج10 / 1893م، ص673.
[5] المقتطف، مسائل واجوبتها، س20، ج1 / 1896م، ص63.
[6] المقتطف، باب الزراعة، س19، ج7 / 1895م، ص528.

بالإصلاح إلى غير ذلك مما يثبت أن الصحافة قد جاءت حية حافلة متحركة لتسهم في تنشــر الوعي والعلم والأدب والمعرفة ويكون لها دور رئيسي وأساسي في عصر النهضة في مصــر وبلاد الشام وكافة أنحاء الوطن العربي.

ثانيا - الترجمة:

واكب المهاجرون الشوام نشوء وتطور وازدهار حركة الترجمة في مصر منذ البداية، بل أنهم مثّلوا الطليعة والرواد الأوائل لهذه الحركة. فكانت لهم إسهامات بارزة يظهر أثرها في وقت مبكر يمكن تحديده مع مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر سنة 1798م، وذلك عندما احتاج الفرنسيون لعدد من المترجمين ممن يتقنون اللغتين العربية والفرنسية فكان من ضمن هؤلاء عدد من الشوام، أتى بعضهم مع الحملة نفسها، حيث تعاقد نابليون أثناء تجهيزه للحملة مع عدد من المترجمين المشرقيين المقيمين في ايطاليا كان من بينهم اثنان من أبناء بلاد الشام هما الياس فتح الله ويوسف مسابكي[1]. كما استعان الفرنسيون بعدد من الشوام المقيمين في مصر في تلك الفترة ممن يتقنون اللغتين الفرنسية والإيطالية منهم نقولا الترك، يوسف فرحات وميخائيل كحيل[2] ، بالإضافة إلى من ضمهم الجنرال مينو إلى الديوان كمترجمين عندما أعاد إنشاءه من جديد سنة 1800م وهم انطون رفائيل والياس فخر ونصر الله[3].
وقد اقتصرت أعمال هؤلاء المترجمون في ذاك الوقت على ترجمة النصوص المتعلقة بالأعمال الإدارية والعسكرية وبعض اللوائح والمنشورات للأغراض المتعلقة بالحملة الفرنسية وشؤونها المختلفة في النواحي الإدارية التي تتطلب مخاطبة المصريين باللغة العربية بالإضافة لاستعانة العلماء الفرنسيون بهم لدراسة اللغة العربية[4].

في عهد محمد علي كان من الطبيعي أن تزدهر حركة الترجمة في مصر، وذلك لحاجته إلى معرفة الأوروبيين والإطلاع على مؤلفاتهم العلمية والأدبية في سعيه لنشر الحضارة الغربية والسير بمصر نحو طريق الإصلاح والتحديث على الطريقة الأوروبية.ولهذا فقد كانت الحاجة إلى الترجمة ملحة آنذاك بحيث ازدهرت بشكل ملحوظ جعل بعض الباحثين في هذا المجال يطلقون على عصر محمد علي بأنه عصر الترجمة والتعريب [5].
وقد استخدم محمد علي أيضا المترجمين الشوام الذين كانوا فئتين: الأولى عادت إلى مصر بعد أن رحلت مع الحملة الفرنسية، والثانية هاجرت من بلاد الشام إلى مصر مباشرة لهذا

---

[1] الشيال، جمال الدين:تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، دط، القاهرة، دارالفكرالعربي، 1951م، ص55، 56.
[2] الجبرتي، عبد الرحمن: مرجع سابق، ج5، ص4؛ انظر أيضا شيخو، لويس:مرجع سابق، ج1، ص15.
[3] الرافعي، عصر اسماعيل: عصر اسماعيل، مرجع سابق، ج2، ص205؛ انظر أيضا تاجر، ج: مرجع سابق، ص13.
[4] شيخو، لويس: مرجع سابق، ج1، ص15.
[5] عبد الكريم، أحمد: تاريخ التعليم في عصر محمد علي، دط، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1938م، ص161.

الغرض[1] ، ومن المترجمين الشوام البارزين في عهده نذكر جورج فيدال واوغست سكاكيني وبوغوص بيك[2] .

وقد انحصرت أغراض الترجمة في هذه المرحلة على نقل ما عند الغرب من علم جديد ونظم وقوانين في الجيش والأسطول والمدارس والمستشفيات والإدارة الحكومية، وأيضا نقل العلوم الحديثة إلى العربية والتركية كي يسهل تدريسها في المدارس وخصوصا مدرستي الطب البشري التي تأسست سنة1827م و الطب البيطري سنة 1828م، حيث كان اغلب أساتذتها من الفرنسيين والإيطاليين الذين احتاجوا لمترجمين يتقنون العربية، فاضطلع المترجمون الشوام بهذه المهمة. نذكر منهم الأب أنطون رفاييل الذي كان قد ارتحل مع الحملة الفرنسية ثم عاد من جديد إلى مصر سنة 1816م وكلفه محمد علي وضع قاموس للغتين العربية والإيطالية تم طبعه سنة1822م، وفي السنة التالية 1823 م ترجم روفاييل كتاب آخر بعنوان " كتاب في صناعة الحرير"[3].ومن المترجمين الذين ترجموا عددا من المؤلفات العلمية في عهد محمد علي أيضا نذكر يوسف فرعون الذي نقل عن الفرنسية " رسالة في علم البيطرة " و" التحفة الفاخرة في هيئة الأعضاء الظاهرة " و" التوضيح لألفاظ التشريح " وغيرها من كتب الطب البيطري[4].

وعلى هذا لم يكن في هذا الطور أية ترجمات أدبية أو ثقافية تهدف إلى نشر الثقافة العامة بين أفراد الشعب، ولم يكن هناك أي تأثير للنصوص والكتب المترجمة على الوعي والثقافة في المجتمع المصري، فالهدف من الترجمة كان لخدمة الدولة ومشاريع التحديث التي سعى إليها محمد علي ولم تظهر في عصره ترجمات لأغراض أخرى تثقيفية أو أدبية كما هو الحال فيما بعد[5].

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت حركة الترجمة في مصر ازدهارا كبيرا وشملت ترجمة التقارير السياسية والمالية والاقتصادية، والترجمات المعدة للصحافة، والتراجم للطب والحقوق، ودخلت الترجمة كمادة تدريس في المدارس الخاصة والحكومية، وظهرت ترجمات في مختلف حقول المعرفة العلمية والأدبية.

ويظهر بوضوح مدى المساهمة الفاعلة التي قام بها المهاجرون الشوام في جميع هذه الميادين بحيث نجد أسماء عديدة منهم عملوا في مختلف حقول الترجمة. يشير جاك تاجر إلى ابرز

---

[1] الشيال، جمال الدين:مرجع سابق، ص76.

[2] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص535. انظر أيضا تاجر، جاك:مرجع سابق، 24.

[3] الشيال، جمال الدين: مرجع سابق، ص78-80.

[4] سركيس، يوسف: معجم المطبوعات العربية، ج2، دط، القاهرة، مكتبة الثقافة العربية، دت، ص1446.

[5] حمزة، عبد اللطيف: مرجع سابق، ص38.

المترجمين الشوام في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فيذكر منهم: سليمان سليمان الذي عمل مترجما في القضاء، وعيسى ندور وسعيد البستاني المترجمان بقلم الإحصاء، وحنين نعمه الخوري الذي ترجم كتاب " التحفة الأدبية في تاريخ تمدن الممالك الأوروبية " للمؤرخ الفرنسي غيزيه، وفيليب جلاد الذي كان مترجم أول محافظة القناة وأصدر قاموس الإدارة والقضاء في ستة مجلدات باللغتين العربية والفرنسية، والذي اشتمل على قوانين الحكومة المصرية [1].

وظهر في مجال ترجمة العلوم عدد من المترجمين الشوام كان لهم اثر واضح في نقل مجموعة كبيرة من المؤلفات العلمية، منهم يوحنا عنحوري الذي ترجم عن الفرنسية كتاب " منتهى الأغراض في علم شفاء الأمراض " لبروسيه وسانسون، وكذلك ترجم محمد لاز الذي كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية كتاب " مرشد البياطرة في هيئة الخيول الظاهرة " [2].

لكن الإسهام الأبرز للمترجمين الشوام كان في ميدان الترجمة الأدبية، حيث اضطلع المهاجرون بعبء ترجمة الأعمال الأدبية العالمية لمشاهير الأدباء والكتاب وخصوصا في اللغتين الإنجليزية والفرنسية مثل شكسبير، كورنيل، اسكندر دوماس، راسين، فيكتور هيجو وبيير زيكون وغيرهم[3].

وممن كانت لهم بصمات واضحة في الترجمة الأدبية من الشوام في مصر نذكر سليم النقاش الذي اهتم بترجمة الروايات والقصص العالمية التي كان يقوم بترجمتها لتمثل بعضها فرقته المسرحية التي أتى بها إلى مصر، فعن الفرنسي كورني ترجم مسرحية "كاميل" باسم "مي"، وتعتبر هذه الترجمة من أقدم أعمال المهاجرين الشوام في ميدان الترجمة الأدبية[4]، ولسليم النقاش قصة أخرى مترجمة عن الفرنسي بييرزكون بعنوان "الانتقام" طبعت في مصر سنة 1880م، واشترك معه في ترجمتها أديب اسحق الذي كان يتولى سنة 1882م إدارة الترجمة والتحرير في قلم الإنشاء التابع لنظارة المعارف المصرية[5]. ونجد لأديب اسحق هو الآخر روايتين مترجمتين عن الفرنسية، الأولى بعنوان "أندروماك" والثانية بعنوان "شارلمان " حيث طبعتا في سنة 1886م[6].

---

[1] تاجر، جاك:مرجع سابق، ص57-59.
[2] النابلسي، شاكر:مرجع سابق، ص439.
[3] المقدسي، أنيس:الفنون الادبية، مرجع سابق، ص537.
[4] نجم، محمد:المسرحية في الادب العربي الحديث، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1980م، ص204.
[5] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص613.
[6] شيخو، لويس: مرجع سابق، ج2، ص261.

ومن المترجمين البارزين أيضا نجيب الحداد الذي عمل صحافيا في الأهرام حتى سنة 1894م ثم انشأ جريدة لسان العرب بالإسكندرية.[1] ولنجيب الحداد ترجمات أدبية عديدة من روايات ومسرحيات وقصص . وكان صاحب نشاط ملحوظ في فن ترجمة الروايات حيث ترجم عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية لمشاهير الكتاب فيهما واسهم في تعريف القراء على أعمالهم، فقد ترجم عن شكسبير الإنجليزي مسرحية "روميو وجوليت"، اسماها "شهداء الغرام"، وعن كورني الفرنسي مسرحية "سينا أو عدل قيصر" ترجمها باسم "حلم الملوك"، هذا إلى جانب ترجمات أخرى عديدة تمكن الحداد خلالها من سد بعض النقص الذي كانت تعاني منه الحركة المسرحية المصرية الوليدة التي كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الأعمال الأدبية المترجمة[2].

ومن الترجمات الأدبية الهامة في هذه الفترة كانت ترجمة سليمان البستاني لـ "إلياذة هوميروس" إلى اللغة العربية حيث نقلها شعرا لأول مرة سنة 1903م، كما نقل وديع البستاني " رباعيات الخيام" من الفارسية إلى العربية وأخرجها للقراء سنة 1912م [3]، وترجم خليل مطران عن شكسبير مسرحية "عطيل" سنة 1912م[4].

وبالإضافة للترجمات الأدبية خاض فرح انطون غمار القصص الفلسفية. حيث ترجم عن برناردان بيير الفرنسي قصة " بولص وفرجيني "وهي قصة تحاول البحث عن مكان السعادة الحقيقية، وممن خاضوا هذا الميدان أيضا محمد كرد علي حيث كلفته مجلة مسامرات الشعب أن يترجم لها بعض القصص منها " الفضيلة والرذيلة " والمجرم البريء التي صدرت في أربعة أجزاء[5].

لقد أسهمت أعمال المهاجرين في ميدان الترجمة في نقل المعرفة وتحريك القضايا الفكرية وتوسيع آفاق ومدارك الناس، كما كان لترجماتهم دور في النهضة الأدبية من خلال نقل فنون وآداب الشعوب الأخرى. ولا شك أن هذه الترجمات قد أثرت في الأسلوب العربي وفي إثراء وتنشيط الميدان الشعري والأدبي وتطوير أساليب النظم وطرق التصور الشعري، فأصبح الشعراء يستنكفون عن القيود التي كان أسلافهم مقيدين فيها من حيث الاستهلال والتخلص من

---

[1] الغضبان، عادل: الشيخ نجيب الحداد1867-1899م، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1957م، ص34.

[2] نجم، محمد: مرجع سابق، ص208، 209.

[3] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص572.

[4] مندور، محمد: محاضرات عن خليل مطران، دط، دم، معهد الدراسات العربية، 1954م، ص199.

[5] مصطفى، شاكر: محاضرات عن القصة في سوريا، ط1، بيروت، معهد الدراسات العربية، 1975م، ص59، 60.

الجناس والمنهج التقليدي في النظم الذي كان غالبا في ذلك الوقت[1]، كما أثرت الترجمة في الأسلوب العربي فيما يختص بإدخال الأساليب الأعجمية عليه. يقول زيدان " إن أسلوب الإنشاء العصري تطرق إليه تراكيب أعجمية اقتبسها الكتاب من اللغات التي ينقلون عنها او يطالعونها " [2] ، وقد لفت هذا الأمر أنظار الكتاب إلى النظر فيما هو أصيل أو دخيل في العربية ومن هنا نشأت البذور الأولى لفكرة إنشاء مجمع لغوي عربي والذي كانت بداياته سنة 1897م في بيت محمد البكري وأسندت وكالته للشيخ محمد عبده[3].

كما كان لهذه الترجمات اثر من حيث الاهتمام بالمضمون والمعنى لا بتحسين الألفاظ ومن هنا تجرد الأسلوب العربي على يد التراجمة من المبالغات والخيالات والسجع، يقول أنيس المقدسي: " ليس من ينكر عمق التاثير الذي أحدثته الترجمة في أدبنا، فاهم كتابنا اليوم يعكسون لنا اثر الغرب في اختيار موضوعاتهم وطريقة معالجتهم لتلك الموضوعات، فقد ظل المذهب الكلاسيكي التقليدي سائدا في الأدب العربي حتى أتيح له الاتصال بالآداب الغربية، فصحا من غفوته ونفض عنه تدريجيا غبار التقليد والتقيد اللفظي والمعنوي وأشرق عليه عصر نهضة جديدة "[4].

ولم تقتصر الاستفادة من الترجمة على اللغة فحسب بل تعدت القيمة المعرفية لها لتشمل حقول عدة في ميادين السياسة والاقتصاد والعلم تمثلت بنقل الأفكار السياسية والنظريات والمذاهب الاقتصادية والنظريات العلمية والفنون الحربية والبحرية والصناعية والزراعية وسائر المجالات التي أفادت الحركة النهضوية آنذاك[5]

---

[1] زيدان، جرجي: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج4، ص569.

[2] المرجع نفسه، ج4، ص608.

[3] تاجر، جرجي: مرجع سابق، ص156.

[4] المقدسي، أنيس: الاتجاهات الادبية، مرجع سابق، 151.

[5] زيادة، نقولا: شاميات، مرجع سابق، ص204.

ثالثا - التمثيل المسرحي:

دخل فن التمثيل المسرحي إلى مصر مع الحملة الفرنسية سنة 1798م، وعلى الرغم من كونه بقي محصورا في بعض الأعمال المسرحية للترويح عن الجنود الفرنسيين[1]، إلا انه مهد الطريق لنشأة هذا الفن فيما بعد حيث شهد عصر محمد علي قدوم عدة فرق مسرحية أجنبية لتقديم عروضها في مصر كانت موجهة بالدرجة الأولى للأجانب المقيمين فيها ، فساهمت بدورها في استمرار الحركة المسرحية التي بقيت مقتصرة على الفرق الأجنبية الإيطالية والفرنسية[2]حتى سنة 1870م حينما أسس المصري يعقوب صنوع* أول مسرح محلي برعاية وتشجيع الخديوي إسماعيل ، ولكنه لم يستمر طويلا إذ صدر أمر من الخديوي بإغلاقه في سنة 1878م بعد أن قدّم صنوع مسرحية ساخرة هاجم فيها تعدد الزوجات في مصر[3].

على أنه يمكن القول أن نمو وازدهار فن التمثيل المسرحي في مصر اعتمد بشكل رئيسي على جهود مجموعة من الفرق التمثيلية الشامية التي هاجر أعضاؤها إلىمصر وبدأوا نشاطهم من هناك، من أمثال سليم النقاش، يوسف خياط، سليمان القرداحي، أبو خليل القباني وجورج ابيض[4]. وكانت جهود هؤلاء ذات شقين الأول من خلال ترجمة الأعمال المسرحية كما مر معنا، والثاني من خلال تأسيسهم للفرق المسرحية التي عملت على عرض تلك المسرحيات وتعريف المصريين بهذا الفن.

يقول شوقي ضيف عن توافد الفرق التمثيلية الشامية إلى مصر:" لم تلبث الفرق التمثيلية السورية واللبنانية أن وفدت إلى ديارنا وأنشأت لها مسارح في الإسكندرية ثم القاهرة، وكانت هذه الفرق تمثل روايات فرنسية بحيث تلائم النظارة ويتذوقها الجمهور ويجد فيها متعة"[5]

---

[1] الرافعي، عبد الرحمن: تاريخ الحركة القومية، مرجع سابق، ج1، ص144.

[2] لنداو، يعقوب: دراسات في المسرح والسينما عند العرب، ترجمة احمد الغازي، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م، ص 10، 11.

* كاتب مصري ولد في القاهرة سنة1839م.أصدر صحيفة أبو نظّارة سنة 1877م،انتقل إلى باريس وتابع اصدار صحيفته من هناك حتى توفي سنة1912م.انظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج8،ص198.

[3] عوض، لويس:مرجع سابق، ص276.

[4] المقدسي، أنيس:الفنون الادبية، مرجع سابق، ص536.

[5] ضيف، شوقي:مرجع سابق، ص203.

وكانت أول فرقة مسرحية من بلاد الشام قد وفدت قبل إغلاق مسرح يعقوب صنوع بسنتين وهي" فرقة سليم النقاش" [1] الذي مر ذكره في تناولنا للترجمة حيث عمل على ترجمة بعض الأعمال المسرحية لتقوم فرقته التي قام بجلب أعضائها من بلاد الشام بعرضها. فقدمت العديد من المسرحيات على مسرح زيزينيا في الإسكندرية منها مسرحية " أبو الحسن المغفل " ومسرحية " السليط الحسود " و "مي " و " الكذوب" و "الظلوم "[2].

وقد انسحب سليم النقاش من الفرقة بعد سنة من تواجدها في مصر وأصبح يهتم بالترجمة ومن ضمنها ترجمة المسرحيات لهذه الفرقة التي أصبحت تعرف باسم "فرقة يوسف الخياط"، حيث استمرت بتقديم العروض المسرحية في الإسكندرية حتى سنة 1878م [3] ثم انتقلت إلى القاهرة وأقامت فيها لتبدأ بعرض مسرحياتها على دار الأوبرا المصرية بإيعاز من الخديوي إسماعيل الذي حضر عددا من عروضها [4]. وكان لانتقالها إلى القاهرة أن أدت إلى جذب عدد من المصريين لمتابعة أعمالها المسرحية فساهمت في التعريف بهذا الفن بدرجة كبيرة.

أما الفرقة التي كان لها الدور الأهم في إيصال الفن المسرحي لأكبر عدد من شرائح المجتمع المصري، فكانت" فرقة سليمان القرداحي" الذي انفصل عن يوسف الخياط في سنة 1882م وألف فرقة في الإسكندرية عرفت باسمه، وضمت لأول مرة ممثلين من الشوام والمصريين على السواء. وقد استهل عروضه بمسرحية شهدها الخديوي توفيق وكبار رجالات الدولة منهم رئيس الوزراء أحمد عرابي ورئيس مجلس الأمة سلطان باشا وبعض قناصل الدول الأجنبية[5]. ولاقت هذه الفرقة نجاحا كبيرا فكان الخديوي والعديد من الوزراء والأعيان يداومون على حضور عروضها من فترة لأخرى ويقدمون لها الدعم لمواصلة نشاطها وعرض مسرحياتها في باقي المدن المصرية[6]. ففي سنة 1887م قدمت لها الحكومة إعانة قدرها 400 جنيه مصري لتقوم بجولة في عدد من المدن المصرية، فقامت بعرض مسرحياتها في دمنهور وحلوان وطنطا والزقازيق والمنصورة والمحلة الكبرى[7] ، وفي سنة 1894م أقام سليمان القرداحي مسرحه الخاص في الإسكندرية بعد أن منحته الحكومة قطعة

---

[1] رشيد، فؤاد: تاريخ المسرح العربي، دط، القاهرة، دار التحرير للنشر، 1960م، ص20.
[2] نجم، محمد:مرجع سابق، ص98.
[3] المرجع نفسه، ص104.
[4] الرافعي، عبد الرحمن:عصر إسماعيل، مرجع سابق، ج1، ص290.
[5] نجم، محمد: مرجع سابق، ص108.
[6] عبد العليم، عادل، دور الهجرة اللبنانية في ازدهار المسرح المصري، المستقبل العربي، س13، ع141، تشرين ثاني- نوفمبر / 1990م، ص 77.
[7] عبد العليم، عادل: مرجع سابق، ص 78.

ارض على شاطيء البحر ليوسع من نشاطه المسرحي ، فقام لهذا الغرض بجلب عدد آخر من الممثلين من بيروت ودمشق ، وابتدأ موسمه في مسرحه الجديد بمسرحية " الصراف المنتقم " وهي معربة عن مسرحية " تاجر البندقية " لشكسبير وقد استمرت هذه الفرقة حتى سنة 1909م حيث توفي سليمان القرداحي أثناء زيارة كان يقوم بها لعرض مسرحياته في تونس[1]. وعلى الرغم من دورها في تعريف المصريين فن المسرح والشهرة الواسعة التي حظيت بها فرقة سليمان القرداحي إلا أن أعمالها المسرحية كما يقول محمد يوسف نجم كانت تتسم بالضحالة الفكرية وباحتواء اغلب فقراتها على الغناء والموسيقى، كما أن أعضاءها لم يكونوا في الغالب من أصحاب المواهب الفنية الحقيقية[2].

ويبدو أن التمثيل المسرحي وانتشار الفرق المسرحية والتي كانت في غالبيتها من الشوام المهاجرين إلى مصر كفرقة أبو خليل القباني التي تأسست سنة 1884 م وفرقة اسكندر فرح 1891م[*] لم يؤد إلى تطور هذا الفن بشكل حقيقي إلا بعد سنة 1910م حينما اكتسب فن المسرح المصري بعدا جديدا على يد أحد المهاجرين الشوام وهو جورج أبيض[**]. فقد هاجر جورج أبيض إلى الإسكندرية في سنة 1898م ثم أرسل في بعثة لدراسة فن المسرح إلى فرنسا في سنة 1904م، وحين عاد إلى مصر في سنة 1910م بدا بتقديم العروض المسرحية القائمة على التخصص والدراسة العلمية لفن المسرح، واختيار الممثلين من ذوي المواهب الحقيقية الذين كان يختارهم بعد إخضاعهم للاختبار العملي[3] ، كما استعان لأول مرة بممثلات في عروضه المسرحية جميعهن من الشاميات المهاجرات إلى مصر، وقدمت فرقته عددا من المسرحيات القوية التي نالت استحسان الجمهور منها مسرحية " اوديب ملكا " لسوفوكليس التي ترجمها فرح انطون، ومسرحية "عطيل" لشكسبير من ترجمة خليل مطران ، كما عرض في سنة 1912م أول مسرحية شعرية عربية بعنوان " جريح بيروت " وهي من تأليف الشاعر حافظ إبراهيم فاجتذب بذلك أعدادا متزايدة من المثقفين الذين لم يكونوا يرتادون المسرح من

---

[1] نجم، محمد:مرجع سابق، ص111، 112.

[2] المرجع نفسه، ص450.

[*] من الفرق المسرحية والتي كانت في غالبيتها من الشوام المهاجرين الى مصر الجوق الوطني المصري برئاسة سليمان الحداد تاسست في سنة 1887م وجوق السرور الوطني لميخائيل جرجس 1889م والجوق الدمشقي لنقولا مصابني سنة 1895م.انظر نجم،محمد : مرجع سابق ،ص 168-172.

[**] من رواد المسرح في مصر .ولد في بيروت سنة1880م.وهاجر إلى مصر ليرسي دعائم النهضة المسرحية على أسس عصرية .أنظر ألزركلي،خير الدين:مرجع سابق،ج2،ص144.

[3] ضيف، شوقي: مرجع سابق، ص214.

قبل لما كان يتسم به من ضحالة فكرية وألفاظ ركيكة ممجوجة، كما أدخل اسكندر فرح الموسيقى في مسرحه وكان لديه اوركسترا مكونة من ثلاثين عازفا يقومون بعزف المقدمة ومقطوعات بين الفصول وبمصاحبه أحداث المسرحية التي تقتضي تأثيرات موسيقية[1].

ومما قدمه جورج أبيض للفن المسرحي في مصر أنه عمل على إخراج مسرحياته على أسس تخطيطية مرتبة فكان هناك توزيع عام للمسرحية لا يخرج عنه الممثلون وأصبح للمخرج الدور الأهم والأبرز في العمل المسرحي، بالإضافة إلى هذا ظهر بفضله الممثلون المحترفون الذين يتقاضون مرتبات ثابتة[2].

وقد نجح جورج ابيض في القفز بالمسرح المصري إلى آفاق أرحب، وظهرت فرق مسرحية عديدة متأثرة بما أضافه للحركة المسرحية فأصبح للمسرح أغراضا تثقيفية وتربوية من خلال عرضه للقضايا الاجتماعية والفكرية والأدبية هذا فضلا عن تنشيطه للتأليف الأدبي حيث عمل عدد من الأدباء والكتاب على تأليف النصوص الشعرية والنثرية لتقوم الفرق المسرحية بتمثيلها فكان المسرح من وسائل نشر المعرفة والوعي الثقافي في مصر[3].

---

[1] عبد العليم، عادل: مرجع سابق، ص77، 78.

[2] المرجع نفسه، ص79.

[3] المرجع نفسه، ص79.

رابعا -الطباعة ونشر الكتب:

غني عن القول أن الطباعة كانت من عوامل بلورة النهضة الفكرية واتساع الاستنارة في مصر وباقي أرجاء الوطن العربي، إذ أسهمت بقسط وافر في التحولات الفكرية والاجتماعية ومثلت تحولا جذريا في المجتمع بمساهمتها في الانفتاح على العلوم والآداب والثقافات من خلال عملية نشر المؤلفات والكتب العربية التراثية واللغوية والتاريخية، فضلا عن الكتب الأجنبية المترجمة والصحف والمجلات.

وقد دخلت المطبعة إلى مصر مع الحملة الفرنسية حينما جلب نابليون مطبعة صغيرة لطبع منشوراته وأوامره باللغة العربية [1]، وفي عهد محمد علي أنشا مطبعة بولاق سنة 1821م وعهد بإدارتها لنقولا مسابكي وهو من الشوام المقيمين في مصر آنذاك حيث استمر في إدارة المطبعة حتى وفاته سنة 1830م [2].ثم تبعتها بعض المطابع الملحقة بالمدارس العليا وإدارات الجيش كمطبعة مدرسة الطب سنة 1827م ومطبعة الطوبجية سنة 1831م [3].

بقيت الطباعة في مصر مقتصرة على الحكومة حتى سنة 1859م حينما ظهرت أول مطبعة أهلية أسسها احد المهاجرين الشوام ويدعى مصطفى الحلبي أطلق عليها اسم " المطبعة الميمنية " [4]، وقد عنيت هذه المطبعة بطبع الموسوعات والكتب التراثية الأدبية والدينية ذات الأجزاء المتعددة مثل" شرح نهج البلاغة " لابن أبي الحديد ، " وديوان عمر بن أبي ربيعة " الذي طبع سنة 1893م ، و " مسند الإمام احمد بن حنبل " الذي طبع في ستة أجزاء من القطع الكبير سنة 1895م ، وكذلك " تفسير الطبري " وبهامشه " تفسير النيسابوري المسمى غرائب القران ورغائب الفرقان " في واحد وثلاثين جزءا سنة 1900م [5].

ويظهر دور المهاجرين الشوام في ميدان الطباعة ونشر الكتب التي أسهمت في زيادة الوعي والمعرفة بشكل واضح من خلال المطابع التي أسسوها كتعبير عن حاجتهم إلى طبع صحفهم ومجلاتهم، والتي امتدت خدماتها فيما بعد لتعمل على نشر الكتب والمؤلفات على غرار المطبعة الميمنية، وقد عكس ذلك بتأثيره الايجابي الذي تمثل في تنشيط الحركة الأدبية

---

[1] الرافعي، عبد الرحمن: تاريخ الحركة القومية، مرجع سابق، ج1، ص 139.
[2] صابات، خليل: تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دط، القاهرة، دار المعارف، 1966م، ص 156.
[3] المرجع نفسه، 166.
[4] الطناجي، محمود.(تشرين الاول 1995). اوائل المطبوعات العربية في مصر، بحث قدم في ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1، ص389.
[5] المرجع نفسه، ص389.

والفكرية وسرعة عملية إصدار وانتشار المؤلفات والكتب وتعريف القراء على أمهات المؤلفات العربية من أدبية وعلمية وتاريخية وسياسية ودينية وغيرها[1] ، وساهم الشوام كذلك في تطوير أساليب الطبع والإخراج لامتلاكهم الخبرات والمعارف التقنية التي جلبوها إلى مصر من بلادهم[2].

كانت أولى مطابع الصحف الشامية في مصر مطبعة الكوكب الشرقي التي قامت بنشر كتاب " المفصل " للزمخشري في سنة 1874م، أما مطبعة الأهرام فظهرت سنة 1875م حين أنشاها سليم تقلا في الإسكندرية لطبع جريدته، ومن المؤلفات التي طبعتها " ديوان أبي الحسن التهامي " سنة 1893م[3]. وفي سنة 1884م أنشأ عزيز الزند مطبعة جريدة المحروسة في القاهرة واهتمت إلى جانب طباعة الجريدة بنشر الكتب التراثية ككتاب أبي العلاء المعري " لزوم ما لا يلزم " سنة 1891م، و" فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان للواقدي "، و" ديوان ابن المعتز " في العام نفسه.كما نشر أحمد فارس الشدياق في هذه المطبعة قاموس ابن منظور "لسان العرب"الذي كان له قيمة كبيرة في تلك الآونة فيما يخص خدمة اللغة العربية وآدابها[4].

وكان لمطبعة التأليف التي أسسها جرجي زيدان ونجيب متري سنة 1889م والتي أصبحت باسم مطبعة الهلال بدءا من سنة 1892م دور في نشر الكثير من الكتب والمؤلفات لرجالات الفكر والأدب في مصر وبلاد الشام بالإضافة لمؤلفات زيدان التاريخية والأدبية المتنوعة[5].

وفي سنة 1885م هاجر شاهين مكاريوس إلى مصر لينشيء مع يعقوب صروف وفارس نمر مطبعة المقتطف لطبع المجلة التي تحمل نفس الاسم[6]، كما أسس يوسف أصاف المطبعة العمومية التي طبعت كتبا دينية وتاريخية وأدبية مثل "الإعجاز بالإيجاز "لأبي منصور الثعالبي 1897م و" فضائل الأتراك " للجاحظ سنة 1898م و " ديوان أبي نواس " في نفس السنة[7].

ومن المطابع الشامية التي كان لها إسهاما رائدا في ترقية فن الطباعة العربية والنهوض بها إلى مصاف الطباعة الأوروبية مطبعة المعارف ومكتبتها التي أنشاها نجيب متري في سنة 1890م[8]، وقد جذبت هذه المطبعة عددا من الأدباء والمؤلفين المعروفين في تلك الفترة من

---

[1] شيخو، لويس:مرجع سابق، ج1، ص48.
[2] صابات، خليل:مرجع سابق، ص160.
[3] الطناجي، محمود:مرجع سابق، ص405.
[4] صابات، خليل:مرجع سابق، ص 198.
[5] الهلال، قائمة مكتبة الهلال بمصر، س7، ج13، 15تموز – يوليو / 1899م، ص400.
[6] صابات، خليل:مرجع سابق، ص241.
[7] سركيس، يوسف: مرجع سابق، ج1، ص1.
[8] المرجع نفسه، ج2، ص1847.

أمثال خليل مطران وحافظ إبراهيم ومصطفى لطفي المنفلوطي وقاسم أمين [1] ، وكذلك الحال مع المطبعة الشدياقية التي أنشاها خليل الشدياق في سنة 1894م، ومطبعة المنار 1898م حيث نشر رشيد رضا من خلالها الكثير من كتبه والكتب التاريخية والأدبية والدينية مثل " تفسير ابن كثير " ، "دلائل الإعجاز " ، "أسرار البلاغة " للشيخ عبد القادر الجرجاني، و"شرح عقيدة السفاريني " لابن قدامة وكان هذا سنة 1904م.[2]

---

[1] صابات، خليل: مرجع سابق، ص 230.

[2] سركيس، يوسف:مرجع سابق، ج1، ص936؛ انظر أيضا الطناجي، محمود: مرجع سابق، ص403.

خامسا - الجمعيات العلمية والأدبية:

أسس المهاجرون الشوام العديد من الجمعيات التي اعتبرت مظهرا بارزا من مظاهر النهوض الثقافي بما قدمته من خدمة للأدب والعلم آنذاك، ومن تلك الجمعيات جمعية رواق الشام التي تأسست سنة 1873م وهي جمعية علمية خطابية اهتمت بتطوير الخطابة والشعر والأدب وأقامت العديد من الندوات التي دعي إليها الأدباء والشعراء [1]. وتأسست كذلك جمعية الاعتدال سنة 1886م على يد عدد من الأدباء والكتاب الشوام منهم جرجي زيدان وشبلي شميل وفارس نمر ويعقوب صروف[2] وكان الغرض منها بث روح الفضيلة وترقية الأخلاق والتمرن على الخطابة في الموضوعات الاجتماعية وهي مشابهة لجمعية شمس البر في بيروت والجمعية العلمية في الجامعة الأمريكية[3].

ومن الجمعيات أيضا نذكر الجمعية الأدبية السورية التي تأسست سنة 1895م وكانت ملتقى للمثقفين والأدباء الشوام وغيرهم من مصريين وأوروبيين، وكذلك تأسست جمعية الاتحاد السوري سنة 1914م وكان غرضها جمع كلمة الشوام في مصر والنظر في مصالحهم، وتمتين علاقاتهم مع المصريين وسائر الجاليات المقيمة في مصر وكان من ضمن نشاطاتها عقد الاجتماعات والندوات الأدبية[4].

والى جانب هذه الجمعيات أنشأ الشوام عدد من النوادي الأدبية منها النادي الشرقي سنة 1898م، وكان الغرض منه في البداية أن يكون جمعية أدبية على غرار جمعيات بيروت ثم عدل مؤسسوه عن ذلك فجعلوه ناديا يجتمع أعضاؤه للمطالعة والمسامرة، وكان يضم خيرة المثقفين الشوام وعقدت فيه العديد من الحفلات العلمية التي حضرها كبار الأدباء.[5]

واشتهر صالون مي زيادة الأدبي الذي كان يقصده كبار رجالات الأدب والفكر والفن في مصر منهم يعقوب صروف، شبلي شميل، لطفي السيد، أحمد شوقي، إسماعيل صبري، ولي

---

[1] زيدان، جرجي:تاريخ اداب، مرجع سابق، ج4، ص442.

[2] طرازي، فيليب: مرجع سابق، مج1، ج2، ص140.

[3] زيدان، جرجي:تاريخ اداب، مرجع سابق، ج4، ص444.

[4] المرجع نفسه، ص447.

[5] المرجع نفسه، ص446.

الدين يكن، خليل مطران، أنطون الجميل، طه حسين، عباس العقاد وعبد الـــرحمن الرافعـــي وغيرهم [1].

وقال العقاد عن أهمية صالون مي زيادة وما أفاد به الحركة الثقافية والفكرية آنذاك أنـــه لـــو جمعت الأحاديث التي دارت في صالون مي لتألفت منها مكتبة تقابل مكتبة العقد الفريد ومكتبة الأغاني في الثقافتين الأندلسية والعباسية[2]

أما جمعيات التمثيل فقد كانت نشاطاتها تهتم بعقـــد الاجتماعـــات لدراســـة الروايـــة وإلقـــاء المحاضرات وتدريب الراغبين في التمثيل ومن تلك الجمعيات التي أسســـها الشـــوام: جمعيـــة الترقي الأدبي، شركة التمثيل الأدبي، جمعية السراج المنير، جمعية الإنفـــاق وجمعيـــة ترقـــي التمثيل العربي[3].

---

[1] كحالة، عمر: أعلام النساء، مرجع سابق، ج5، ص5.

[2] ألمقدسي، أنيس:الفنون الأدبية، مرجع سابق، ص468.

[3] نجم، محمد:مرجع سابق، ص178-180.

-خاتمة:

تستقيم الرؤيا حول الهجرة الشامية إلى مصر انطلاقا من البدايات الأولى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث كان قرار الهجرة منسجما مع طبيعة الأوضاع والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تفاعلت فيما بينها لتؤدي في المحصلة إلى حالة انعدام الأمن والاستقرار وتدهور الأوضاع المعيشية مما أدى إلى الهجرة.

وكانت الهجرة إلى مصر مدفوعة بما تمتعت به آنذاك من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية قادرة على الإيفاء بمتطلبات المهاجرين وسعيهم لحياة مستقرة وآمنة، حيث قطعت الدولة الخديوية شوطا كبيرا في عملية الإصلاح والتحديث أدت فيما أدت إليه إلى فتح آفاق العمل والتوظيف وفرص الاستثمار للمهاجرين، ساعد على ذلك تغلغل الرساميل الأجنبية في مصر بعد افتتاح قناة السويس وازدهار حركة التجارة العالمية المارة عبر القناة . كما أدى الاحتلال الإنجليزي لمصر بدوره إلى استقطاب فئات من المهاجرين الذين احتاجتهم الدوائر الإنجليزية المختلفة كموظفين ومترجمين وأطباء وإداريين في مختلف المؤسسات المدنية والعسكرية.

وشملت الهجرة كافة الشرائح الاجتماعية في كافة أنحاء بلاد الشام، مع ملاحظة أن الغالبية العظمى من المهاجرين إلى مصر كانوا من المسيحيين القاطنين في مدن جبل لبنان ودمشق وحمص وحلب. على انه لم يكن هناك ما يميز المهاجرين تبعا للمنطقة الجغرافية التي هاجروا منها، فكان يطلق عليهم جميعا لقب الشوام باعتبارهم قادمين من الولايات الشامية التابعة للدولة العثمانية آنذاك.

ولم تقف طوائف المهاجرين وديانتهم عائقا أمام اندماجهم في المجتمع المصري الذي تميز بالثبات والاستقرار وقدرته على استيعاب الوافدين إليه ودمجهم في بوتقته، كما إن انعدام عناصر الفرقة بين أبناء المجتمع المصري على عكس ما ابتلي به الشوام في بلادهم أسهم في زيادة التفاعل بين الطرفين وإرساء دعائم علاقات متينة بعيدة عن تأثيرات الانقسامات الطائفية أو العرقية. ولعل السياسة المتسامحة للدولة الخديوية تجاه الطوائف المسيحية المختلفة كان لها دور في تحقيق السلام الاجتماعي بين مختلف أبناء الديانات في مصر. كما كان للعادات الشرقية المتقاربة والتاريخ المشترك بين الشوام والمصريين دور هام في سهولة الالتقاء بين الطرفين، وانعكس هذا على طبيعة الحياة التي عاشها الشوام في مصر، حيث تمكنوا من نسج

علاقات اجتماعية قوية مع المصريين ومن تحقيق حضور اقتصادي على نطاق واسع من خلال الأعمال التجارية والزراعية والصناعية والاستثمارات في مختلف القطاعات الاقتصادية، فضلا عن توفر فرص العمل والتوظيف في مختلف الشركات والبنوك والمؤسسات الخاصة والحكومية، وبرز من بينهم عدد كبير من الأغنياء الذين تمتعوا بغنى فاحش أهلهم لنسج علاقات وطيدة مع النخبة الحاكمة في مصر، كما واصل النشطاء السياسيون منهم محاولاتهم الإصلاحية التي كانوا قد ابتدأوها في بلاد الشام، مستغلين ما تمتعت به مصر من مناخ الحرية والاستقرار السياسي، ومتخذين من أقلامهم ومؤلفاتهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات التي أنشأوها في مصر منبرا للتعبير عن آراءهم ومواقفهم واتجاهاتهم السياسية، بالإضافة لتأسيسهم عددا من الأحزاب والجمعيات السياسية التي مارسوا من خلالها نشاطهم السياسي المتعلق بمستقبل بلاد الشام.

كما اهتم الشوام في مصر بمختلفالقضايا التي كانت تشغل المصريين ؛ السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وقدموا إسهامات بارزة في مختلف الحقول المعرفية، فكان دورهم طليعي في حقول الصحافة والترجمة والطباعة ونشر الكتب والجمعيات العلمية والأدبية والحركة المسرحية، ولمعت منهم أسماء عديدة قدمت خدمات جليلة للعلم والفكر والأدب لا تزال تأثيراتها ماثلة إلى الآن من أمثال جرجي زيدان، شبلي شميل، أديب اسحق، بشارة تقلا، فرح انطون، رفيق جبور، سليم النقاش، عبد الرحمن الكواكبي، محمد رشيد رضا، فارس نمر، يعقوب صروف، خليل مطران، داود بركات، هند نوفل ومي زيادة، وغيرهم مئات ممن ساهموا في حركة النهضة بمختلف حقولها المعرفية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا ـ الوثائق غير المنشورة:

1- سجلات بطريركية الروم الكاثوليك- شبرا \القاهرة:

- **سجل العماد رقم 17 ـالقاهرة(1879-1893م)**
- **سجل العماد رقم21 ـالإسكندرية(1856-1884م)**
- **سجل الزواج رقم 34-القاهرة(1874-1914م)**
- **سجل الزواج رقم 52-المنصورة(1864-1914م)**

2- سجلات كنيسة الروم الأرثوذكس السوريين ـالإسكندرية:

- **رزنامة المعمودية الثالثة(1893-1914).**
- **رزنامة الخطوبات الشرعية الأولى(1905-1915)**
- **دفتر بيان الوفيات الأول (1895-1915)**

ثانيا-الوثائق المنشورة:

1- الخازن، فيليب وفريد: **مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان 1840-1910م**، 3ج، دط، جونية: مطبعة الصبر1910م.

2-رستم، أسد:

- **الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا**، 4مج، ط2، بيروت: المكتبة البوليسية 1987م.

- **المحفوظات الملكية المصرية، بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير**، المطبعة الامركانية، 4 مج، بيروت 1940-1943م.

3-سويد، ياسين: **تقارير ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا 1860-1861م**، ط1، بيروت: شركة المطبوعات للنشر 1992م.

4- ضو، أنطوان: **حوادث 1860 في لبنان ودمشق، لجنة بيروت الدولية، المحاضر الكاملة 1860-1862م**، 2ج، ط1، بيروت: مؤسسة مختارات 1996م.

ثالثا - المصادر:

1-أبكاريوس، اسكندر: **نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان**، تحقيق عبد الكريم السمك، ط1، بيروت: دار رياض الريس 1987م.

2-أبو شقره، يوسف: **الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية**، تحقيق عارف أبو شقره، دط، دم: دن، دت

3-اسحق، أديب: **الكتابات السياسية والاجتماعية**، جمع وتقديم ناجي علوش، ط2، بيروت: دن 1982م.

4- البستاني، سليمان: **عبره وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**، تحقيق خالد زيادة، ط1، بيروت: دار الطليعة 1978م.

5-تشرشل، تشارلز: **بين الدروز والموارنة في ظل الحكم التركي 184-1860م**، ترجمة فندي الشعار، دط، دم: دار المروج 1984م.

6-التميمي، محمد، ومحمد بهجت: **ولاية بيروت**، ج2، ط3، بيروت: دار لحد خاطر 1987م

7- الجبرتي، عبد الرحمن:**عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق حسن جوهر، ج7، ط1، القاهرة: مطبعة البيان العربي 1967م

8- دروزة، محمد: **مذكرات محمد عزت دروزة1887-1984م**، ج6، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1993م.

9- الرافعي، عبد الرحمن:

- **تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر**، 2ج، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية1958م.

- **عصر إسماعيل**، 2ج، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1982م.

10- رضا، محمد رشيد:

-**تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده**، دط، القاهرة: مطبعة المنار 1906م

- **رحلتان إلى سورية 1908-1920م**. تحرير وتقديم زهير ظاظا، ط1، بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2001م.

11- الرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل: **كتاب اليوبيل القرني الثاني 1745-1945م**، دط، القاهرة: دن 1947م.

12- زخورا، إلياس: **السوريون في مصر**، 2ج، ط1، القاهرة: المطبعة العربية1927م.

13- زيدان، جرجي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، 4ج، دط، بيروت: دار مكتبة الحياة 1983م.

14- شميل، شبلي: **كتابات سياسية وإصلاحية**، ط1، بيروت: دار الحمراء 1991م.

15- شيخو، لويس:**تاريخ آداب اللغة العربية 1800-1925م**، 3ج، ط3، بيروت:دار المشرق 1991م.

16- طرازي، فيليب: **تاريخ الصحافة العربية**، 4ج، دط، بيروت: المطبعة الأدبية 1913م.

17-عبد الحميد الثاني: **مذكراتي السياسية 1891-1908م**، ط2، بيروت:مؤسسة الرسالة 1979م

18- قرألي، بولس:**السوريون في مصر**، 2ج، دط، القاهرة: المطبعة السورية 1928م.

19-كرد علي، محمد:

- **خطط الشام**، 6ج، ط2، بيروت: دار العلم للملايين 1970م.

- **المذكرات**، 3ج، دط، دمشق: مطبعة الترقي 1948-1949م.

20-الكواكبي، عبد الرحمن:**الأعمال الكاملة**، تحقيق محمد عمارة، دط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1970م.

21-مبارك، علي: **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، 6ج، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م

22- هيكل، محمد حسين: **دين مصر العام**، ترجمة احمد هيكل، دط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1998م.

رابعا - المراجع العربية والمعربة:

1-إبراهيم حافظ:**ديوان حافظ إبراهيم**، 2ج، دط، بيروت: دار العودة دت.

2- أبو صالح، عباس: **تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي**، دط، بيروت: المجلس الدرزي للبحوث والإنماء، دت.

3-أريك، دافيز: **مأزق البرجوازية الوطنية الصناعية في العالم الثالث، تجربة بنك مصر 1920-1941**، ترجمة سامي الرزاز، ط1. دم: مؤسسة الأبحاث العربية 1985م.

4-إسماعيل، حلمي: **دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر**، دط، القاهرة: دن.دت.

5- أكمير، عبد الواحد: **العرب في الأرجنتين النشوء والتطور**، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2000م.

6-أنطونيوس، جورج: **يقظة العرب - تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة ناصر الدين الأسد، ط 8، بيروت: دار العلم للملايين 1987م.

7 -الأيوبي، الياس:**تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا 1863-1879م**، 2ج، دط، القاهرة: مكتبة مدبولي 1990م.

8-الأيوبي، نزيه:**الدولة المركزية في مصر**، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1989م.

9-بازيلي، قسطنطين: **سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني**، ترجمة طارق معصراني، دط، موسكو: دار التقدم 1989م.

10-بروكلمان، كارل: **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه فارس، ط8، بيروت:دار العلم للملايين1979م.

11-تاجر، جاك**حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر** ، ط1، القاهرة: دار المعارف 1945م

12-تقي الدين، سليمان: **محاكمة الحركة العربية في لبنان**، ط2، بيروت: دار الرائد العربي 1982م.

13-توما، إميل: **تاريخ مسيرة الشعوب العربية**، دط، القدس: منشورات صلاح الدين1979م.

14-ثابت، كريم: **محمد علي**، ط2، القاهرة: مطبعة المعارف 1943م.

15-الجميل، سيار:

- **تكوين العرب الحديث**، ط1، عمان: دار الشروق 1997م.
- **العرب والأتراك**، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1997م.

16-الجوهري، يسري: **جغرافية السكان**، ط3، الإسكندرية: منشأة المعارف دت.

17-حتي، فيليب: **تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر**، ترجمة أنيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، ط2، بيروت: دار الثقافة 1972م.

18-حدة، حسن: **هجرة العرب إلى العالم، منتاريخ المغتربين العرب في العالم** ، دط، دمشق: دن 1966م.

19-حسين محمد:**الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، 2ج، ط3، بيروت: دار النهضة العربية 1972م.

20- الحكيم، يوسف: **سورية والعهد العثماني**، دط، بيروت: المطبعة الكاثوليكية 1966م.

21-حمزة، عبد اللطيف: **الصحافة العربية في مصر**، ط2، القاهرة: دار الفكر العربي 1985م.

22- ألخصوصي، بدر الدين: **القضية اللبنانية في تاريخها الحديث والمعاصر**، ط1، القاهرة: مطابع سجل العرب 1978م.

23-الخوري، بشارة:**حقائق لبنانية**، ج1، دط، حريصا: دن 1960م.

24-خوري، رئيف:**الفكر العربي في عصر النهضة، اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي**، ط1، بيروت: دار المكشوف 1943م.

25-داغر، يوسف: **قاموس الصحافة اللبنانية 1858-1974م**، ط1، بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية 1978م.

26-الدسوقي، عاصم:**كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصـــري1914-1952م**، ط1، القاهرة: دار المعارف 1975م.

27-رافق، عبد الكريم: **العرب والعثمانيون 1516-1916م**، ط1، دمشق: مطابع ألـــف بـــاء 1974م.

28- رشدي، محمد: **التطور الاقتصادي في مصر**، 2ج، دط، القاهرة: دار المعارف، دت.

29-رشيد، فؤاد: **تاريخ المسرح العربي**، دط، القاهرة: دار التحرير للنشر1960م.

30-الرفاعي، شمس الدين: **تاريخ الصحافة السورية في العهـــد العثمـــاني 1800-1908م**، 2ج، دط، القاهرة: دار المعارف 1969م.

31-روشتين، ثيودور: **تاريخ المسالة المصرية 1875-1910م**، ترجمة عبد الحميد ألعبادي ومحمد بدران، ط2، بيروت: دار الوحدة 1981م.

32-زيادة، نقولا:

- **شاميات، دراسات في الحضارة والتاريخ**، دط، لندن: دار رياض الريس، دت.

- **لبنانيات**، ط1، لندن: دار رياض الريس 1992م.

33- زين، نور الدين زين:

- **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنـــان**، دط، بيـــروت: دار النهار 1971.

- نشوء **القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركيـــة**، ط1، بيـــروت: دار النهار 1968م.

34- سابا، عيسى: **يعقوب صروف**، دط، القاهرة: دار المعارف دت.

35 - سعد، أحمد: **التطور الاقتصادي في فلسطين**، دط، دم: دن 1985م.

36 -السعيد، رفعت: **ثلاثة لبنانيين في القاهرة**، ط1، بيروت: دار الطليعة 1973م.

37 -سلطان، علي:**تاريخ سورية 1908-1918م**، ط1، دمشق: دار طلاس 1987م.

38-سميليا نسكايا، ابرينا:**البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث**، ترجمة يوسف عطا الله، ط1، بيروت: دار الفارابي 1989م.

39- سيد أحمد، نبيل: **النشاط الاقتصادي للأجانب وأثره في المجتمع المصري 1922-1952م**، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982م.

40-شرابي، هشام: **المثقفون العرب والغرب-عصر النهضة 1875-1914م**، ط4، بيروت: دار النهار 1991م.

41-الشهال، أحمد: **الحركات السكانية في لبنان**، دط، بيروت: دار الشمال 1987م.

42-الشافعي، شهدى: **تطور الحركة الوطنية المصرية 1882-1956م**، دط، القدس: منشورات صلاح الدين 1956م.

43 - شولش، الكزاندر: **تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882م**، ترجمة كامل العسلي، ط2، عمان: دار الهدى 1990م.

44-الشيال، جمال الدين:**تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي**، دط، القاهرة: دار الفكر العربي 1951م.

45- صابات، خليل: **تاريخ الطباعة في الشرق العربي**، دط، القاهرة: دار المعارف 1966م.

46- صبحي، حسن:**مجتمع الإسكندرية عبر العصور**، ط1، الإسكندرية: جامعة الإسكندرية 1975م.

47- صليبا، نجيب: **الهجرة من سوريا**، ط1، القاهرة: مؤسسة سجل العرب 1985م.

48- ضاهر، مسعود:**الهجرة اللبنانية إلى مصر**، دط، بيروت: المكتبة الشرقية، 1986م

49- ضيف، شوقي: **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ط5، القاهرة: دار المعارف 1974م.

50-طربين، أحمد: **تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر ، دراسة في التطورات والاتجاهات السياسية**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة 1995م.

51-عبد الكريم، احمد: **تاريخ التعليم في عصر محمد علي**، دط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1938م.

52- عبد الناصر، هدى:**الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية1936-1952م**، ط1، القاهرة: دار المستقبل العربي 1987م.

53-عبده، إبراهيم: **تطور الصحافة المصرية**، دط، القاهرة: مكتبة الآداب، دت.

54-العزاوي، قيس: **الدولة العثمانية قراءة جديدة في عوامل الانحطاط**، ط1، بيروت: الدار العربية للعلوم 1994م.

56- عفيفي، أمين:**تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث**، ط1، القاهرة: دار النهضة العربية 1953م.

57-عوض، عبد العزيز:**الإدارة العثمانية في ولاية سوريا 1864-1914م**، ط1، القاهرة: دار المعارف 1969م.

58-عوض، لويس: **تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة1919م**، دط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1983م.

59- غرايبة، عبد الكريم: **سوريا في القرن التاسع عشر 1840-1876م**، دط، القاهرة: معهد الدراسات العربية 1962م.

60-الغرفة التجارية اللبنانية -المصرية: **العلاقات الاقتصادية بين مصر ولبنان**، النشرة السنوية الأولى، الإسكندرية 1951م.

61-غريب، ميشال: **الصحافة تاريخا وحاضرا**، دط، بيروت: مطابع الكفاح العربي1978م.

62-الغضبان، عادل: **الشيخ نجيب الحداد1867-1899م**، ط2، القاهرة: دار المعارف1957م.

63- قاسم، جمال زكريا: **العرب في أمريكا، دراسة لتاريخ الهجرة العربية إلى الولايات المتحدة الأمريكية**، دط، دم: معهد البحوث والدراسات العربية1988م.

64- قاسمية، خيرية:**الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920م**، دط، القاهرة: دار المعارف 1971م.

65 -كوثراني، وجيه:

- **الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي 1860- 1920م**، ط2، بيروت:معهد الإنماء العربي 1978م.

- **بلاد الشام، السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، قراءة في الوثائق**، ط1، بيروت: معهد الإنماء العربي 1980م.

- **السلطة والمجتمع والعمل السياسي-من تاريخ الولاياتالعثمانية في بلاد الشام**، دط، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1988م.

66- لنداو، يعقوب: **دراسات في المسرح والسينما عند العرب**، ترجمة وتعليق احمد الغازي، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973م.

67- لوتسكي: **تاريخ الأقطار العربية الحديث**، ط7، بيروت: دار الفارابي 1980م.

68- ليفين، زا: **الفكر الإجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر**، ترجمة بشير السباعي، ط1، بيروت: دار ابن خلدون 1978م.

69-مصطفى، شاكر:**محاضرات عن القصة في سوريا**، ط1، بيروت: معهد الدراسات العربية 1975م.

70-المطوي، محمد: **أحمد فارس الشدياق حياته وآثاره وآراؤه في النهضة العربية الحديثة**، 2ج، دط، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1989م.

71- معطي، علي: **تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي**، دط، بيروت: مؤسسة عز الدين 1992م.

72-ألمقدسي، أنيس:

- الاتجاهات **الأدبية في العالم العربي الحديث**، 2ج، ط1، بيروت: جامعة بيروت الامريكية 1949م.

-**الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة**، ط2، بيروت: دار العلم للملايين 1978م.

73-المنجوري، محمد:**اتجاهات العصر الجديد في مصر**، ط1، القاهرة: مكتبة النهضة1937م.

74- مندور، محمد:**محاضرات عن خليل مطران**، دط، دم: معهد الدراسات العربية 1954م.

75-منسي، محمود: **حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي**، ط2، القاهرة: دار الفكر العربي 1978م.

76-النابلسي، شاكر:**عصر التكايا والرعايا، وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني (1516-1918)**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1999م.

77-نجم، محمد:**المسرحية في الأدب العربي الحديث**، ط3، بيروت: دار الثقافة 1980م.

78- النقاش، رجاء: **ألإنعزاليون في مصر**، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1981م.

79-يزبك، إبراهيم: **مؤتمر الشهداء**، دط، بيروت: مطبعة جريدة اليوم 1955م.

80-يوسف، نقولا:**تاريخ دمياط عبر العصور**، ط1، القاهرة: مطبعة الإتحاد القومي 1958م.

خامسا - التراجم:

1- ألزركلي، خير الدين: **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، 8ج، ط12، بيروت: دار العلم للملايين 1997م.

2- زيدان، جرجي:**تراجم مشاهير الشرق**، 2ج، ط3، بيروت: دار الحياة، دت.

3- سركيس، يوسف: **معجم المطبوعات العربية**، 2ج، دط، القاهرة: مكتبة الثقافة العربية، دت.

4- كحالة، عمر:

- **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، 5ج، ط4، بيروت: مؤسسة الرسالة 1982م.
- **معجم المؤلفين**، 4ج، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة 1993م.

سادسا - رسائل جامعية غير منشورة:

1- جراد، عدنان:**الحكم المصري في سوريه 1831-1840م**(رسالةماجستير غير منشورة)، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن 1979م.

2- صلاح، مفيد: **الهجرة الفلسطينية إلى خارج فلسطين خلال عهد الانتداب البريطاني 1917-1948م**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين 1998م.

سابعا - الندوات والمؤتمرات:

1-الحوت، بيان: جذور الحركة الوطنية الفلسطينية، بحث ضمن **مجموعة أبحاث تكريما لقسطنطين زريق بعنوان دراسات فلسطينية**، تحرير هشام نشّابة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1988م.

2- رؤوف، عماد: الجمعيات العربية وفكرها القومي، ندوة فكرية حول **تطور الفكر القومي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1986م.

3- رمضان، مصطفى: رواق الشام بالأزهر إبان العصر العثماني، **المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939م**، 4ج، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق 1980م.

4-الطناجي، محمود. أوائل المطبوعات العربية في مصر، **ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر**، المجمع الثقافي، أبو ظبي 1996م.

5-عبد الرحيم، عبد الرحمن: علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني. **المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939م**، 4ج كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق 1980م.

6-مران، تاج السر أحمد: دور السوريين في ظهور الحركة القومية العربية وتطورها 1908-1914م، **المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939م**،4ج كلية الاداب ، جامعة دمشق ، دمشق 1980م.

ثامنا ـ المجلات:

1- **مجلة المجمع العلمي العربي**: مجلة علمية أدبية لغوية، أسسها المجمع العلمي العربي في دمشق سنة 1921م.

- مج8، ج1، كانون ثاني – شباط /1931م، ص753

2- **المستقبل العربي**: مجلة علمية، أسسها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت سنة1978م.

-س20، ع230، نيسان – ابريل /1998م، ص20
-س13، ع141، تشرين الثاني- نوفمبر / 1990م، ص77
- س9، ع 87، أيار - مايو / 1986م، ص77
- س1، ع 4، تشرين الثاني – نوفمبر / 1978م، ص 12

3- **المقتطف**: مجلة علمية صناعية زراعية، أسسها يعقوب صروف وفارس نمر في بيروت سنة 1876م، ثم انتقلا بها إلى القاهرة سنة 1885م.

- س48، ج2 / 1924م، ص 155
- س33، ج2 / 1908م، ص905
- س20، ج1 / 1896م، ص 63
- س19، ج8 / 1895م، ص582
- س19، ج7 /1895م، ص528
- س19، ج9 / 1895م، ص675
-س17، ج10 / 1893م، ص 673
- س17، ج2 / 1893م، ص168
- س11، ج2 / 1886م، ص65
- س9، ج3 / 1884م، ص142

4- **المنار**: مجلة علمية أدبية تهذيبية، أسسها محمد رشيد رضا في القاهرة سنة 1898م.

- مج 21، ج4، 28 حزيران - يونيو / 1918م، ص 204-209
- مج19، ج3، 29 آب – أغسطس / 1916م، ص183

-مج16، ج11، 30 تشرين الثاني - أكتوبر / 1913م، ص879
-مج16، ج5، 7 أيار- مايو / 1913م، ص392
-مج12، ج1، 17تموز - يوليو / 1909م، ص478
-مج 11، ج5، 29 حزيران - يونيو / 1908م، ص338

5-الهلال: مجلة علمية تاريخية أدبية، أسسها جرجي زيدان في القاهرة سنة1892م.

-س 16، ج 4، 1 حزيران - يونيو / 1908م، ص133
- س 13، ج6، 1 آذار – مارس / 1905م، ص331
- س12، ج17، 1 حزيران - يونيو / 1904م، ص134
- س9، ج12، 15اذار - مارس / 1901م، ص 350
- س8، ج13، 15كانون الثاني -/يناير / 1900م، ص114
-س7، ج18، 15 حزيران - يونيو / 1899م، ص75
- س7، ج18، 15حزيران - يونيو / 1899م، ص166
-س7، ج13، 15تموز – يوليو / 1899م، ص400
-س7، ج19، 15تموز - يوليو / 1899م، ص394
-س4، ج1، 1 أيلول - سبتمبر / 1895م، ص83
- س2، ج17، آب - أغسطس / 1893م، ص 145

تاسعا - الصحف:

1-الأهرام: جريدة سياسية إخبارية، أسسها سليم وبشارة تقلا في الإسكندرية سنة1875م، وانتقلت إلى القاهرة في سنة 1899م.

- 6 أيار - مايو / 1913م، ص3
- 7كانون الثاني - يناير / 1911م، ص4
- 14تموز – يوليو / 1911م، ص2
- 25 كانون الثاني - يناير / 1908م، ص4
- 25 كانون الثاني - يناير / 1908م، ص2
- 12 نيسان - ابريل / 1902م، ص2
- 12تشرين الثاني - نوفمبر / 1901م، ص2-4
- 28 كانون الثاني - يناير / 1895م، ص1
- 4 آذار - مارس / 1895م، ص2
- 22 نيسان - ابريل / 1895م، ص2
- 18 نيسان – ابريل / 1894م، ص1
- 18تشرين الثاني – نوفمبر / 1893م، ص1
- 27 تشرين الثاني – نوفمبر / 1893م، ص1
- 8 أيلول- سبتمبر / 1893م، ص3
- 27 تشرين الأول – أكتوبر / 1887م، ص1
- 24 كانون الثاني - يناير / 1884م، ص1

2-المقطم: جريدة سياسية تجارية أدبية، أسسها فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس في القاهرة سنة1889م.

- 11 تشرين الثاني – نوفمبر / 1908م، 1-4
- 26 تموز – يوليو / 1898م، ص5
- 14 حزيران - يونيو /1895م، ص1
- 21 شباط – فبراير / 1893م، ص3
- 17 شباط - فبراير / 1891م، ص2

- 11حزيران - يونيو /1890م، ص1
- 27 آب - أغسطس / 1889م، ص2
- 19تموز - يوليو / 1889م، ص1-5
- 12 أيلول – سبتمبر / 1889م، ص1
- 13 آب - أغسطس / 1889م، 1-6
- 3 آب – أغسطس / 1889م، ص6

3-المؤيد: جريدة سياسية إسلامية، أسسها احمد ماضي وعلي يوسف، في القاهرة سنة 1889م.

- 15 نيسان - ابريل / 1890م، ص1

عاشرا - المراجع الأجنبية:

1-Gromer, L: **Modern Egypt**, 2Vol, London, 1908.

2-Husary.kh: **Three Reformers, Astudy in Modern Arab Political Thought**. Khayat's, Beirut, 1966.

3-Kayyali.A.W: **Palestine Amodern History**, London, Third World Centre.

4-LawrenceT.E: **Seven Pillars of Wisdom**, London, Penguin Books,1973.

5- Orfalea.G: **Before the Flames, Aqust for the History of Arab Americans**, Texas .1989.

6-Salibi.K: **The Emergence of the Lebanese. Republice**, Berut.Lebanon Bookshop, 1969

7-Tibawi.A.L: **Amodern History of Syria**, London, 1969.

Abstract:

Al Sham region has witnessed an increased immigration movement to Egypt during the second half of the 19th century and beginning of 20th century. At tat time, the political, social and economic crisis prevailed at the region resulted in a state of insecurity and instability, and the policy of tyranny and suppression that was exercised by the Othmani "Walis" (leaders). Given also the deterioration of the living conditions of the people, large numbers of inhabitants of Al Sham were obliged to decide on immigration in order to seek a better environment which would offer better living conditions compared with their place of origin. Thus, immigration movement heading abroad was activation and the first destination for the Shamis was Egypt due to their political stability, economical prosperity and proportional freedom reaches as a consequence of the Reformation Method of the Khidaiwi State which has advanced in implementing reformation and modernization plans initiated during the era of Mohamed Ali Basha and continued throughout especially at the days of Al Khidaiwi Ismaeel who invited artists and educationalists and all nationalities to Egypt to contribute in its reformation and modernization programs aimed at establishing a modern state similar to the European example in all fields of Administration, politics, economics and culture.

Egypt has received those immigrants who interacted with the new environment they settled in. They have integrated in the Egyptian society of which they had links of mutual historical relationship and close oriental traditions. This relationship has allowed opportunities of notable economical success and also political activities in a wider freedom margin that was not accessible in Al Sham. In addition to their cultural and intellectual contributions in Egypt which touched on various spheres of knowledge. They have established newspapers and magazines, contributed in movement of translation and Arabization that assimilated global sciences and literature, activated movement of printing and publications, contributed significantly in the artistic and theatric movement in Egypt and other fields of knowledge they took a prospered part within the modern renaissance witnessed in Egypt during the second half of the 19th century and beginning of the 20th century.

AN-NAJAH NATIONAL UNIVERSITY FACULTY OF GRADUATE STUDIES DEPARTMENT OF HISTORY

IMMIGRATION OF ASHWAM TO EGYPT IN THE SECOND HALF OF THE NINETEENTH CENTURY AND EARLY TWENTIETH CENTURY

By
Maher Mohammad Said Darweesh

Supervisior
Dr. Bahjat Sabri

Submitted in Partial Fulfillment of – the Requirements for the Degree of Master of Arts in History

Nablus-Palestine